

(٨١٣)

مسألة الشر

من مصنفات ابن تيمية

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

١-"المؤمن حتى يتبين له الحق ، فلا يقدم على الطاعة إلا بعلم ونية ، وإذا تركها كان عاصيا ، فترك الأمر الواجب معصية ، وفعل ما نهي عنه من الأمر معصية وهذا باب واسع (١).

حكمة مشروعية الحسبة (٢):

٨ - ما برح الناس - في مختلف العصور - في حاجة إلى من يعلمهم إذا جهلوا ، ويذكرهم إذا نسوا ، ويجادلهم إذا ضلوا ، ويكف بأسهم إذا أضلوا ، وإذا سهل تعليم الجاهل ، وتذكير الناسي ، فإن جدال الضال وكف بأس المضل لا يستطيعهما إلا ذو بصيرة وحكمة وبيان. ولمنع هذا شرعت الديانات ، وقامت النبوات وظهرت الرسالات آمرة بالمعروف ، وناهية عن المنكر ، ليكون الأمن والسلام ، والاستقرار والنظام ، وصلاح العباد والنجاة من العذاب. قال تعالى: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون﴾ (١٦٥) سورة الأعراف (٣). ومن هذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل النبيين والمرسلين ، وطريق المرشدين. الصادقين ، ومنهاج الهادين الصالحين ، وكان أمرا متبعا وشريعة ضرورية ومذهبا واجبا ، سواء في ذلك أسميت باسم " الحسبة " أو باسم آخر كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد صارت بسببها هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس قال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾ (١١٠) سورة آل عمران (٤). وروي عن قيس قال قال أبو بكر بعد أن حمد

---

(١) - مجموع الفتاوى - (ج ٢٨ / ص ١٢٩) ومجموع فتاوى ابن تيمية - (ج ٦ / ص ٣٣٧) وفتاوى الإسلام سؤال وجواب - (ج ١ / ص ٣٨٩٢) وفتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء - (ج ٣ / ص ١٤٤) والفقه الإسلامي وأدلته - (ج ٨ / ص ٣٨٢) والحوافز التجارية التسويقية وأحكامها في الفقه الإسلامي - (ج ١ / ص ١٥٢) ومسؤولية إمام المسجد - (ج ١ / ص ٦٩)

(٢) - الموسوعة الفقهية١ - ٤٥ كاملة - (ج ٢ / ص ٦٠٣٠)

(٣) - لقد كان العذاب البئيس - أي الشديد - الذي حل بالعصاة المحتالين، جزاء إمعانهم في المعصية - التي يعتبرها النص هي الكفر، الذي يعبر عنه بالظلم مرة وبالفسق مرة كما هو الغالب في التعبير القرآني عن الكفر والشرك بالظلم والفسق؛ وكان ذلك العذاب البئيس هو المسخ عن الصورة الآدمية إلى الصورة القردية! لقد تنازلوا هم عن آدميتهم، حين تنازلوا عن أخص خصائصها - وهو الإرادة التي تسيطر على الرغبة - وانتكسوا إلى عالم «الحيوان» حين تخلوا عن خصائص «الإنسان». فقيل لهم أن يكونوا حيث أرادوا لأنفسهم من الانتكاس والهوان! -في ظلال القرآن - (ج ٣ / ص ٣٠٩)

(٤) - إن التعبير بكلمة "أخرجت" المبني لغير الفاعل ، تعبير يلفت النظر. وهو يكاد يشي باليد المدبرة اللطيفة ، تخرج هذه الأمة إخراجا ؛ وتدفعها إلى الظهور دفعا من ظلمات الغيب ، ومن وراء الستار السرمدي الذي لا يعلم ما وراءه إلا الله. . إنها كلمة تصور حركة خفية المسرى ، لطيفة الدبيب. حركة تخرج على مسرح الوجود أمة. أمة ذات دور خاص. لها مقام خاص ، ولها حساب خاص: (كنتم خير أمة أخرجت للناس). .

وهذا ما ينبغي أن تدركه الأمة المسلمة ؛ لتعرف حقيقتها وقيمتها ، وتعرف أنها أخرجت لتكون طليعة ، ولتكون لها القيادة ، بما أنها هي خير أمة. والله يريد أن تكون القيادة للخير لا للشر في هذه الأرض. ومن ثم لا ينبغي لها أن تتلقى من غيرها من أمم الجاهلية. إنما ينبغي دائما أن تعطي هذه الأمم مما لديها. وأن يكون لديها دائما ما تعطيه. ما تعطيه من الاعتقاد الصحيح ، والتصور الصحيح ، والنظام الصحيح ، والخلق الصحيح ، والمعرفة الصحيحة ، والعلم الصحيح. . هذا واجبها الذي يحتمه عليها مكانها ، وتحتمه عليها غاية وجودها. واجبها أن تكون في الطليعة دائما ، وفي مركز القيادة دائما. ولهذا المركز تبعاته ، فهو لا يؤخذ ادعاء ، ولا يسلم لها به إلا أن تكون هي أهلا له. . وهي بتصورها الاعتقادي ، وبنظامها الاجتماعي أهل له. فيبقى عليها أن تكون بتقدمها العلمي ، وبعمارتها للأرض – قياما بحق الخلافة – أهلا له كذلك. . ومن هذا يتبين أن المنهج الذي تقوم عليه هذه الأمة يطالبها بالشيء الكثير ؛ ويدفعها إلى السبق في كل مجال. . لو أنها تتبعه وتلتزم به ، وتدرك مقتضياته وتكاليفه.

وفي أول مقتضيات هذا المكان ، أن تقوم على صيانة الحياة **من الشر والفساد**. . وأن تكون لها القوة التي تمكنها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ فهي خير أمة أخرجت للناس. لا عن مجاملة أو محاباة ، ولا عن مصادفة أو جزاف – تعالى الله عن ذلك كله علوا كبيرا – وليس توزيع الاختصاصات والكرامات كما كان أهل الكتاب يقولون: (نحن أبناء الله وأحباؤه). . كلا! إنما هو العمل الإيجابي لحفظ الحياة البشرية من المنكر ، وإقامتها على المعروف ، مع الإيمان الذي يحدد المعروف والمنكر: (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله). .

فهو النهوض بتكاليف الأمة الخيرة ، بكل ما وراء هذه التكاليف من متاعب ، وبكل ما في طريقها من أشواك. . إنه التعرض للشر والتحريض على الخير وصيانة المجتمع من عوامل الفساد. . وكل هذا متعب شاق ، ولكنه كذلك ضروري لإقامة المجتمع الصالح وصيانته ؛ ولتحقيق الصورة التي يحب الله أن تكون عليها الحياة. .

ولا بد من الإيمان بالله ليوضع الميزان الصحيح للقيم ، والتعريف الصحيح للمعروف والمنكر. فإن اصطلاح الجماعة وحده لا يكفي. فقد يعم الفساد حتى تضطرب الموازين وتختل. ولا بد من الرجوع إلى تصور ثابت للخير وللشر ، وللفضيلة والرذيلة ، وللمعروف والمنكر. يستند إلى قاعدة أخرى غير اصطلاح الناس في جيل من الأجيال.

وهذا ما يحققه الإيمان ، بإقامة تصور صحيح للوجود وعلاقته بخالقه. وللإنسان وغاية وجوده ومركزه الحقيقي في هذا الكون. . ومن هذا التصور العام تنبثق القواعد الأخلاقية. ومن الباعث على إرضاء الله وتوقي غضبه يندفع الناس لتحقيق هذه القواعد. ومن سلطان الله في الضمائر ، وسلطان شريعته في المجتمع تقوم الحراسة على هذه القواعد كذلك.

ثم لا بد من الإيمان أيضا ليملك الدعاة إلى الخير ، الآمرون بالمعروف ، الناهون عن المنكر ، أن يمضوا في هذا الطريق الشاق ، ويحتملوا تكاليفه. وهم يواجهون **طاغوت الشر في** عنفوانه وجبروته ، ويواجهون طاغوت الشهوة في عرامتها وشدتها ، ويواجهون هبوط الأرواح ، وكلل العزائم ، وثقلة المطامع. . وزادهم هو الإيمان ، وعدتهم هي الإيمان. وسندهم هو الله. . وكل زاد سوى زاد الإيمان ينفد. وكل عدة سوى عدة الإيمان تفل ، وكل سند غير سند الله ينهار!

وقد سبق في السياق الأمر التكليفي للجماعة المسلمة أن ينتدب من بينها من يقومون بالدعوة إلى الخير ، والأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر ، أما هنا فقد وصفها الله سبحانه بأن هذه صفتها. ليدلها على أنها لا توجد وجودا حقيقيا إلا أن تتوافر فيها هذه السمة الأساسية ، التي تعرف بها في المجتمع الإنساني. فإما أن تقوم بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – مع الإيمان بالله – فهي موجودة وهي مسلمة. وأما أن لا تقوم بشيء من هذا فهي غير موجودة ، وغير متحققة فيها صفة الإسلام. في ظلال القرآن – (ج ١ / ص ٦٢)". [١]

٢-"والوعظ ، أما ما تجاوز ذلك فإنه يحرك الفتنة **ويهيج الشر** ، ويكون ما يتولد منه من المحذور أكثر (١).

وزاد ابن الجوزي: وإن لم يخف إلا على نفسه فهو جائز عند جمهور الفقهاء (٢).

وقال الجصاص (٣):

إذا كان في تلف نفسه منفعة عائدة على الدين فهذا مقام شريف مدح الله به أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – في قوله: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ (١١١) سورة التوبة، وقال: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ (١٦٩) سورة آل عمران، وقال: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد﴾ (٢٠٧) سورة البقرة، في نظائر ذلك من الآي التي مدح الله فيها من بذل نفسه لله.

وعلى ذلك ينبغي أن يكون حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أنه متى رجا نفعا في الدين فبذل نفسه فيه حتى قتل كان في أعلى درجات الشهداء، قال الله تعالى: ﴿يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾ (١٧) سورة لقمان.

وقد روي عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: ﴿أفضل الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل تكلم بكلمة حق عند سلطان جائر فقتله﴾ (٤).

وروى أبو سعيد الخدري عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: ﴿أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر﴾ (٥).

---

(١) – فيض القدير، شرح الجامع الصغير، الإصدار ٢ – (ج ٢ / ص ٣٤٣) ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح – (ج ١١ / ص ٣٤٢) ومجلة المنار – (ج ٩ / ص ٤٢١) وإحياء علوم الدين – (ج ٢ / ص ١٥٢و١٧٧) والآداب الشرعية – (ج ١ / ص ٢٢٢) وغذاء الألباب في شرح منظومة الآداب – (ج ١ / ص ٣٥٢)

(٢) – فيض القدير، شرح الجامع الصغير، الإصدار ٢ – (ج ٢ / ص ٣٤٣) وفيض القدير – (ج ١ / ص ٣٥٤) وفتاوى الشبكة الإسلامية معدلة – (ج ٨ / ص ٥٠٦١) والآداب الشرعية – (ج ١ / ص ٢٢٢) وغذاء الألباب في

---

(١) الحسبة لابن تيمية ص/٢٢

شرح منظومة الآداب - (ج ١ / ص ٣٥٢)
(٣) - أحكام القرآن للجصاص - (ج ٢ / ص ١٦٤ - ١٦٥)
(٤) - المستدرك برقم (٤٨٧٦) وصحيح الجامع (٣١٥٨) والصحيحة (٣٧٤) وهو حديث صحيح
(٥) - سنن النسائى برقم (٤٢٢٦) وأحمد برقم (١١٤٤٢ و١٩٣٤٣) والطبراني في الكبري برقم (٨٠٠٦ و٨٠٠٧) من طرق وهو صحيح
وفي شرح سنن النسائي - (ج ٥ / ص ٤٩٥)
فإنه جهاد قل من ينجو فيه وقل من يصوب صاحبه بل الكل يخطئونه أولا ثم يؤدي إلى الموت بأشد طريق عندهم بلا قتال بل صبرا والله تعالى أعلم.". [1]

٣-"ربنا تبارك وتعالى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أوصاف المؤمنين اللازمة، فيقول سبحانه: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾ (٧١) سورة التوبة، في مقابل ذلك وصف من كانوا ضدهم وعلى النقيض منهم: ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون﴾ (٦٧) سورة التوبة.
ولو أن المسلمين عرفوا هذه الآيات حق المعرفة، وعملوا بها على الوجه الأتم الأكمل والسبيل الأرشد الأقوم لما استطاع **أهل الشر والفساد** من عتاة البشر أن يفعلوا بالأمة الأفاعيل، وينشروا بين بنيها الترهات والأباطيل، ولو أن الداعية الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر وجد من ورائه أمة من الناس يوالونه ويناصرونه لما استطاع شرير أن ينال مصلحا بأذى. لكن حقيقة الأمر أن الناس مسلموه وخاذلوه (١)، فينفرد **أهل الشر والفساد** بالمصلحين واحدا بعد الآخر يسومونهم سوء العذاب وأشد النكال؛ تارة بتنفير الناس منهم وتارة بإطلاق نعوت السوء عليهم كقولهم: هؤلاء رجعيون، ظلاميون، متخلفون، متطرفون، متشددون، متنطعون .. إلى آخر تلك الألقاب السيئة: ﴿أتواصوا به بل هم قوم طاغون﴾ (٥٣) سورة الذاريات.
وفي سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - نقرأ أحاديث نتبين من خلالها أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سنة ماضية وفريضة محكمة ليست راجعة إلى اختيار الناس، بل هي من ضرورات الدين لا قيام لحياة الناس إلا بها، فليست هي حقا مكتسبا كما يطالب بذلك دعاة الديمقراطية، بل هي فريضة دينية وهداية ربانية لهذه الأمة المحمدية. عن عبادة بن الصامت قال بايعنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على السمع والطاعة فى المنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم - أو نقول - بالحق حيثما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم» (٢).
وقد نطق بهذا الحديث عبادة رضي الله عنه لما أنكر عليه بعض الناس أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فقال له: ما

---

(١) الحسبة لابن تيمية ص/٦٢

كنت معنا . ليلة العقبة . حين بايعنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم –﴾ وذكر الحديث (٣)، ويأمرنا عليه الصلاة والسلام أن نغير المنكر بما نستطيع «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» (٤).

---

(١) – وفي صحيح مسلم برقم (٦٧٠٦) عن أبى هريرة قال قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا. المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره. التقوى ها هنا».ويشير إلى صدره ثلاث مرات «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه».

(٢) – صحيح البخارى برقم (٧١٩٩) و صحيح مسلم برقم (٤٨٧٤)

(٣) – انظر القصة في سير أعلام النبلاء ٢/ ٧.

(٤) – صحيح مسلم برقم (١٨٦)". [1]

٤–"المنكرات تفشو بين الناس حتى يكثر الخبث، وفي الصحيحين من حديث زينب ابنة جحش – رضى الله عنهن أن النبى – صلى الله عليه وسلم – دخل عليها فزعا يقول «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه».وحلق بإصبعه الإبهام والتى تليها. قالت زينب ابنة جحش فقلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال «نعم، إذا كثر الخبث» (١).

٢. حلول العذاب الإلهي العام؛ لقول ربنا جل جلاله ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خآصة واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ (٢٥) سورة الأنفال، و عن جرير قال سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول «ما من رجل يكون فى قوم يعمل فيهم بالمعاصى يقدرون على أن يغيروا عليه فلا يغيروا إلا أصابهم الله بعذاب من قبل أن يموتوا» (٢).

وفي حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب» (٣).

٣. حصول الاختلاف والتناحر؛ فإذا ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحول المجتمع إلى فئات متناحرة تتنازعها الأهواء؛ حين يستعلن أهل الشر بفسادهم فيعمد الصالحون إلى إزالة المنكر بالقوة فيحدث شغب وإخلال بالأمن وتناكر للقلوب؛ مع ما في ذلك من أضرار في العاجل والآجل، و عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم

---

(١) الحسبة لابن تيمية ص/٨٦

ببعض». ثم قال (لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم) إلى قوله (فاسقون) ثم قال «كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدى الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصرا» (٤).

٤. تسليط الأعداء: وقد مني المسلمون بشيء من ذلك في تاريخهم، وأوضح مثال لذلك ما كان في الأندلس حين شاعت المنكرات بين الناس بلا نكير فسلط عليهم النصارى يسومونهم سوء العذاب؛ حتى صار ملوكهم وسادتهم ينادى عليهم في أسواق الرقيق، وفي واقعنا المعاصر ما يعانيه المسلمون من تسلط أعدائهم إنما هو جزء من عقوبة إلهية حلت بهم.

---

(١) – صحيح البخارى برقم (٣٣٤٦) ومسلم برقم (٧٤١٦)

(٢) – سنن أبى داود برقم (٤٣٤١) صحيح لغيره

(٣) – سنن أبى داود برقم (٤٣٤٠) صحيح

(٤) – سنن أبى داود برقم (٤٣٣٨) حديث حسن = تأطر: تعطفه عليه وتوجهه إليه". [١]

٥–"ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة لزوم الجماعة، وترك قتال الأئمة (١)، وترك القتال في الفتنة" (٢)، "ولأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور" (٣).

يقول الإمام النووي رحمه الله في حكم الخروج على الإمام الظالم والحاكم الجائر: " وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين." (٤).

وهذا الإجماع الذي ينقله الإمام النووي رحمه الله يشكل عليه خروج جماعة من أهل العلم والدين على الحكام الظالمين كما فعل الحسين وابن الزبير رضي الله عنه في دولة بني أمية، وخروج ابن الأشعث على الحجاج، وقد أجاب بعض العلماء على هذا الإشكال بأن الخلاف كان أولا، ثم استقر الأمر على ترك ذلك لما رأوه قد أفضى إلى أشد منه، وحصل الإجماع على منع الخروج عليهم (٥).

وهذه الأحكام جدير بشباب الصحوة أن يدرسوها، مستصحبين وقائع التاريخ وشواهد الواقع المعاصر، حتى يعلموا أن مفسدة الخروج عظيمة إذا ما قيست إلى مفسدة بقاء الظالم، كما يقول القرطبي رحمه الله: "ففيه ـ أي الخروج ـ استبدال الأمن بالخوف، وإراقة الدماء، وانطلاق أيدي السفهاء، وشن الغارات على المسلمين، والفساد في الأرض" (٦).

وهاهنا أنقل كلاما نفسيا لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وهو من هو في جهاده للظالمين وقمعه لأهل المنكر والمبتدعين، يقول رحمه الله: " إن الملك الظالم: لا بد أن يدفع الله به **من الشر أكثر** من ظلمه. وقد قيل: ستون سنة

---

(١) الحسبة لابن تيمية ص/٨٩

بإمام ظالم: خير من ليلة واحدة بلا إمام. وإذا قدر كثرة ظلمه: فذاك ضرر في الدين، كالمصائب تكون كفارة لذنوبهم ويثابون عليها، ويرجعون فيها إلى الله، ويستغفرونه ويتوبون إليه. وكذلك ما يسلط عليهم من العدو. وأما من يكذب على الله، ويقول – أي يدعي – أنه نبي: فلو أيده الله تأيِيد الصادق: للزم أن يسوي بينه وبين الصادق. فيستوي الهدى والضلال، والخير والشر، وطريق الجنة وطريق النار. ويرتفع التمييز بين هذا وهذا. وهذا مما يوجب الفساد العام للناس في دينهم ودنياهم وآخرتهم. ولهذا أمر النبي – صلى الله عليه وسلم – بقتال من يقاتل على الدين الفاسد من أهل البدع، كالخوارج. وأمر بالصبر على جور الأئمة. ونهى عن قتالهم والخروج عليهم." (٧) أ. هـ.

---

(١) – الذين يحكمون بما أنزل الله

(٢) – ابن تيمية – الحسبة في الإسلام ٧٦ – الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م توزيع رئاسة البحوث العلمية.

(٣) – ابن أبي العز الحنفي – شرح العقيدة الطحاوية ٤٣٠ – المكتب الإسلامي – الطبعة الخامسة ١٣٩٩هـ – بيروت.

(٤) – النووي – شرح مسلم ١٢/ ٢٢٩.

(٥) – ابن حجر – تهذيب التهذيب ٢/ ٢٨٨.

(٦) – القرطبي – الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٢٠٩

(٧) – ابن تيمية – مجموع الفتاوى ١٤/ ٢٦٩ ومجموع فتاوى ابن تيمية – (ج ٣ / ص ٢٧٠)". [١]

٦-"فيها من المفسدة؛ ويكونون مطيعين للآمر بتلك المقاصد والناهي عن تلك المفاسد، فجميع بني آدم لا بد لهم من طاعة آمر وناه. فمن لم يكن من أهل الكتب الإلهية ولا من أهل دين فإنهم يطيعون ملوكهم فيما يرون أنه يعود بمصالح دنياهم؛ مصيبين تارة ومخطئين أخرى (١)، وأهل الأديان الفاسدة من المشركين وأهل الكتاب المستمسكين به بعد التبديل أو بعد النسخ والتبديل: مطيعون فيما يرون أنه يعود عليهم بمصالح دينهم ودنياهم.

وغير أهل الكتاب منهم من يؤمن بالجزاء بعد الموت. ومنهم من لا يؤمن به، وأما أهل الكتاب فمتفقون على الجزاء بعد الموت؛ ولكن الجزاء في الدنيا متفق عليه أهل الأرض (٢).فإن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة وعاقبة العدل كريمة (٣) ولهذا يروى:" ﴿الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة﴾ (٤) ".

---

(١) – قال تعالى على لسان فرعون: ﴿ .. قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾ (٢٩) سورة غافر

(٢) – يعني إثابة الطائع ومعاقبة العاصي، وهذا موجود في جميع قوانين الأرض فهي تنص على الثواب والعقاب، بصرف

---

(١) الحسبة لابن تيمية ص/٩٥

النظر عن كونه موافقا لمنهج الله تعالى أم
(٣) – إن أحكام الإسلام عدل كلها، وحكمة كلها، وخير كلها، لأنها من عند الله الحكيم العليم، وإذا كان الله تعالى قد ذكر أن العمل بالتوراة والإنجيل من أسباب الرخاء والحياة الطيبة فقال: (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) [المائدة:٦٦]
فلأن يكون ذلك بإقامة أحكام القرآن من باب أولى، فهو الكتاب الذي أنزله الله "مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه"
فمن أقام أحكام الإسلام فقد أقام العدل وحصل له الخير والبركة، وكذلك لو أن المسلمين لم يقيموا دينهم، ويعملوا به، فسدت عليهم الدنيا، وعم فيهم الشر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وأمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم: أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم، ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة. ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام، وقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: " ليس ذنب أسرع عقوبة من البغي وقطيعة الرحم " فالباغي يصرع في الدنيا وإن كان مغفورا له مرحوما في الآخرة، وذلك أن العدل نظام كل شيء، فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت، وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم، وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة.
والله أعلم. فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة – (ج ٤ / ص ٤٤٢٦)
رقم الفتوى ٢٤٤٣٩ من أقام أحكام الإسلام فقد أقام العدل وحصلت له البركة تاريخ الفتوى:٢٣ شعبان ١٤٢٣
(٤) – أمر الإسلام بالعدل، وجعله غاية الحكم الإسلامي وهدفه، والعدل هو: إعطاء كل ذي حق حقه كاملا غير منقوص. وهذا العدل مسئولية الحاكم، وواجب من الواجبات المفروضة عليه، والأمة لها الحق في أن تحاسب الحاكم إذا ظلم أحدا. ويشمل العدل كل الحقوق المتعلقة بالأرواح والأعراض والحريات والأموال، للمسلم وغير المسلم.
وتحدثت كثير من الآيات في القرآن عن العدل، وحذرت من الظلم وعواقبه، قال الله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم الله لعلكم تذكرون﴾ [النحل: ٩٠]، وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة) [مسلم].
ومن العدل أن يكون الناس أمام القانون سواء، فلا فرق بين شريف ووضيع، ولا غني وفقير، فالعدل يخضع له الجميع، وبذلك يكون العدل هو أساس استمرار الدول والحفاظ عليها، يقول ابن تيمية: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة.
ومن أجل أن يتحقق العدل فلابد له من قوة تحميه، ولا بد أن يكون حاكما لا خاضعا، ولذلك نجد الخليفة عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– يحرص على جعل القضاء الذي يقيم العدل مستقلا عن كل سلطة، حتى عن سلطة الحاكم، وصار ذلك مبدأ من مبادئ الحكم الإسلامي، فعندما تولى عمر الخلافة، واتسعت رقعة الدولة الإسلامية، عين لكل إقليم قاضيا مستقلا، ونظم السلطة القضائية وميزها عن غيرها.

إن العدل يشعر المواطن بالأمن على ماله وعرضه وسائر حقوقه، ففي ظل العدل تختفي الجريمة، وينصرف كل إنسان إلى عمله، ويسهم في بناء مجتمعه وأمته، وبالعدل يجنى الإنسان ثمرة عمله وتعبه، وينطلق في ميادين التنافس الشريف في ميادين
الخير، وبالعدل تتم المساواة، ويتفاضل الناس بحسب قدراتهم وجهدهم. إن الإسلام سبق كل الذين دعوا إلى العدل، وأرسى دعائمه، وقد طبق العدل أروع تطبيق في حياة المسلمين.". (١)

٧-"وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «من استعمل عاملا من المسلمين وهو يعلم أن فيهم أولى بذلك منه وأعلم بكتاب الله وسنة نبيه فقد خان الله ورسوله وجميع المسلمين» (١).
فالواجب إنما هو الأرضى من الموجود والغالب أنه لا يوجد كامل فيفعل خير الخيرين ويدفع شر الشرين (٢)؛ ولهذا كان عمر بن الخطاب يقول (٣): أشكو إليك جلد الفاجر وعجز الثقة (٤). وقد

---

(١) – السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر النقي – (ج ١٠ / ص ١١٨) برقم (٢٠٨٦١) والمعجم الكبير للطبراني – (ج ٩ / ص ٣٢٢) برقم (١١٠٥٣) والمستدرك للحاكم برقم (٧٠٢٣) وهو حديث حسن

(٢) – إن الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان، ومعرفة خير الخيرين وشر الشرين، حتى يقدم عند التزاحم خير الخيرين ويدفع شر الشرين.
لقد حكى الله تعالى عن الخضر عليه السلام أنه خرق السفينة التي كانت لمساكين حتى لا يستولي عليها الملك الظالم الذي يغصب السفن الصالحة من أصحابها، هذا مع أن خرقها مفسدة؛ لكن لما كان في فعلها دفع لمفسدة هي أعظم منها وهي ذهاب السفينة بأسرها واستيلاء الظالم عليها، جاز دفع تلك المفسدة العظيمة بما هو أقل فسادا منها وهو الخرق الذي يمكن إصلاحه، قال تعالى: أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ﴿الكهف: ٧٩﴾ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فتبين أن السيئة تحتمل في موضعين: دفع ما هو أسوأ منها إذا لم تدفع إلا بها، وتحصيل ما هو أنفع من تركها إذا لم تحصل إلا بها، وذلك ثابت في العقل؛ كما يقال: ليس العاقل الذي يعلم الخير من الشر، وإنما العاقل الذي يعلم خير الخيرين وشر الشرين، وهذا باب التعارض .. باب واسع جدا، لا سيما في الأزمنة والأمكنة التي نقصت فيها آثار النبوة وخلافة النبوة. فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة – (ج ١٠ / ص ٣٥٦٤)
رقم الفتوى ٧٤٠٨٨ استعمال (باب التعارض) في كشف المرأة لوجهها تاريخ الفتوى: ١٠ ربيع الثاني ١٤٢٧

(٣) – لم أجده بهذا اللفظ

(٤) – عجز الثقة وجلد الفاجر

---

(١) الحسبة لابن تيمية ص/١٧٨

"اللهم إني أعوذ بك من جلد الفاجر وعجز الثقة"، هكذا أعلنها عمر بن الخطاب _رضي الله عنه_ مدوية صريحة بليغة. ويحق التساؤل عن الأسباب الكامنة وراء تعوذ الخليفة الثاني لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الصنفين من الرجال: الفاجر المثابر والجريء القوي، ومن الثقة الصالح السلبي المستكين، (الذي لا يهش ولا ينش)،ويكفيه أنه في حاله، لا يسكن أبعد من ثيابه، ولا يرى أكثر من أنفه. فلماذا تعوذ منهما عمر؟ ألهذا الحد هذان النوعان من الناس لا خير فيهما؟.

مظاهر عجز الثقة

الرجل الثقة العاجز لن يفيد الأمة بشيء يذكر، مادام تردده وضعفه نواقص قد حث الإسلام المسلم على عدم الاتصاف بها، فقد قال رسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام: "المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف"، ويضيف الرسول – صلى الله عليه وسلم – في السياق ذاته:" احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا فإن لو تفتح عمل الشيطان""، فالدعوة هنا صريحة غاية الصراحة، موجهة إلى كل مسلم بأن يحرص على ما ينفعه في الدنيا والآخرة، مستعينا بالله وحده، ولا يجعله فشل ما عرض في حياته أو عمله عاجزا عن الاستمرار في مساره، كما يرتضيه الله تعالى ورسوله الكريم، في شتى مناحي الحياتين: الأولى والأخرى.

والرجل الصالح إذا كان عاجزا لا ينفع المجتمع رغم شهادة الأرض له بالاستقامة والثقة، فهو بالكاد ينفع نفسه، بل قد يفضي عجزه وتردده في اتخاذ القرارات الحاسمة إلى تهيئ تربة خصبة لكثير من الآفات والأباطيل في المجتمع، فالمرء الطيب العاجز يستطيع إصلاح نفسه فقط، غير أنه لا يساهم بشكل فعال في إصلاح الجماعة، التي تحتاج أساسا إلى الإنسان الصالح المصلح أيضا، الذي تتجاوز رسالته ذاته إلى محاولة إصلاح المجتمع بالوسائل المتاحة له ولو كانت يسيرة قليلة. فهناك فئام من الناس يظنون أنهم بصلاتهم وزكاتهم وصومهم =". (١)

٨-". . . . .

= العقبات أمامه، وبكشف الكرب عنه، أو بطرد الجوع عنه، وهو عمل من أعمال البر الجليلة، ويجزي عنها الخالق سبحانه بجنة عالية، قطوفها دانية، فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

إن من ينفع الناس ويشارك في بناء المجتمع بناء قائما على الخير والفضيلة هو من الأخيار ولا شك، أما الذي يدوس على مشاعر الناس غير آبه بما يحتاجونه ولا بما يهمهم، فهو من الأشرار ولا قيمة له تذكر في المجتمع. فعن أبى هريرة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقف على أناس جلوس فقال «ألا أخبركم بخيركم من شركم». قال فسكتوا فقال ذلك ثلاث مرات فقال رجل بلى يا رسول الله أخبرنا بخيرنا من شرنا. قال «خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره وشركم من

---

(١) الحسبة لابن تيمية ص/١٨٥

لا يرجى خيره ولا يؤمن شره». رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح.

جرأة الفاجر

والثقات العاجزون يمنحون ـ بسبب عجزهم وسلبيتهم ـ فرصا تلو أخرى للسفهاء الذين يستطيعون ـ بفضل دهائهم وذكائهم ـ أن يسيروا دواليب حياة الناس ويدبروا شؤونهم. وهؤلاء أيضا رغم جلدهم وعناصر التفوق في شخصياتهم لا يفيدون المجتمع بقدر ما يسيئون إليه. وهو الصنف الثاني الذي تعوذ منه الفاروق عمر رضي الله عنه فهو الفاجر الذي يمتاز بالجلد والصبر وقوة الشكيمة ونبوغ الفكرة.

ويبرز مثال جلد الفاجر وجرأته على نشر الباطل والفساد في كثير من القائمين على وسائل الإعلام والصحافة في بلادنا الإسلامية، حيث ينبرون للدفاع عن أفعالهم رغم قبحها، وعن توجهاتهم رغم دناءتها، يدافعون عنها دفاعا شرسا، حتى أنه قد تنطلي الحيلة على البعض من شدة حرصهم على الذود عن حياض قيمهم الموغلة في الفساد، وهو فساد قديم قدم البشرية نفسها، إنما تتجدد الوجوه والأماكن والأزمنة، ويظل الصراع بين الحق والباطل هو جوهر شتى مناحي حياة الإنسان.

وفي بعض البلاد الإسلامية ـ المغرب مثلا ـ تندفع صحف وجرائد لتسيء لشخص الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – أو تستهزئ بالذات الإلهية العظيمة، كما حدث منذ بضعة أسابيع حين نشرت مجلة مغربية فاق خبثها خبث الصحف الدانماركية التي أساءت لمقام المصطفى عليه الصلاة والسلام بنشرها رسوما كاريكاتورية مقيتة، فقد أفردت في ملف صحفي كامل أنواعا من نكت سخيفة لا تضحك أحدا، ومنها نكتة تصور الله عز وجل يخاطب الصحابي الجليل أبو هريرة ويخوفه بالنار، ثم يقول له إنها "كاميرا خفية" فقط ..

وجرأة الفاجر في هذا المثال تكمن أساسا في دفاع المجلة عن خطها التحريري الذي تفوح منه العداء لكل ما هو دين، ولها سوابق عديدة في هذا المجال، واعتبر أصحابها أنهم لم يقصدوا الإساءة لأحد، وانبرت وسائل إعلام أخرى تدافع عن ما أسموه بحرية التعبير والحق في الاختلاف، وغيرها من المفاهيم الكبيرة التي تستدعي جعجعة ولا طحين.

وهذا هو دأب الفاجر حين يكون ذا جلد وجرأة وقوة، تجده يدافع عن باطله كأنه الحق الذي لا مراء فيه، ويستعمل جميع إمكانياته الذاتية والموضوعية ليقوي من مركزه ويساعد أعوانه **في الشر والزيغ** والفساد والإفساد .. وهكذا إن كان الثقة الصالح عاجزا لا يصلح ما حوله، فإن الفاجر يكون صابرا مقداما، فاسدا في ذاته ويتفنن في إفساد محيطه.

الميزان

والمطلوب الذي يحتاجه المجتمع المسلم في واقعنا الحالي هو الجمع بين الصفتين الحميدتين في الفئتين معا: الجلد والقوة عند الفاجر، والثقة والصلاح عند العاجز.

وهذان عنصران أساسيان في بناء كل فرد وكل جماعة. وما أحوج المجتمع الإسلامي اليوم قبل أي وقت مضى لأناس يمتلكون الشخصية القوية الجذابة، ومعهم ما يكفي من الصلاح والتقوى والورع لبناء أسس الأمة لبنة لبنة.

فدعاء عمر رضي الله عنه: "اللهم إني أعوذ بك من جلد الفاجر ومن عجز الثقة"، مثل الخصال الطيبة في هذين النوعين

من الناس وجسدها في أدق عبارة وأجملها.

وهو نفسه رضي الله عنه كان مثالا نادرا للصلاح والثقة، وللزهد والورع والتواضع والإحساس بثقل مسؤولية الحكم حينما تولى خلافة المسلمين بعد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حتى إنه كان يخرج ليلا يتفقد أحوال المسلمين، ويلتمس حاجات رعيته التي استودعه الله أمانتها، وله في ذلك قصص عجيبة تجسد الجلد وقوة الحق المطلوب أن يتصف بها كل مسلم، حتى تحفظ الأمة من جلد الفاجر وعجز الثقة.

موقع المسلم http://www.almoslim.net/print.cfm?artid=2071". (١)

٩-"وقد تنازع العلماء في التسعير (١) في مسألتين:

إحداهما: إذا كان للناس سعر غال فأراد بعضهم أن يبيع بأغلى من ذلك فإنه يمنع منه في السوق في مذهب مالك. وهل يمنع النقصان؟ على قولين لهم (٢).

---

(١) - وفي الفقه الإسلامي وأدلته - (ج ٧ / ص ٥٢)

المبحث الثالث . نظرية القيمة في الإسلام:

تكلمت في المبحث الأول عن هذه النظرية، وبينت أن الإسلام حض على العمل، وطالب القرآن باستخراج خيرات الطبيعة لقوله تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا﴾ [البقرة: ٢٩/ ٢] لأن العمل في الحقيقة أساس التقدم وبناء الكون كله. وبه يتم التفاضل بين الناس في الدنيا والآخرة، أما العمل في الدنيا: فهو كل جهد يؤدي إلى جلب نفع عام أو خاص، أو منع أذى خاص أو عام، أو ازدهار صناعة مفيدة، أو زيادة طيبات الحياة، أو انتشار عمران.

وأما العمل للآخرة: فهو أداء الفروض الدينية فكرا وتعلما وعملا وامتناعا **عن الشر ومختلف** أنواع الجرائم. ويشمل أيضا النية الطيبة في إنجاز الأعمال الدنيوية.

والمهم الآن تكرار ما قلته من أن العمل وإن كان هو الأساس الأول للقيمة الاقتصادية للسلع وللقيمة الاجتماعية للفرد وللتنمية الاقتصادية، ولاستغلال الثروة الطبيعية، فإن قيمة السلعة تتحدد بحسب العرض والطلب الواقعين عليها، مع التزام مبدأ السعر العادل، وفي ظل من رقابة الدولة. بدليل قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض» (صحيح) ويضم إليه إفتاء فقهاء المدينة السبعة

في عصر التابعين والمالكية والحنابلة ومتأخري الزيدية بجواز تسعير السلع، حينما استبد الجشع والطمع ببعض الناس، وتغالوا في قيم البضائع (١)، وذلك عملا بالمصلحة المرسلة مما أوجب القول بتدخل الحاكم لرد التجار إلى مبدأ السعر العادل (أو قيمة المثل) الذي لا يشتمل على غبن فاحش (٢). وعلى هذا فإن أسعار البضائع المصنوعة الآن يدخل العمل أساسا في تقدير أثمانها، ويراعى في ذلك المصلحة العامة، والعدالة في التقييم.

---

(١) الحسبة لابن تيمية ص/١٨٧

وقال جمهور الفقهاء بحرمة التسعير إلا إذا حصل تعد فاحش في قيمة السلع استنادا إلى قول النبي – صلى الله عليه وسلم – فيما أخرجه الخمسة إلا النسائي عن أنس: «إن الله هو القابض الباسط الرازق المسعر» ولأن الثمن حق البائع، فكان إليه تقديره، فلا ينبغي للإمام أن يتعرض لحقه. وهذا صحيح في عصر النبي حيث كان يسود الورع.

وقال ابن القيم: يجوز التسعير في الأعمال، فإذا احتاج الناس إلى أرباب الصناعات كالفلاحين وغيرهم، أجبروا على ذلك بأجرة المثل. وهذا من التسعير الواجب، فهذا تسعير في الأعمال.

ويفضل الإسلام أن يكون مورد الإنسان من طريق العمل، ويمقت بصفة عامة كون الإيراد بدون عمل، ومن هنا حرم الربا والقمار والتدليس والغبن والاستغلال والاحتكار. وتأثر بعض العلماء بهذا الاتجاه التشريعي، فحرم أيضا إجارة الأرض، وتمسك برأيه القائلون بجواز التأميم أو تحديد الملكية.

(٢) – وفي الطرق الحكمية – (ج ١ / ص ٣٤٥)

١٠٨ – ١٠٨ – (فصل) في التسعير وقد تنازع العلماء في التسعير في مسألتين: إحداهما: إذا كان للناس سعر غالب، فأراد بعضهم أن يبيع بأغلى من ذلك، فإنه يمنع من ذلك عند مالك.

وهل يمنع من النقصان؟ على قولين لهم.

واحتج مالك رحمه الله بما رواه في موطئه " عن يونس بن يوسف عن سعيد بن المسيب: " أن عمر بن الخطاب مر بحاطب بن أبي بلتعة، وهو يبيع زبيبا له بالسوق، فقال له عمر: إما أن تزيد في السعر، وإما أن ترفع من سوقنا ". =".
(١)

١٠-"...................................

= وقد يكون السحر من أشياء يفعلها السحرة مع عقد ينفثون فيها، كما قال الله سبحانه: ومن شر النفاثات في العقد وقد يكون من أعمال أخرى يتوصلون إليها من طريق الشياطين فيعملون أعمالا قد تغير عقل الإنسان، وقد تسبب مرضا له، وقد تسبب تفريقا بينه وبين زوجته فتقبح عنده، ويقبح منظرها فيكرهها، وهكذا هي قد يعمل معها الساحر ما يبغض زوجها إليها، وينفرها من زوجها، وهو كفر صريح بنص القرآن، حيث قال عز وجل: واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر فأخبر سبحانه عن كفرهم بتعليمهم الناس السحر، وقال بعدها: وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ثم قال سبحانه: فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله يعني: هذا السحر وما يقع منه **من الشر كله** بقدر سابق بمشيئة الله، فربنا جل وعلا لا يغلب، ولا يقع في ملكه ما لا يريد، بل لا يقع شيء في هذه الدنيا ولا في الآخرة إلا بقدر سابق؛ لحكمة بالغة شاءها سبحانه وتعالى، فقد يبتلى هؤلاء بالسحر،

(١) الحسبة لابن تيمية ص/٢٨٣

ويبتلى هؤلاء بالمرض، ويبتلى هؤلاء بالقتل. . . إلى غير ذلك، ولله الحكمة البالغة فيما يقضي ويقدر، وفيما يشرعه سبحانه لعباده، ولهذا قال سبحانه: وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله يعني: بإذنه الكوني القدري لا بإذنه الشرعي، فالشرع يمنعهم من ذلك ويحرم عليهم ذلك، لكن بالإذن القدري الذي مضى به علم الله وقدره السابق أنه يقع من فلان السحر، ويقع من فلانة، ويقع على فلان، وعلى فلانة، كما مضى قدره: بأن فلانا يصاب بقتل، أو يصاب بمرض كذا، ويموت في بلد كذا، ويرزق كذا، ويغتني أو يفتقر، وكله بمشيئة الله وقدره سبحانه وتعالى، كما قال جل وعلا: إنا كل شيء خلقناه بقدر وقال سبحانه: ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير فهذه الشرور التي قد تقع من السحرة ومن غيرهم، لا تقع عن جهل من ربنا فهو العالم بكل شيء سبحانه وتعالى، لا يخفى عليه خافية جل وعلا، كما قال سبحانه: إن الله بكل شيء عليم وقال سبحانه: لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما فهو يعلم كل شيء، ولا يقع في ملكه ما لا يريد سبحانه وتعالى، ولكن له الحكمة البالغة، والغايات المحمودة فيما يقضي ويقدر مما يقع فيه الناس من عز وذل، وإزالة ملك، وإقامة ملك، ومرض وصحة، وسحر وغيره. وسائر الأمور التي تقع في العباد كلها عن مشيئة، وعن قدر سابق. وهؤلاء السحرة قد يتعاطون أشياء تخييلية، كما تقدم في قوله عز وجل: قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى يخيل إلى الناظر أن هذه العصي، وأن هذه الحبال حيات تسعى في الوادي، وهي حبال وعصي، لكن السحرة خيلوا للناس لما أظهروا أمام أعينهم من أشياء تعلموها تغير الحقائق على الناس بالنظر إلى أبصارهم، قال سبحانه: يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى وقال تعالى في سورة الأعراف: قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم وهي في الحقيقة تخيرت، حبال وعصي، ولكن تغير نظرهم إليها بسبب السحر فاعتقدوها حيات بسبب التلبيس الذي حصل من السحرة، وتسميه بعض الناس: " تقمير " وهو: أن يعمل الساحر أشياء تجعل الإنسان لا يشعر بالحقيقة على ما هي عليه، فيكون بصره لا يدرك الحقيقة فقد يؤخذ من حانوته أو منزله ما فيه ولا يشعر بذلك، يعني: أنه لم يعرف الحقيقة، فقد يرى الحجر دجاجة، أو يرى الحجر بيضة، أو ما أشبه ذلك. لأن الواقع تغير في عينيه. بسبب عمل الساحر وتلبيسه، فسحرت عيناه،

وجعل هناك من الأشياء التي يتعاطاها السحرة من المواد ما تجعل عينيه لا تريان الحقيقة على ما هي عليه، هذا من السحر الذي سماه الله: عظيما في قوله جل وعلا في سورة الأعراف: فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم والصحيح عند أهل العلم: أن الساحر يقتل بغير استتابة. لعظم شره وفساده، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أنه يستتاب، وأنهم كالكفرة الآخرين يستتابون، ولكن الصحيح من أقوال أهل العلم: أنه لا يستتاب. لأن شره عظيم، ولأنه يخفي شره، ويخفي كفره، فقد يدعي أنه تائب وهو يكذب، فيضر الناس ضررا عظيما فلهذا ذهب المحققون من أهل العلم إلى أن من عرف وثبت سحره يقتل ولو زعم أنه تائب ونادم، فلا يصدق في قوله.

ولهذا ثبت عن عمر أنه كتب إلى أمراء الأجناد أن يقتلوا كل من وجدوا من السحرة، حتى يتقي شرهم، قال أبو عثمان النهدي: (فقتلنا ثلاث سواحر)، هكذا جاء في صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة، وهكذا صح عن حفصة أنها قتلت جارية لها، لما علمت أنها تسحر قتلتها، وهكذا جندب بن عبد الله رضي الله عنه الصحابي الجليل لما رأى ساحرا

يلعب برأسه – يقطع رأسه ويعيده، يخيل على الناس بذلك – أتاه من جهة لا يعلمها فقتله، وقال: (أعد رأسك إن كنت صادقا).

والمقصود: أن السحرة شرهم عظيم. ولهذا يجب أن يقتلوا، فولي الأمر إذا عرف أنهم سحرة، وثبت لديه ذلك بالبينة الشرعية وجب عليه قتلهم. صيانة للمجتمع من شرهم وفسادهم. ومن أصيب بالسحر ليس له إن يتداوى بالسحر، **فإن الشر لا** يزال بالشر، والكفر لا =". (١)

١١-"...................................

= يزال بالكفر، وإنما **يزال الشر بالخير**. ولهذا لما سئل عليه الصلاة والسلام عن النشرة قال: هي من عمل الشيطان والنشرة المذكورة في الحديث: هي حل السحر عن المسحور بالسحر.

أما إن كان بالقرآن الكريم والأدوية المباحة والرقية الطيبة فهذا لا بأس به، وأما بالسحر فلا يجوز كما تقدم. لأن السحر عبادة للشياطين، فالساحر إنما يسحر ويعرف السحر بعد عبادته للشياطين، وبعد خدمته للشياطين، وتقربه إليهم بما يريدون، وبعد ذلك يعلمونه ما يحصل به السحر، لكن لا مانع والحمد لله من علاج المسحور بالقراءة وبالتعوذات الشرعية، بالأدوية المباحة، كما يعالج المريض من أنواع المرض من جهة الأطباء، وليس من اللازم أن يشفى. لأنه ما كل مريض يشفى، فقد يعالج المريض فيشفى إذا كان الأجل مؤخرا، وقد لا يشفى ويموت في هذا المرض، ولو عرض على أحذق الأطباء وأعلم الأطباء لأنه متى نزل الأجل لم ينفع الدواء ولا العلاج. لقول الله تعالى: ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها

وإنما ينفع الطب وينفع الدواء إذا لم يحضر الأجل وقدر الله للعبد الشفاء، كذلك هذا الذي أصيب بالسحر قد. يكتب الله له الشفاء، وقد لا يكتب له الشفاء. ابتلاء وامتحانا، وقد يكون لأسباب أخرى الله يعلمها جل وعلا، منها: أنه قد يكون الذي عالجه ليس عنده العلاج المناسب لهذا الداء، وقد صح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برئ بإذن الله عز وجل وقال عليه الصلاة والسلام: ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله ٤ ومن العلاج الشرعي: أن يعالج السحر بالقراءة، فالمسحور يقرأ عليه أعظم سورة في القرآن: وهي الفاتحة، تكرر عليه، فإذا قرأها القارئ الصالح المؤمن الذي يعرف أن كل شيء بقضاء الله وقدره، وأنه سبحانه وتعالى مصرف الأمور، وأنه متى قال للشيء: كن فإنه يكون، فإذا صدرت القراءة عن إيمان، وعن تقوى، وعن إخلاص، وكرر ذلك القارئ فقد يزول السحر ويشفى صاحبه بإذن الله، وقد مر بعض الصحابة رضي الله عنهم على بادية قد لدغ شيخهم، يعني: أميرهم، وقد فعلوا كل شيء ولم ينفعه، فقالوا لبعض الصحابة: هل فيكم من راق؟ قالوا: نعم. فقرأ عليه أحدهم سورة الفاتحة، فقام كأنما نشط من عقال في الحال، وعافاه الله من شر لدغة الحية. والنبي عليه الصلاة والسلام

(١) الحسبة لابن تيمية ص/٣٢٢

قال: لا بأس بالرقى ما لم تكن شركا وقد رقى ورقي عليه الصلاة والسلام، فالرقية فيها خير كثير، وفيها نفع عظيم، فإذا قرئ على المسحور بالفاتحة، وبآية الكرسي، وبقل هو الله أحد، والمعوذتين، أو بغيرها من الآيات، مع الدعوات الطيبة الواردة في الأحاديث عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، مثل قوله – صلى الله عليه وسلم – لما رقى بعض المرضى: اللهم رب الناس أذهب البأس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما يكرر ذلك ثلاث مرات أو أكثر، ومثل ما ورد عنه – صلى الله عليه وسلم – أن جبريل عليه السلام رقاه – صلى الله عليه وسلم – بقوله بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيك ثلاث مرات فهذه رقية عظيمة وثابتة عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، يشرع أن يرقى بها اللديغ والمسحور والمريض، ولا بأس أن يرقى المريض والمسحور واللديغ بالدعوات الطيبة، وإن لم تكن منقولة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – إذا لم يكن فيها محذور شرعا. لعموم قوله – صلى الله عليه وسلم –: لا بأس بالرقى ما لم تكن شركا وقد يعافي الله المريض والمسحور وغيرهما بغير الرقية وبغير أسباب من الإنسان؛ لأنه سبحانه هو القادر على كل شيء، وله الحكمة البالغة في كل شيء، وقد قال سبحانه في كتابه الكريم: إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فله سبحانه الحمد والشكر على كل ما يقضيه ويقدره، وله الحكمة البالغة في كل شيء عز وجل

وقد لا يشفى المريض. لأنه قد تم أجله وقدر موته بهذا المرض. ومما يستعمل في الرقية آيات السحر تقرأ في الماء، وهي آيات السحر في الأعراف، وهي قوله تعالى: وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين وفي يونس وهي قوله تعالى: وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم إلى قوله جل وعلا: ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون وكذلك آيات طه: قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى إلى قوله سبحانه: ولا يفلح الساحر حيث أتى وهذه الآيات مما ينفع الله بها في رقية السحر، وإن قرأ القارئ هذه الآيات في الماء وقرأ معها سورة الفاتحة، وآية الكرسي، وبقل هو الله أحد، والمعوذتين في ماء ثم صبه على من يظن أنه مسحور، أو محبوس عن زوجته فإنه يشفى بإذن الله، إن وضع في الماء سبع ورقات من السدر الأخضر بعد دقها كان مناسبا، كما ذكر ذلك الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله في (فتح المجيد) عن بعض أهل العلم في باب (ما جاء في النشرة).

ويستحب أن يكرر قراءة السور الثلاث، وهي: (قل هو الله أحد)، و (قل أعوذ برب الفلق)، و (قل أعوذ برب الناس) ثلاث مرات.

والمقصود: أن هذه الأدوية وما أشبهها هي مما يعالج به هذا البلاء: وهو السحر، ويعالج به أيضا من حبر عن زوجته، وقد جرب ذلك كثيرا فنفع الله به، وقد يعالج بالفاتحة وحدها فيشفى، وقد يعالج بقل هو الله أحد والمعوذتين وحدها ويشفى.

ومن المهم جدا أن يكون المعالج والمعالج عندهما إيمان صادق، وعندهما ثقة بالله، وعلم بأنه سبحانه مصرف الأمور، وأنه متى شاء شيئا كان، وإذا لم يشأ لم يكن سبحانه وتعالى، فالأمر بيده جل وعلا، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فعند الإيمان وعند الصدق مع الله من القارئ والمقروء عليه يزول المرض بإذن الله وبسرعة، وتنفع الأدوية الحسية

والمعنوية.

نسأل الله أن يوفقنا جميعا لما يرضيه، إنه سميع قريب.". (١)

١٢-"فمنها عقوبات مقدرة (١)؛ مثل جلد المفتري ثمانين (٢) وقطع السارق (٣).

---

(١) - وفي شرح الأربعين النووية - (ج ٢ / ص ١٢٠)

وأما الحدود -اصطلاحا- فهي عقوبات مقدرة شرعا لتمنع من الوقوع، في مثل ما ارتكب من المعاصي.

والحدود ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع العلماء في الجملة، ويقتضيها القياس الصحيح، فهي جزاء لما انتهكه العاصي من محارم الله تعالى.

حكمتها التشريعية:

لها حكم جليلة، ومعان سامية، وأهداف كريمة.

ولذا ينبغي إقامتها، لداعي التأديب والتطهير والمعالجة، لا لغرض التشفي والانتقام، لتحصل البركة والمصلحة، فهي نعمة من الله تعالى كبيرة على خلقه.

فهي للمحدود طهرة عن إثم المعصية، وكفارة عن عقابها الأخروي.

وهي له ولغيره رادعة وزاجرة عن الوقوع في المعاصي.

وهي مانعة وحاجزة من انتشار الشرور والفساد في الأرض.

فهي أمان وضمان للجمهور على دمائهم، وأعراضهم، وأموالهم.

وبإقامتها يصلح الكون، وتعمر الأرض، ويسود الهدوء والسكون، وتتم النعمة بانقماع **أهل الشر والفساد**.

وبتركها -والعياذ بالله- **ينتشر الشر ويكثر** الفساد، فيحصل من الفضائح والقبائح، ما معه يكون بطن الأرض خيرا من ظهرها.

ولا شك أنها من حكمة الله تعالى ورحمته. والله عزيز حكيم.

على أن الشارع الرحيم حين شرع الحدود، سبقت رحمته فيها عقابه.

فعفا عن الصغار، وذاهبي العقول. والذين فعلوا لجهل بحقيقتها.

وصعب أيضا ثبوتها، فاشترط في الزنا أربعة رجال عدول، يشهدون بصريح وقوع الفاحشة، أو اعترافا من الزاني بلا إكراه وبقاء منه على اعترافه حتى يقام عليه الحد.

وفي السرقة لا قطع إلا بالثبوت التام، وانتفاء للشبهة، وتمام لشروط القطع. إلى غير ذلك مما هو مذكور في بابه.

وأمر بدرء الحدود بالشبهات، كل هذا لتكون توبة العبد بينه وبين نفسه. والله غفور رحيم.

---

(١) الحسبة لابن تيمية ص/٣٢٣

اونظر تيسير العلام شرح عمدة الحكام- للبسام - (ج ٢ / ص ١٣٩) والموسوعة الفقهية١ - ٤٥ كاملة - (ج ٢ / ص ٤٤٥٨) والموسوعة الفقهية١ - ٤٥ كاملة - (ج ٢ / ص ٨٩٧٤) والفقه الإسلامي وأدلته - (ج ١ / ص ٢٢) و (ج ٤ / ص ٦٣٥) و (ج ٨ / ص ١١٥) والتشريع الجنائي في الإسلام - (ج ٢ / ص ٨٥ - ٨٦) و (ج ٢ / ص ١٦٩) و (ج ٢ / ص ١٨٩) و (ج ٢ / ص ١٩٢) وموسوعة الأسرة المسلمة الشاملة - (ج ٢ / ص ٤٩٠) وشرح زاد المستقنع - (ج ٣٧٢ / ص ٣) ومطالع التمام ونصائح الأنام - (ج ١ / ص ٧) ومجموع فتاوى ابن تيمية - (ج ٣ / ص ٥٨)

(٢) - لقوله تعالى: ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون﴾ (٤) سورة النور

(٣) - لقوله تعالى: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم﴾ (٣٨) سورة المائدة". (١)

١٣-"ص -٤٨٩- وهذا أمر بين لا شبهة فيه، فإن مثل ذينك العيدين، لو عاد الناس إليهما بنوع مما كان يفعل فيهما - إن رخص فيه - كان مراغمة بينه وبين ما نهى عنه، فهو المطلوب.

والمحذور في أعياد أهل الكتابين التي نقرهم عليها، أشد من المحذور في أعياد الجاهلية التي لا نقرهم عليها، فإن الأمة قد حذروا مشابهة اليهود والنصارى، وأخبروا أن سيفعل قوم منهم هذا المحذور، بخلاف دين الجاهلية، فإنه لا يعود إلا في آخر الدهر، عند اخترام أنفس المؤمنين عموما، ولو لم يكن أشد منه، فإنه مثله على ما لا يخفى، **إذ الشر الذي** له فاعل موجود، يخاف على الناس منه أكثر من شر لا مقتضى له قوي.

حديث ثابت بن الضحاك: فهل كان فيها عيد من أعيادهم، أي المشركين

الحديث الثاني: ما رواه أبو داود، حدثنا داود بن رشيد حدثنا شعيب بن إسحاق، عن الأوزاعي، حدثني يحيى بن أبي كثير، حدثني". (٢)

١٤-"ص -٥١٠- الأمة، كراهة ونهيا عن ذلك، وإلا لوقع ذلك كثيرا، إذ الفعل مع وجود مقتضيه، وعدم منافيه، واقع لا محالة، والمقتضى واقع، فعلم وجود المانع، والمانع هنا هو: الدين، فعلم أن الدين دين الإسلام هو المانع من الموافقة، وهو المطلوب.

إتفاق الصحابة على أن لا يظهر أهل الذمة أعيادهم

الثاني: أنه قد تقدم في شروط عمر رضي الله عنه، التي اتفقت عليها الصحابة، وسائر الفقهاء بعدهم - أن أهل الذمة من أهل الكتاب لا يظهرون أعيادهم في دار الإسلام، وسموا الشعانين والباعوث، فإذا كان المسلمون قد اتفقوا على

---

(١) الحسبة لابن تيمية ص/٣٣١

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ١١/١٤

منعهم من إظهارها، فكيف يسوغ للمسلمين فعلها؟ أو ليس فعل المسلم لها أشد من فعل الكافر لها، مظهرا لها؟.

وذلك: أنا إنما منعناهم من إظهارها لما فيه من الفساد: إما لأنها معصية أو شعار المعصية، وعلى التقديرين: فالمسلم ممنوع من المعصية، ومن شعار المعصية، ولو لم يكن في فعل المسلم لها **من الشر إلا** تجرئة الكافر على إظهارها لقوة قلبه بالمسلم إذا فعلها؟ فكيف وفيها **من الشر ما** سننبه على بعضه؟.

الثالث: نهي الصحابة والسلف عن مشاركة الكفار في أعيادهم أو الدخول عليهم فيها أو شهودها ونحو ذلك

الثالث: ما تقدم من رواية أبي الشيخ الأصبهاني، عن عطاء بن يسار". [١]

١٥-"ص -٥٤٠- واستعان الشيطان في إغوائهم بذلك أن الزمان زمان ربيع، وهو مبدأ العام الشمسي، فيكون قد كثر فيه اللحم واللبن والبيض ونحو ذلك، مع أن عيد النصارى ليس هو يوما محدودا من السنة الشمسية، وإنما يتقدم فيها ويتأخر، في نحو ثلاثة وثلاثين يوما كما قدمناه.

وهذا كله تصديق قول النبي صلى الله عليه وسلم: " لتتبعن سنن من كان قبلكم " وسببه: مشابهة الكفار في القليل من أمر عيدهم، وعدم النهي عن ذلك، وإذا كانت المشابهة في القليل ذريعة ووسيلة إلى بعض هذه القبائح كانت محرمة، فكيف إذا أفضت إلى ما هو كفر بالله، من التبرك بالصليب والتعميد في العمودية، أو قول القائل: المعبود واحد، وإن كانت الطرق مختلفة ونحو ذلك من الأقوال والأفعال التي تتضمن إما كون الشريعة النصرانية واليهودية، المبدلتين المنسوختين – موصلة إلى الله، وإما استحسان بعض ما فيها، مما يخالف دين الله، أو التدين بذلك، أو غير ذلك مما هو كفر بالله وبرسوله وبالقرآن وبالإسلام بلا خلاف بين الأمة الوسط في ذلك، وأصل ذلك المشابهة والمشاركة.

وبهذا يتبين لك كمال موقع الشريعة الحنيفية، وبعض حكمة ما شرعه الله لرسوله من مباينة الكفار ومخالفتهم في عامة أمورهم، لتكون المخالفة أحسم لمادة الشر، وأبعد عن الوقوع فيما وقع فيه الناس،". [٢]

١٦-"ص -١٤- في شهود السوق، ولم يسأل عن بيع المسلم لهم، إما لظهور الحكم عنده، وإما لعدم الحاجة إليه إذ ذاك. وكلام الآمدي أيضا محتمل للوجهين. لكن الأظهر فيه الرخصة في البيع أيضا لقوله: إنما يمنعون أن يدخلوا عليهم بيعهم وكنائسهم. وقوله: وإن قصد إلى توفير ذلك وتحسينه لأجلهم.

فما أجاب به أحمد من جواز شهود السوق فقط للشراء منها، من غير دخول الكنيسة فيجوز، لأن ذلك ليس فيه شهود منكر، ولا إعانة على معصية، لأن نفس الابتياع منهم جائز، ولا إعانة فيه على المعصية، بل فيه صرف لما لعلهم يبتاعونه لعيدهم عنهم، فيكون فيه تقليل الشر، وقد كانت أسواق في الجاهلية، كان المسلمون يشهدونها، وشهد بعضها النبي صلى الله عليه وسلم، ومن هذه الأسواق ما كان يكون في مواسم الحج، ومنها ما كان يكون لأعياد باطلة.

وأيضا –فإن أكثر ما في السوق، أن يباع فيها ما يستعان به على المعصية، فهو كما لو حضر الرجل سوقا يباع فيها

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٣٥/١١

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٦٦/١١

السلاح لمن يقتل به معصوما أو العصير لمن يخمره، فحضرها الرجل ليشتري منها، بل هذا أجود، لأن". (١)

١٧-"ص -٢١٠- بل الواقع أن الابتهال الذي يفعله المقابريون إذا فعله المخلصون، لم يرد المخلصون إلا نادرا، ولم يستجب للمقابريين إلا نادرا، والمخلصون كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما من عبد يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى خصال ثلاث: إما النبي صلى الله عليه وسلم يعجل الله له دعوته، أو يدخر له من الخير مثلها، أو يصرف عنه **من الشر مثلها**، قالوا يا رسول الله، إذن نكثر. قال: الله أكثر". فهم في دعائهم لا يزالون بخير.

وأما المقبريون: فإنهم إذا استجيب لهم نادرا، فإن أحدهم يضعف توحيده، ويقل نصيبه من ربه، ولا يجد في قلبه من ذوق الإيمان وحلاوته ما كان يجده السابقون الأولون. ولعله لا يكاد يبارك له في حاجته، اللهم إلا أن يعفو الله عنهم لعدم علمهم بأن ذلك بدعة، فإن المجتهد إذا أخطأ أثابه الله على اجتهاده، وغفر له خطأه.

وجميع الأمور التي يظن أن لها تأثيرا في العالم وهي محرمة في الشرع، كالتمريجات الفلكية، والتوجهات النفسانية. كالعين، والدعاء المحرم،". (٢)

١٨-"ص -٢١٨- الفاعل والمغفرة له، وبين إباحة فعله أو المحبة له، سواء كان ذلك متعلقا بنفس الفعل، أو ببعض صفاته.

الدعاء قد يستجاب وإن كان غير مشروع، وأمثلة من ذلك

وقد علمت جماعة ممن سأل حاجته من بعض المقبورين، من الأنبياء والصالحين. فقضيت حاجته، وهو لا يخرج عما ذكرته، وليس ذلك بشرع فيتبع، ولا سنة وإنما يثبت استحباب الأفعال واتخاذها دينا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما كان عليه السابقون الأولون، وما سوى هذه من الأمور المحدثة فلا يستحب، وإن اشتملت أحيانا على فوائد، لأنا نعلم أن مفاسدها راجحة على فوائدها. ثم هذا التحريم أو الكراهة المقترنة بالأدعية المكروهة، إما من جهة المطلوب، وإما من جهة نفس الطلب، وكذلك الاستعاذة المحرمة أو المكروهة فكراهتها إما من جهة المستعاذ منه، وإما من جهة نفس الاستعاذة، فينجون من ذلك الشر، ويقعون فيما هو أعظم منه.

أما المطلوب المحرم، فمثل أن يسأل ما يضره في دنياه أو آخرته، وإن كان لا يعلم أنه يضره، فيستجاب له، كـ"الرجل الذي عاده النبي صلى الله عليه وسلم، فوجده مثل الفرخ فقال: هل كنت تدعو الله بشيء؟ قال: كنت أقول: اللهم". (٣)

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٧/١٤

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٦٣/١٨

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ٧١/١٨

١٩-"ص -٢٧٠- من أصغى إلى كلام الله وكلام رسوله بعقله، وتدبره بقلبه، وجد فيه من الفهم والحلاوة والبركة والمنفعة ما لا يجده في شيء من الكلام لا منظومه ولا منثوره.

ومن اعتاد الدعاء المشروع في أوقاته، كالأسحار، وادبار الصلوات والسجود، ونحو ذلك، أغناه عن كل دعاء مبتدع، في ذاته أو بعض صفاته.

فعلى العاقل أن يجتهد في اتباع السنة في كل شيء من ذلك، ويعتاض عن كل ما يظن من البدع إنه خير بنوعه، من السنن، فإنه من يتحر الخير يعطه، ومن **يتوق الشر يوقه**.". (١)

٢٠-" وإخبار والإخبار ينقسم إلى صدق وكذب والله تعالى يوصف بالصدق دون الكذب والإنشاء نوعان إنشاء تكوين وإنشاء تشريع فإنه سبحانه له الخلق والأمر وإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون والتكوين يستلزم الإرادة عند جماهير الخلائق وكذلك يستلزم الكلام عند أكثر أهل الإثبات وأما التشريع فيستلزم الكلام وفي استلزامه الإرادة نزاع والصواب أنه يستلزم أحد نوعي الإرادة كما سنبين إن شاء الله والإنشاء يتضمن الأمر والنهي والإباحة والله تعالى يوصف بأنه يأمر بالخير وينهى **عن الشر فهو** سبحانه لا يأمر بالفحشاء وكذلك الإرادة قد نزه نفسه عن بعض أنواعها بقوله تعالى وما الله يريد ظلما للعباد وقوله يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر فلهذا لم يجيء في أسمائه الحسنى المأثورة المتكلم والمريد

وأما ما يوصف به الرب من الكلام والإرادة فقد دلت عليه أسماؤه الحسنى وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الله تعالى متكلم بكلام قائم به وإن كلامه غير مخلوق وأنه مريد بإرادة قائمة به وإن إرادته ليست مخلوقة وأنكروا على الجهمية من المعتزلة وغيرهم الذين قالوا إن كلام الله مخلوق خلقه في غيره وإنه كلم موسى بكلام خلقه في الهواء واتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود ومعنى قولهم منه بدأ أي هو المتكلم به لم يخلقه في غيره كما قالت الجهمية من المعتزلة وغيرهم أنه بدأ من بعض المخلوقات وأنه سبحانه لم يقم به كلام ولم يرد السلف أنه كلام فارق ذاته فإن الكلام وغيره من الصفات لا تفارق الموصوف بل صفة المخلوق لا تفارقه وتنتقل إلى غيره فكيف تكون صفة الخالق تفارقه وتنتقل إلى غيره ولهذا قال الإمام أحمد كلام الله من الله ليس ببائن منه ورد بذلك على الجهمية المعتزلة وغيرهم الذين يقولون كلام الله بائن منه خلقه في بعض الأجسام ومعنى قول السلف إليه يعود ما جاء في الآثار إن ". (٢)

٢١-" خالية وثقة من أجناس منام النائم فيرى في نفسه ضوءا وذلك هو الرسالة عندهم ويسمع وذلك هو كلام الله عندهم

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢٠/٥

(٢) العقيدة الأصفهانية ص/٢٠

الثالث أن تكون لنفسه قوة على ان تؤثر في العالم وهذه الأقوال الثلاثه تحصل لخلق كثير هم دون رتبة الصالحين فضلا عن النبوة ولهذا كانت النبوة عندهم مكتسبة فصار كثير منهم يطلب أن يصير نبيا كما جرى للسهروردي المقتول ولابن سبعين ولهذا كان ابن سبعين يقول لقد زدت في حديث قال لا نبي بعد نبي عربي وهؤلاء يجعلون النبوة إنما هي من جنس واحد وقوة الناس في العلم والقدرة لكن يقول بينهما من الفصل بإرادة النبي الخير وإرادة **الساحر الشر ويقولون** الملك والشيطان قوي لكن قوة الملك قوة صالحة وقوة الشيطان قوة فاسدة وأما من يقول الملائكة والجن هم جنس واحد لا فرق بينهما في الصفات فهؤلاء يقولون إن هذا القدر يحصل نوع منه لغيرهم من الأولياء لكن يحصل لهم ما هو دون ذلك وهذا على طريقة عقلاء المتفلسفة الذين يفضلون النبي على الفيلسوف والولي كابن سينا وأمثاله

وأما غلاتهم كالفارابي وأمثاله الذين قد يفضلون الفيلسوف على النبي كما يفضل أشباههم كابن عربي الطائي صاحب الفتوحات المكية وفصوص الحكم وغيرهما فإنهم يفضلون الولي على النبي

وكان يدعي أنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي به إلى النبي وإن الملك على أصلهم هو الحال الذي في نفس النبي والنبي بزعمهم يأخذ عن ذلك الحال والحال يأخذ عن العقل ثم زعم هذا إنه يأخذ عن العقل الذي في هذا الخيال فلهذا قال إنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك ما يوحي به إلى النبي فهؤلاء شاركوهم في أصل طريقهم لكن عظم ضلالهم وجهلهم بقدر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أن أصل معرفة هؤلاء بقدر النبوة معرفة ناقصة بتراء بل من عرف ما جاءت به الأنبياء وما يذكرونه في قدرة النبوة علم إنهم آمنوا ببعض ما جاءت به الرسل وكفروا ." (١)

٢٢-"والقياس: لو كانت المسابقة من الطرفين قمارا محرما فإنهم رأوا أن هذه ليست جعالة يقصد الجاعل فيها بدل الجعل في عمل ينتفع به؛ إنما قصد أن يغلب صاحبه فحرموها، وقالوا: دخول المحلل فيها يزيدها شرا، وأن المقامرة حرمت لما فيها من أكل المال بالباطل، والمحلل يزيدها شرا؛ فإن المتسابقين إذا غلب أحدهما صاحبه فأخذ ماله كان هذا في مقابلة أن الآخر إذا غلبه أخذ ماله. فكان مبناها على العدل؛ بخلاف المحلل فإنه ظلم محض؛ فإنه بعرضة أن يغنم أو يسلم، والآخران قد يغرمان فلا يستوون في المغنم والمغرم والسلامة؛ بخلاف إذا لم يكن بينهما محلل فكلاهما قد يغنم وقد يغرم وقد يسلم فيما إذا تساويا وجاءا معا. فهذا أقرب إلى العدل؛ فإذا حرم الأقرب إلى العدل فلأن يحرم الأبعد عنه بطريق الأولى.

وأيضا فإذا قيل: هذا محرم لما فيه من المخاطرة وأكل المال بالباطل كان بالمحلل أشد تحريما؛ لأنها أشد مخاطرة وأشد أكلا للمال بالباطل؛ لأنها عند عدمه إنما أن يغنم أو يغرم أحدهما، وهنا المخاطرة باقية كل منهما قد يغنم أو قد يغرم، وانضم إلى ذلك مخاطرة ثالثة وهي أنه هناك يغرم إذا غلبه صاحبه، وهنا يغرم إذا غلبه، وإذا غلبه المحلل فكان المحلل زيادة في المخاطرة.

---

(١) العقيدة الأصفهانية ص/١٤١

وأيضا: فإن كلا يحتمل أن يغلب ويغنم أو يغرم. وأما المحلل فلا يحتمل أن يغلب أو يغرم؛ بل هو يغنم لا محالة أو يسلم.

فمن تدبر هذه الأمور علم أن الشريعة منزهة عن مثل هذا أن **تحرم الشر لمجرد** مفسدة قليلة وتبيحها بالمفسدة عينها إذا كثرت، ولكن أصحاب الحيل كثيرا ما يقعون في هذا فيحرمون على الرجل بعض أنواع الزيادة دفعا لأكل المال بالباطل لئلا يتضرر، ويفتحون له حيلة يؤكل فيها ماله بالباطل أكثر، ويكون فيها ظلمه وضرره أعظم.

ومن العلماء من أباح السبق بالمحلل، كقول أبي حنيفة والشافعي وأحمد وإحدى الروايتين عن مالك. وهذا مبني على أصلين.

أحدهما: أن هذه جعالة.". (١)

٢٣-"أسماعهم وأبصارهم وذرياتهم وأزواجهم أبدا ما أبقيتهم واجعلهم شاكرين لنعمك مثنين بها عليك، قابليها وأتمها عليهم برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم واغفر لجميع موتى المسلمين الذين شهدوا لك بالوحدانية، ولنبيك بالرسالة، وماتوا على ذلك، اللهم اغفر لهم وارحمهم وعافهم واعف عنهم، وأكرم نزلهم ووسع مدخلهم واغسلهم بالماء والثلج والبرد ونقهم من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم ﴾ اللهم إنا نسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك **من الشر كله** عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، ونسألك من خير ما سألك منه عبدك ورسولك محمد - صلى الله عليه وسلم - وعبادك الصالحون، ونعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد - صلى الله عليه وسلم - وعبادك الصالحون، اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، ونسألك رضاك والجنة، ونعوذ بك من سخطك والنار، اللهم لا تدع لنا ذنبا إلا غفرته، ولا هما إلا فرجته، ولا دينا إلا قضيته، ولا مريضا إلا شفيته وعافيته ولا حاجة هي لك رضا ولنا فيها صلاح إلا قضيتها يا أرحم الراحمين: ﴿ ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ﴾ ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين". (٢)

٢٤-"وأما ما يقع من ظلمهم وجورهم بتأويل سائغ أو غير سائغ فلا يجوز أن يزال بما فيه ظلم وجور، كما هو عادة أكثر النفوس **يزيل الشر بما** هـ شر منه، ويزيل العدوان بما هو أعدى منه، فالخروج عليهم يوجب من الظلم والفساد أكثر من ظلمهم فيصير عليه، كما يصبر عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ظلم المأمور المنهي في مواضع

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم ص/٥١

(٢) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم ص/٩١

كثيرة كقوله: ﴿ وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ﴾ [٣١/١٧]، وقوله: ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾ [٤٦/٣٥] وقوله: ﴿ واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ﴾ [٥٢/٤٨]، وهذا عام في ولاة الأمور وفي الرعية إذا أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فعليهم أن يصبروا على ما أصيبوا به في ذات الله كما يصبر المجاهدون على ما يصاب من أنفسهم وأموالهم، فالصبر على الأذى في العرض أولى وأولى، وذلك لأن مصلحة الأمر والنهي لا تتم إلا بذلك، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وقد يندرج في ذلك ولاة الأمور فإن عليهم من الصبر والحلم ما ليس على غيرهم، كما أن عليهم من الشجاعة والسماحة ما ليس على غيرهم؛ لأن مصلحة الإمارة لا تتم إلا بذلك، فكما وجب على الأئمة الصبر على أذى الرعية وظلمها إذا لم تتم المصلحة إلا بذلك أو كان تركه يفضي إلى فساد أكثر منه.

وكذلك يجب على الرعية الصبر على جور الأئمة وظلمهم إذا كان في ترك الصبر مفسدة راجحة.". (١)

٢٥-"فعلى كل من الراعي والرعية حقوقا للآخر، حقوقا عليه أداؤها كما ذكرت بعضه في كتاب الجهاد والقضاء، وعليه أن يصبر على الآخر ويحلم عنه في أمور، فلا بد من السماح والصبر في كل منهما، كما قال تعالى: ﴿ وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ﴾ [٩٠/١٧] وفي الحديث "أفضل الإيمان السماحة والصبر" وفي أسماء الله "الغفور، الرحيم" فبالحلم يعفو عن سيئاتهم، وبالسماحة يوصل إليهم المنافع، فيجمع بين جلب المنفعة ودفع المضرة، فأما الإمساك عن ظلمهم والعدل عليهم فوجوب ذاك أظهر من هذا، فلا حاجة إلى بيانه(١).

باب قتل أهل البغي

وهم الخارجون على الإمام بتأويل سائغ(٢).

قال شيخنا: عامة الفتن التي وقعت من أعظم أسبابها قلة الصبر؛ إذ الفتنة لها سببان: إما ضعف العلم، وإما ضعف الصبر، فإن الجهل والظلم أصل الشر، **وفاعل الشر إنما** يفعله لجهله بأنه شر، وتكون نفسه تريده فبالعلم يزول الجهل، وبالصبر يحبس الهوى والشهوة فتزول تلك الفتنة(٣).

والأفضل ترك قتال أهل البغي حتى يبدؤه (وم).

وله قتل أهل الخوارج ابتداء أو متممة تخريجهم.

ومن استحل أذى من أمره ونهاه بتأويل فكالمبتدع ونحوه يسقط بتوبته حق الله تعالى وحق العبد، واحتج أبو العباس لذلك بما أتلفه البغاة، لأنه من الجهاد الذي يجب الأجر فيه على الله تعالى(٤).

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم ص/١٠٠

(١) من مجموع (٩٦) ص (١١٤) وهي آخر فصل جامع قد كتبت فيما تقدم في مواضع مثل بعض القواعد وآخر مسودة الفقه إن جماع الحسنات العدل وجماع السئات الظلم إلخ، وقد طبعنا أولها إلى قوله وأصل ذلك العلم في المجلد الأول من المجموع ص (٨٧) وتركنا آخرها لوجود أسطر غير مقروءة إذ ذاك، وقد يسير الله قراءتها وتتميما للفائدة نقلت بقية هذه القاعدة هنا لمناسبة آخرها لهذا الباب ف (٢/ ٣٨١).

(٢) فروع (٦/ ١٥٢)، ف (٢/ ٣٨٤).

(٣) فروع (٦/ ١٦٠)، ف (٢/ ٣٨٥).

(٤) فروع (٦/ ٦٥١) واختيارات (٢٩٧)، ف (٢/ ٣٨٥).". [١]

٢٦-"ونبأ الفاسق ليس بمردود بل هو موجب للتبين والتثبت كما قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين * ﴾ [٤٩/٦] وفي القراءة الأخرى: ﴿ فتثبتوا ﴾ فعلينا التبين والتثبت عند خبر الفاسق الواحد ولم نؤمر به عند خبر الفاسقين، وذلك أن خبر الاثنين يوجب من الاعتقاد ما لا يوجبه خبر الواحد، أما إذا علم أنهما لم يتواطئا فهذا قد يحصل به العلم.

وترد الشهادة بالكذبة الواحدة، وإن لم نقل هي كبيرة وهي رواية عن الإمام أحمد.

ومن شهد على إقرار كذب مع علمه بالحال أو تكرر منه النظر إلى الأجنبيات والقعود في مجالس تنتهك فيها المحرمات الشرعية قدح ذلك في عدالته(١) ولا يستريب أحد فيمن صلى محدثا أو إلى غير القبلة، أو بعد الوقت أو بلا قراءة أنها كبيرة.

ويحرم اللعب بالشطرنج، وهو قول أحمد وغيره من العلماء، كما لو كان بعوض أو تضمن ترك واجب أو فعل محرم إجماعا وهو شر من النرد وقاله مالك.

ومن ترك الجماعة فليس عدلا، ولو قلنا هي سنة.

وتحرم محاكاة الناس على وجه السخرية المضحكة ويعزر فاعلها هو ومن يأمره بها، لأنه أذى.

ومن دخل قاعات البغايا، فتح على نفسه **باب الشر وصار** من أهل التهم عند الناس؛ لأنه اشتهر عمن اعتاد دخولها وقوعه في مقدمات الجماع المحرم أو فيه.

والعشرة المحرمة، والنفقة في غير الطاعة، وعلى كافل الأمرد منعه منها، ومن عشرة أهلها ولو لمجرد خوف وقوع الصغائر فقد بلغ عمر رضي الله عنه: أن رجلا تجتمع إليه الأحداث فنهى عن الاجتماع به لمجرد الريبة.

وتقبل شهادة الكافر على المسلم في الوصية في السفر إذا لم يوجد غيره، وهو مذهب أحمد، ولا تعتبر عدالتهم، وإن

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم ص/١٠١

شاء لم يحلفهم بسبب حق الله.

---

(١) وعبارة الفروع: النظر إلى الأجنبيات والقعود له بلا حاجة شرعية قدح في عدالته.". [١]

٢٧-"يكون إحسانا إليه في مقابلة مظلمته كما روي في الأثير، ومن هذا الباب قول النبي - صلى الله عليه وسلم - (إيما مسلم شتمته أو لعنته أو سببته أو جلدته فاجعل ذلك له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة) وهذا المعنى صحيح من وجه(١).

وإذا زنا بامرأة ثم تاب هل يعلم الزوج؟

وقال شيخ الإسلام تقي الدين أيضا: سئلت عن نظير هذه المسألة، وهو رجل تعرض لامرأة غيره فزنا بها، ثم تاب من ذلك، وسأله زوجها عن ذلك فأنكر، فطلب استحلافه، فإن حلف على نفي الفعل كانت يمينه غموسا، وإن لم يحلف قويت التهمة، وإن أقر جرى عليه وعليها من الشر أمر عظيم.

فأفتيته أنه يضم إلى التوبة فيما بينه وبين الله تعالى الإحسان إلى الزوج بالدعاء والاستغفار والصدقة عنه ونحو ذلك بما يكون بإزاء إيذائه له في أهله، فإن الزنا بها تعلق به حق الله تعالى، وحق زوجها من جنس حقه في عرضه، وليس مما ينجبر بالمثل كالدماء والأموال، بل هو من جنس القذف الذي جزاؤه من غير جنسه، فتكون توبة هذا كتوبة القاذف، وتعريضه كتعريضه وحلفه على التعرض كحلفه، وأما لو ظلمه في دم أو مال فإنه لا بد من إيفاء الحق فإن له بدلا، وقد نص أحمد رضي الله عنه في الفرق بين توبة القاتل وبين توبة القاذف.

وهذا الباب ونحوه فيه خلاص عظيم وتفريج كربات للنفوس من آثار المعاصي والمظالم، فإن الفقيه كل الفقيه الذي لا يؤيس الناس من رحمة الله عز وجل، ولا يجرؤهم على معاصي الله تعالى، وجميع

النفوس لا بد أن تذنب، فتعريف النفوس ما يخلصها من الذنوب من

التوبة والحسنات الماحيات كالكفارات، والعقوبات هو من أعظم فوائد الشريعة انتهى كلامه(٢).

---

(١) الآداب الشرعية جـ (١/ ٧٣، ٧٤) ف (٢/ ١٥٨).

(٢) الآداب جـ(١/ ٧٩) ف (٢/ ١٥٨).". [٢]

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم ص/١٦٣

(٢) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم ص/١٦٥

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم ص/١٩٧

الحكم بالتواتر وإن لم يكن المخبرون عدولا ولا مسلمين.. ... ٢٠٩

إذا حصل للقاضي العلم بشهادة الشهود لم يحتج إلى تزكية... ... ٢٠٩

موانع الشهادة وعدد الشهود... ... ٢٠٩

إذا شهد أحد الغانمين قبل القسمة وشهادة أحد الشريكين للآخر.. ... ٢٠٩

الشهادة على الشهادة... ... ٢١٠

الفرع يقول: أشهد على فلان أنه يشهد له أو أو أو ... ... ٢١٠". [1]

٣٠-"إذا جوز للعامي أن يقلد من يشاء فالذي يدل عليه كلام أصحابنا وغيرهم أنه لا يجوز له يتتبع الرخص [مطلقا] فإن أحمد أثر(١) مثل ذلك عن السلف وأخبر به(٢) فروى عبد الله بن أحمد عن أبيه قال: سمعت يحيى القطان يقول: لو أن رجلا عمل بكل رخصة بقول أهل المدينة في السماع، يعني في الغناء، وبقول أهل الكوفة في النبيذ، وبقول أهل مكة في المتعة لكان فاسقا، ونقلت من خط القاضي قال: نقلت من مجموع أبي حفص البرمكي قال عبد الله: سمعت أبي، وذكر نحوه وقال الخلال في كتابه: حدثنا يحيى بن طالب الأنطاكي، حدثنا محمد بن مسعود، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، قال: لو أن رجلا أخذ بقول أهل المدينة في السماع -يعني الغناء وإتيان النساء في أدبارهن-، وبقول أهل مكة في المتعة والصرف، وبقول أهل الكوفة في المسكر، كان شر عباد الله عز وجل. وقال سليمان التيمي: لو أخذت برخصة كل عالم -أو قال بزلة كل عالم- اجتمع **فيك الشر كله**. وفي المعنى آثار عن علي وابن مسعود ومعاذ وسلمان، وفيه مرفوعا عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعن عمر.

قال القاضي بعد ذكر كلام الإمام أحمد المنقول من خطه: هذا محمول على أحد وجهين: إما أن يكون من أهل الاجتهاد ولم يؤده اجتهاده إلى الرخص فهذا فاسق [لأنه ترك ما هو الحكم عنده واتبع

الباطل، أو يكون عاميا فأقدم على الرخص من غير تقليد فهذا أيضا فاسق](٣) لأنه أخل بفرضه وهو التقليد فأما إن كان عاميا فقلد في ذلك لم يفسق لأنه قلد من يسوغ اجتهاده(٤).

[شيخنا]: ... ... فصل

[إذا أفتى أحد المجتهدين بالحظر والآخر بالإباحة]

---

(١) نسخة: يتتبع الرخص فإن أحمد حكى مثل ذلك.

(٢) نسخة: راضيا به.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من بعض النسخ المسودة ص ٥١٨، ٥١٩ ف ٢٨/٢.

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم ص/٢٠٧

(٤) المسودة ص ٥١٩، ٥٢٠ ف ٢٨/٢.". [١]

"من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وكذلك ترك الفواحش يزكو به القلب وكذلك ترك المعاصي فإنها بمنزلة الاخلاط الرديئة في البدن ومثل الدغل في الزرع فإذا استفرغ البدن من الاخلاط الرديئة كاستخراج الدم الزائد تخلصت القوة الطبيعية واستراحت فينمو البدن وكذلك القلب إذاتاب من الذنوب كان استفراغا من تخليطاته حيث خلط عملا صالحا وآخر شيئا فإذا تاب من الذنوب تخلصت قوة القلب وإراداته للأعمال الصالحة واستراح القلب من تلك الحوادث الفاسدة التي كانت فيه فزكاة القلب بحيث ينمو ويكمل قال تعالى النور ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد ابدا وقال تعالى النور وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم وقال النور قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما ينصعون وقال تعالى الاعلى قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى وقال تعالى الشمس قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها وقال تعالى عبس وما يدريك لعله يزكى وقال تعالى النازعات فقل هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى فالتزكية وإن كان أصلها النماء والبركة وزيادة الخير فإنما تحصل **بإزالة الشر فلهذا** صار التزكي يجمع هذا وهذا وقال فصلت وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهي التوحيد والإيمان الذي به يزكو القلب فإنه يتضمن نفي إلهية ما سوى الحق من القلب وإثبات إليهة الحق في القلب وهو حقيقة لا إله إلا الله وهذا أصل ما تزكو به القلوب والتزكية جعل الشيء زكيا إما في ذاته وإما في الإعتقاد والخبر كما يقال عدلته إذا جعلته عدلا في نفسه أو في اعتقاد الناس قال تعالى النجم فلا تزكوا أنفسكم أي تخبروا بزكاتها وهذا غير قوله الشمس قد افلح من زكاها ولهذا قال النجم هو أعلم بمن اتقى وكان اسم زينب برة فقيل تزكى نفسها فسماها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) زينب وأما قوله النساء ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء أي يجعله زاكيا ويخبر بزكاته كما يزكى المزكي الشهود بعدلهم والعدل هو الاعتدال والاعتدال هو صلاح القلب كما أن الظلم فساده ولهذا جميع الذنوب يكون الرجل فيها ظالما لنفسه والظلم خلاف العدل فلم." [٢]

"أن أصل الدين في الحقيقة هو الأمور الباطنة من العلوم والأعمال وأن الأعمال الظاهرة لا تنفع بدونها كما قال النبي (صلى الله عليه وسلم) في الحديث الذي رواه أحمد في مسنده الإسلام علانية والإيمان في القلب ولهذا قال النبي (صلى الله عليه وسلم) الحلال بين والحرام بين وبين ذلك امور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ألا وإن لك ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد وهي القلب وعن أبي هريرة قال القلب ملك والأعضاء جنوده فإذا طاب الملك طابت جنوده وإذا خبث خبثت جنوده فصل وهذه الأعمال الباطنة كمحبة الله والإخلاص له والتوكل عليه والرضا عنه ونحو ذلك كلها مأمور بها في حق

---

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية. جمع: ابن قاسم ص/٢٣١

(٢) أمراض القلوب وشفاؤها ابن تيمية ص/٦

الخاصة والعامة لا يكون تركها محمودا في حال واحد وإن ارتقى مقامه وأما الحزن فلم يأمر الله به ولا رسوله بل قد نهى عنه في مواضع وإن تعلق أمر الدين به كقوله تعالى آل عمران ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين وقوله النحل ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون وقوله التوبة إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا وقوله يونس ولا يحزنك قولهم وقوله الحديد لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم وأمثال ذلك كثيرة وذلك أنه لا يجلب منفعة ولا يدفع مضرة ولا فائدة فيه ومالا فائدة فيه لا يأمر الله به نعم لا يأثم صاحبه إذا لم يقترن بحزنه محرم كما يحزن على المصائب كما قال النبي (صلى الله عليه وسلم) إن الله لا يؤاخذ على دمع العين ولا حزن القلب ولكن يؤاخذ على هذا ويرحم وأشار بيده إلى لسانه وقال تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضى الرب ومنه قوله تعالى يوسف فتولى عنهم وقال يا أسفي على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم وقد يقترن بالحزن ما يثاب صاحبه عليه ويحمد عليه ويكون محمودا من تلك الجهة لا من جهة الحزن كالحزين على مصيبة في دينه وعلى مصائب المسلمين عموما فهذا يثاب على ما في قلبه من حب الخير **وبغض الشر وتوابع** ذلك ولكن الحزن على ذلك إذا أفضى إلى ترك مأمور من الصبر والجهاد وجلب منفعة ودفع مضرة." (١)

"ويشهدون في ذلك بكلمات مجملة نقلت عن بعض الأشياخ أو ببعض غلطات بعضهم وهذا أصل عظيم من اعظم ما يجب الاعتناء به على أهل طريق الله السالكين سبيل إرادة الدين يريدون وجهه فإنه قد دخل بسبب إهمال ذلك على طوائف منهم من الكفر والفسوق والعصيان مالا يعلمه إلا الله حتى يصيروا معاونين على البغي والعدوان للمسلطين في الأرض من أهل الظلم والعلو الذين يتوجهون بقلوبهم في معاونة من يهوونه من أهل العلو في الأرض والفساد ظانين أنهم إذا كانت لهم احوال أثروا بها في ذلك من أولياء الله فإن القلوب لها من التأثير أعظم مما للأبدان لكن إن كانت صالحة كان تأثيرها صالحا وإن كانت فاسدة كان تأثيرها فاسدا فالأحوال يكون تأثيرها محبوبا لله تارة ومكروها لله أخرى وقد تكلم الفقهاء على وجوب القود على من يقتل بغيره في الباطن حيث يجب القود في ذلك ويستشهدون ببواطنهم وقلوبهم الأمر الكوني ويعدون مجرد خرق العادة لأحدهم بكشف لهم أو بتأثير يوافق إرادته هو كرامة من الله له ولا يعلمون أنه في الحقيقة إهانة وأن الكرامة لزوم الاستقامة وأن الله لم يكرم عبده بكرامة أعظم من موافقته فيما يحبه ويرضاه وهو طاعته وطاعة رسوله وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه وهؤلاء هم أولياء الله الذين قال الله فيهم يونس ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فإن كانوا موافقين له فيما أوجبه عليهم فهم من المقتصدين وإن كانوا موافقين فيما أوجبه وأحبه فهم من المقربين مع أن كل واجب محبوب وليس كل محبوب واجبا وأما ما يبتلي الله به عبده **من الشر بخرق** العادة أو بغيرها أو بالضراء فليس ذلك لأجل كرامة العبد على ربه ولا هوانه عليه بل قد يسعد بها أقوام إذا أطاعوه في ذلك وقد يشقى بها قوم إذا عصوه في ذلك قال الله تعالى الفجر فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن كلا ولهذا كان الناس في هذه الأمور على ثلاثة اقسام قسم ترتفع درجاتهم بخرق العادة إذا استعملوها في الطاعة وقوم يتعرضون بها لعذاب الله إذا استعملوها في معصية الله كبلعام

(١) أمراض القلوب وشفاؤها ابن تيمية ص/٤٢

وغيره وقوم تكون في حقهم بمنزلة المباحات والقسم الأول هم المؤمنون حقا المتبعون لنبيهم سيد ولد آدم الذي إنما كانت خوارقه لحجة يقيم بها دين الله أو لحاجة يستعين بها على طاعة الله ولكثرة اللغط في هذا الأصل نهى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن الاسترسال." [1]

"وعن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: " أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل سمتا وهديا تتبعون عملهم حذو القذة بالقذة غير أني لا أدري أتعبدون العجل أم لا؟ ".

وعن حذيفة بن اليمان (١) رضي الله عنه قال: " المنافقون الذين منكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلنا: وكيف؟ قال: أولئك كانوا يخفون نفاقهم وهؤلاء أعلنوه (٢) " (٣) .

وأما السنة: فجاءت بالإخبار بمشابهتهم في الدنيا، وذم ذلك، والنهي عن ذلك (٤) وكذلك في الدين.

فأما (٥) الأول: الذي هو الاستمتاع بالخلاق (٦)

---

(١) هو الصحابي الجليل: حذيفة بن حسل بن جابر بن العبسي، واليمان لقب أبوه حسل، وهو صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في المنافقين، فقد أخبره بأسمائهم واستكتمه فحفظ سر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، شهد أحدا مع الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه المدائن ببلاد فارس، فقام بالولاية أحسن القيام وفتح همدان والري وماه وسندان، وصالحه صاحب نهاوند.

كان الناس يسألون الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن الخير، وكان يسأله **عن الشر مخافة** أن يقع فيه، توفي رضي الله عنه في المدائن عام (٣٦ هـ) . راجع: أسد الغابة (١ / ٣٩٠- ٣٩٢) ؛ والأعلام للزركلي (٢ / ١٧١) .

(٢) في (أ) : أعلنوا.

(٣) انظر: كنز العمال (١ / ٣٦٧) ، رقم (١٦١٥) ، ورمز له بحرف (ش) أي عن ابن أبي شيبة.

(٤) في (ط) : عنه.

(٥) في (ط) : وأما.

(٦) ومنه مشابهة الكفار - من أهل الكتاب وغيرهم - في اتباع الشهوات.." [2]

"مذهب المجوس (١) القائلين بالأصلين: النور والظلمة، ومذهب (٢) الصابئة (٣) وغيرهم القائلين بقدم العالم، ومذاهب كثير من مجوس هذه الأمة (٤) وغيرهم.

وهذا مذهب (٥) كثير ممن عطل الشرائع.

---

(١) المجوس: قوم يعبدون النور والنار والظلمة والشمس والقمر، ويزعمون أن للكون إلهين، وهم في بلاد فارس وما

---

[1] أمراض القلوب وشفاؤها ابن تيمية ص/٤٩

[2] اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ابن تيمية ١٢٥/١

حولها، وقد قضى الإسلام على هذه النحلة ظاهرا، لكن بقيت لها آثار في بعض الطوائف كالشيعة، وإخوان الصفا، والبهائية، والنصيرية الباطنية، والقدرية وغيرها.

(٢) في (ط) : ومذاهب.

(٣) الصابئ في اللغة: الذي يترك دينه إلى دين آخر، والصابئة قوم يعبدون الكواكب والملائكة، وقيل: هم قوم لا دين لهم إنما هم باقون على فطرتهم، ورجح هذا ابن كثير.

انظر: تفسير ابن كثير (١ / ١٠٤) .

(٤) مجوس هذه الأمة: أطلقه السلف على القدرية، وقد وردت بتسمية القدرية (مجوس هذه الأمة) آثار بعضها مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، منها ما ذكر ابن ماجه في سننه، الحديث رقم (٩٢) ، (١ / ٣٥) ؛ وأبو داود في سننه، كتاب السنة، باب القدر، الحديث رقم (٤٦٩١) ؛ وأحمد في مسنده (٢ / ١٢٥) ، (٥ / ٤٠٧) ؛ وابن أبي عاصم في كتاب السنة (١ / ١٤٤، ١٤٥) ، الحديث رقم (٣٢٩) .

وسائر هذه الروايات ضعفها أئمة الحديث، لكن يعضد بعضها بعضا، ووجه تسمية القدرية بمجوس هذه الأمة أنهم حين قالوا بأن الله تعالى لم **يخلق الشر ولم** يقدره، اضطروا إلى القول بأن الإنسان هو خالق أفعاله، كما تزعم المعتزلة، فهم بهذا أشبهوا المجوس، بل تابعوهم بقولهم: إن الله إله الخير والنور، والشر والظلمة لها خالق آخر غيره بزعمهم، تعالى الله عما يقوله الظالمون علوا كبيرا.

انظر: الفرق بين الفرق (ص٩٤، ٩٥) .

وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨ / ٢٥٨- ٢٦١) .

(٥) في (أط) : مذاهب.." [١]

"وهذا أمر بين (١) لا شبهة فيه، فإن مثل ذينك العيدين، لو عاد الناس إليهما بنوع مما كان يفعل فيهما - إن رخص فيه - كان مراغمة بينه وبين ما نهى عنه، فهو المطلوب.

والمحذور في أعياد أهل الكتابين التي نقرهم عليها، أشد من المحذور في أعياد الجاهلية التي لا نقرهم عليها؛ فإن الأمة قد حذروا مشابهة اليهود والنصارى، وأخبروا أن سيفعل قوم منهم هذا المحذور، بخلاف دين الجاهلية، فإنه لا يعود إلا في آخر الدهر، عند اخترام أنفس المؤمنين عموما، ولو لم يكن أشد منه، فإنه مثله على ما لا يخفى؛ **إذ الشر الذي** له فاعل موجود، يخاف على الناس منه أكثر من شر لا مقتضى له قوي.

الحديث الثاني: (٢) ما رواه أبو داود، حدثنا داود (٣) بن رشيد (٤) حدثنا شعيب بن إسحاق (٥) عن الأوزاعي، حدثني يحيى بن أبي كثير، حدثني

---

(١) في (أ) : تبين.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ابن تيمية ١٦٦/١

(٢) الحديث الأول هو حديث أنس المتقدم ذكره قريبا (ص ٥٨٤) ، وهو في معرض الاستدلال على تحريم ابتداع الأعياد غير ما سنه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

(٣) داود بن رشيد: أسقط من المطبوعة.

(٤) هو: داود بن رشيد، الهاشمي بالولاء، الخوارزمي، أبو الفضل، وثقه ابن معين والدارقطني، وقال أبو حاتم: ثقة نبيل، أخرج له البخاري ومسلم وغيرهما، توفي سنة (٢٣٩هـ) .

انظر: تهذيب التهذيب (٣ / ١٨٤، ١٨٥) ، (ت ٣٥٠) د.

(٥) هو: شعيب بن إسحاق بن عبد الرحمن الأموي، بالولاء، البصري، ثم الدمشقي، ثقة، أخرج له البخاري ومسلم والنسائي، وغيرهم، قال فيه أحمد: ما أصح حديثه، توفي سنة (١٨٩هـ) وعمره (٧٠) سنة.

انظر: خلاصة تهذيب التهذيب (ص ١٦٦) ، وتقريب التهذيب (١ / ٣٥١) ، (ت ٧٠) ش.." [1]

"الأمة، كراهة ونهيا عن (١) ذلك، وإلا لوقع ذلك كثيرا؛ إذ الفعل مع وجود مقتضيه، وعدم منافيه: واقع لا محالة، والمقتضى واقع؛ فعلم وجود المانع، والمانع هنا هو: الدين، فعلم أن الدين دين الإسلام هو المانع من الموافقة، وهو المطلوب.

الثاني: أنه قد تقدم في شروط عمر رضي الله عنه، التي اتفقت عليها الصحابة، وسائر الفقهاء بعدهم: أن أهل الذمة من أهل الكتاب لا يظهرون أعيادهم في دار الإسلام، وسموا: الشعانين والباعوث (٢) فإذا كان المسلمون قد اتفقوا على منعهم من إظهارها، فكيف يسوغ للمسلمين (٣) فعلها؟ أو ليس فعل المسلم لها أشد من فعل الكافر لها، مظهرا لها؟ وذلك: أنا إنما (٤) منعناهم من إظهارها؛ لما فيه من الفساد: إما لأنها معصية، أو شعار المعصية، وعلى التقديرين: فالمسلم ممنوع من المعصية، ومن شعار (٥) المعصية، ولو لم يكن في فعل المسلم لها **من الشر إلا** تجرئة الكافر على إظهارها لقوة قلبه بالمسلم (٦) إذا فعلها، فكيف وفيها **من الشر ما** سننبه (٧) على بعضه؟

الثالث: ما تقدم من رواية أبي الشيخ الأصبهاني، عن عطاء بن يسار

---

(١) في (أب) والمطبوعة: من.

(٢) انظر: تعريف الشعانين (١ / ٤٧٩) في الهامش، و (١ / ٥٣٧) في المتن، وتعريف الباعوث (١ / ٣٦٤) في المتن.

(٣) في (أ) : يسوغ المسلمون، وهو تصحيف.

(٤) في (أ) : إذا.

(٥) في (أب) : شعائر.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ابن تيمية ٤٨٩/١

(٦) في المطبوعة قال: فكيف بالمسلم إذا فعلها؟ .

(٧) في المطبوعة: ما سنبينه على بعضه، إن شاء الله تعالى.." [١]

"واستعان الشيطان في إغوائهم بذلك أن الزمان زمان ربيع، وهو مبدأ العام الشمسي، فيكون قد كثر فيه اللحم واللبن والبيض ونحو ذلك، مع أن عيد النصارى ليس هو يوما محدودا من السنة الشمسية، وإنما يتقدم فيها ويتأخر، في نحو ثلاثة وثلاثين يوما كما قدمناه.

وهذا كله تصديق قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لتتبعن سنن من كان قبلكم» (١) وسببه (٢) مشابهة الكفار في القليل من أمر عيدهم، وعدم النهي عن ذلك، وإذا كانت المشابهة في القليل ذريعة ووسيلة إلى بعض هذه القبائح؛ كانت محرمة، فكيف إذا أفضت إلى ما هو كفر بالله، من التبرك بالصليب والتعميد في المعمودية (٣) أو قول (٤) القائل: المعبود واحد وإن كانت الطرق مختلفة، ونحو ذلك من الأقوال والأفعال التي تتضمن: إما كون الشريعة النصرانية واليهودية، المبدلتين المنسوختين، موصلة إلى الله؛ وإما استحسان بعض ما فيها، مما يخالف دين الله، أو التدين (٥) بذلك، أو غير ذلك، مما هو كفر بالله وبرسوله، وبالقرآن وبالإسلام، بلا خلاف بين الأمة الوسط في ذلك، وأصل ذلك المشابهة والمشاركة.

وبهذا يتبين لك كمال موقع الشريعة الحنيفية، وبعض حكمة ما شرعه الله لرسوله من مباينة الكفار ومخالفتهم في عامة أمورهم؛ لتكون المخالفة أحسم **لمادة الشر** (٦) وأبعد عن الوقوع فيما وقع فيه الناس.

---

(١) الحديث مر الكلام عنه. انظر: فهرس الأحاديث.

(٢) في المطبوعة: والسنن.

(٣) قال في المعجم الوسيط: (المعمودية - عند النصارى -: أن يغمس القس الطفل في ماء، يتلو عليه بعض فقر من الإنجيل، وهو آية التنصير عندهم) المعجم الوسيط (٢ / ٦٣٢) .

(٤) في (ج د) : وقول.

(٥) في (أ) : والتدين.

(٦) في (ب ج د) : الشرك. وهو وجيه فتأمل.." [٢]

"في شهود السوق، ولم يسأل عن بيع المسلم لهم إما لظهور الحكم عنده، وإما لعدم الحاجة إليه إذ ذاك، وكلام الآمدي أيضا محتمل (١) للوجهين. لكن الأظهر فيه الرخصة في البيع أيضا؛ لقوله: " إنما يمنعون أن يدخلوا عليهم بيعهم وكنائسهم "، وقوله: " وإن قصد إلى توفير (٢) ذلك وتحسينه لأجلهم ".

فما أجاب به أحمد من جواز شهود السوق فقط للشراء منها، من غير دخول الكنيسة فيجوز؛ لأن ذلك ليس فيه (٣)

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ابن تيمية ١/٥١٠

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ابن تيمية ١/٥٤٠

شهود منكر، ولا إعانة على معصية؛ لأن نفس الابتياع منهم جائز، ولا إعانة فيه على المعصية، بل فيه صرف لما لعلهم يبتاعونه (٤) لعيدهم عنهم (٥) فيكون فيه تقليل الشر، وقد كانت أسواق في الجاهلية، كان المسلمون يشهدونها، وشهد بعضها النبي صلى الله عليه وسلم، ومن هذه الأسواق ما كان يكون في مواسم الحج، ومنها ما كان يكون (٦) لأعياد باطلة.

وأيضا، فإن أكثر ما في السوق، أن يباع فيها ما يستعان به على المعصية، فهو كما لو حضر الرجل (٧) سوقا يباع (٨) فيها السلاح لمن يقتل به معصوما، أو العصير لمن يخمره، فحضرها الرجل (٩) ليشتري منها، بل هذا أجود؛ لأن

---

(١) في (أ) زاد: بعد محتمل: آخر أيضا، وفي (ط) : زاد أيضا.

(٢) في (أ) : توفية.

(٣) فيه: سقطت من (ج د) .

(٤) في (ج د) : يتبايعونه.

(٥) في المطبوعة زاد: (الذي يظهر أنه إعانة لهم، وتكثير لسوادهم) بعد (عنهم) وقبل (فيكون) .

(٦) في (ب) : ما كان في الأعياد باطلة. ويكون: ساقطة من (ط) .

(٧) في (أ) : الرجال.

(٨) في (ب) : فابتاع.

(٩) في (أ) زاد: سوقا يباع، ولعل نظر الناسخ سبق إلى الكلمة التي فوقها فكتبها هنا، وهي: (سوقا يباع) كذلك.." [(١)]

"بل الواقع أن الابتهال الذي يفعله المقابريون (١) إذا فعله المخلصون، لم يرد المخلصون إلا نادرا، ولم يستجب للمقابريين (٢) إلا نادرا، والمخلصون كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من عبد يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى خصال ثلاث: إما أن يعجل الله له دعوته، أو يدخر (٣) له من الخير مثلها، أو يصرف عنه **من الشر مثلها**، قالوا: يا رسول الله، إذن نكثر. قال: الله أكثر» (٤) . فهم في دعائهم لا يزالون بخير.

وأما المقبريون: فإنهم إذا استجيب لهم نادرا، فإن أحدهم يضعف توحيده، ويقل نصيبه من ربه، ولا يجد في قلبه من ذوق الإيمان وحلاوته ما كان يجده السابقون الأولون. ولعله لا يكاد يبارك له (٥) في حاجته، اللهم إلا أن يعفو الله عنهم لعدم علمهم بأن ذلك بدعة، فإن المجتهد إذا أخطأ أثابه الله على اجتهاده، وغفر له خطأه.

وجميع الأمور التي يظن أن ل٥ا تأثيرا في العالم وهي محرمة في الشرع، كالتمريجات (٦) الفلكية، والتوجهات النفسانية. كالعين، والدعاء المحرم،

---

(١) في المطبوعة: القبوريون أيضا.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ابن تيمية ١٤/٢

(٢) في المطبوعة: القبوريين.

(٣) في (ط) : أو يؤخر.

(٤) أخرجه أحمد في المسند (مع اختلاف يسير في الألفاظ) (٣ / ١٨) ، عن أبي سعيد الخدري، وأخرج الترمذي حديثا بمعناه عن عبادة بن الصامت، سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب انتظار الفرج، الحديث رقم (٣٥٧٣) ، (٥ / ٥٦٦) ، وقال الترمذي: " هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه " (٥ / ٥٦٧) .

(٥) له: سقطت من (ط) .

(٦) في (أط) : التمزيجات: ولعلها بالراء أصح. والتمريجات مأخوذة من المرج، وهو: الخلط والفساد والاضطراب والقلق. ولعل القصد بها هنا: تخرصات الفلكيين والذين يعتقدون أن للأفلاك تأثيرا، وتخليطهم بذلك. والتمزيجات أيضا بمعنى: الخلط وما ركب عليه البدن من الطبائع. انظر: القاموس المحيط، فصل الميم، باب الجيم (١ / ٢١٤، ٢١٥) .." [1]

"الفاعل والمغفرة له، وبين إباحة فعله أو المحبة له (١) سواء كان ذلك متعلقا بنفس الفعل، أو ببعض صفاته.

وقد علمت جماعة ممن سأل حاجته من بعض المقبورين (٢) من الأنبياء والصالحين. فقضيت حاجته، وهو لا يخرج عما ذكرته، وليس ذلك بشرع (٣) فيتبع (٤) ولا سنة وإنما يثبت استحباب الأفعال واتخاذها دينا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما كان عليه السابقون الأولون، وما سوى هذه (٥) من الأمور المحدثة فلا يستحب، وإن اشتملت أحيانا على فوائد، لأنا نعلم أن مفاسدها راجحة على فوائدها.

ثم هذا التحريم أو الكراهة المقترنة بالأدعية المكروهة، إما من جهة المطلوب، وإما من جهة نفس الطلب، وكذلك الاستعاذة المحرمة أو المكروهة فكراهتها: إما من جهة المستعاذ منه، وإما من جهة نفس الاستعاذة، فينجون من ذلك (٦) الشر، ويقعون فيما هو أعظم منه.

أما المطلوب المحرم، فمثل أن يسأل ما يضره في (٧) دنياه أو آخرته، وإن كان لا يعلم أنه يضره، فيستجاب له، «كالرجل الذي عاده (٨) النبي صلى الله عليه وسلم، فوجده مثل الفرخ فقال: " هل كنت تدعو الله بشيء؟ " قال: كنت أقول: اللهم

---

(١) أي أن العفو عن الفاعل والمغفرة له لا تقتضي إباحة فعله ولا محبته، ما لم يكن فعله مباحا بدليل شرعي معتبر.

(٢) في (ط) : لبعض.

(٣) في (أ) : الشرع.

(٤) في (ط) : متبع.

(٥) في المطبوعة: ذلك.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ابن تيمية ٢/٢١٠

(٦) في (ط) : فينجون من الشر.

(٧) من هنا حتى قوله: فيستجاب له (سطر تقريبا) : سقط من (أ) .

(٨) في (أ) : دعاه.." [١]

"ومن أصغى إلى كلام الله وكلام رسوله بعقله، وتدبره بقلبه، وجد فيه من الفهم والحلاوة (١) والبركة والمنفعة ما لا يجده في شيء من الكلام لا منظومه ولا منثوره.

ومن اعتاد الدعاء المشروع في أوقاته، كالأسحار، وأدبار الصلوات والسجود، ونحو ذلك، أغناه عن كل دعاء مبتدع، في ذاته أو بعض صفاته.

فعلى العاقل أن يجتهد في اتباع السنة في كل شيء من ذلك، ويعتاض عن كل ما يظن (٢) من البدع أنه خير بنوعه من السنن، فإنه من يتحر الخير يعطه، ومن **يتوق الشر يوقه**.

---

(١) في المطبوعة زاد: والهدى وشفاء القلوب.

(٢) في (ب) : بطن.." [٢]

"الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنى أبدا، لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه وسلم، وإني لجارية ألعب: ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾ [القمر: ٤٦] (سورة القمر: آية ٤٦) . وما نزلت: " سورة البقرة ". و " النساء ". إلا وأنا عنده، قال: فأخرجت له المصحف فأملت عليه آي السور.

وإذا كان الكفر والفسوق والعصيان **سبب الشر والعدوان** فقد يذنب الرجل أو الطائفة ويسكت آخرون عن الأمر والنهي، فيكون ذلك من ذنوبهم، وينكر عليهم آخرون إنكارا منهيا عنه فيكون ذلك من ذنوبهم، فيحصل التفرق والاختلاف والشر، وهذا من أعظم الفتن والشرور قديما وحديثا، إذ الإنسان ظلوم جهول، والظلم والجهل أنواع، فيكون ظلم الأول وجهله من نوع، وظلم كل من الثاني والثالث وجهلهما من نوع آخر.

ومن تدبر الفتن الواقعة رأى سببها ذلك، ورأى أن ما وقع بين أمراء الأمة وعلمائها ومن دخل في ذلك من ملوكها ومشايخها، ومن تبعهم من العامة من الفتن: هذا أصلها، يدخل في ذلك أسباب الضلال والغي: التي هي الأهواء الدينية والشهوانية، وهي البدع في الدين والفجور في الدنيا، وذلك أن أسباب الضلال والغي البدع في الدين، والفجور في الدنيا، وهي مشتركة: تعم بني آدم، لما فيهم من الظلم والجهل، فبذنب بعض الناس يظلم نفسه وغيره، كالزنى بلواط وغيره،." [٣]

"يجيبوا بمقتضاها رأوا ما في ذلك من الفساد وإنكار قلوب المؤمنين عليهم فأمسكوا

لكن أعظم المهم في هذا الباب وغيره تمييز السنة من البدعة إذ السنة ما أمر به الشارع والبدعة ما لم يشرعه من الدين

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ابن تيمية ٢/٢١٨

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ابن تيمية ٢/٢٧٠

(٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية ابن تيمية ص/٢٦

فإن هذا الباب كثر فيه اضطراب الناس في الأصول والفروع حيث يزعم كل فريق أن طريقه هو السنة وطريق مخالفه هو البدعة ثم إنه يحكم على مخالفه بحكم المبتدع فيقوم من ذلك **من الشر ما** لا يحصيه إلا الله

وأول من ضل في ذلك هم الخوارج المارقون حيث حكموا لنفوسهم بأنهم المتمسكون بكتاب الله وسنته وأن عليا ومعاوية والعسكرين هم أهل المعصية والبدعة فاستحلوا ما استحلوه من المسلمين

وليس المقصود هنا ذكر البدع الظاهرة التي تظهر للعامة أنها بدعة كبدعة الخوارج والروافض ونحو ذلك لكن المقصود التنبيه على ما وقع من ذلك في أخص الطوائف بالسنة وأعظمهم انتحالا لها كالمنتسبين إلى الحديث مثل مالك والشافعي وأحمد فإنه لا ريب أن هؤلاء أعظم اتباعا للسنة وذما للبدعة من غيرهم والأئمة كمالك وأحمد وابن المبارك وحماد بن زيد والأوزاعي وغيرهم يذكرون من ذم المبتدعة وهجرانهم وعقوبتهم ما شاء الله تعالى

وهذه الأقوال سمعها طوائف ممن اتبعهم وقلدهم ثم إنهم." (١)

"قال من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد فإن قتال اللصوص ليس قتال فتنة إذ الناس كلهم أعوان على ذلك فليس فيه ضرر عام على غير الظالم بخلاف قتال ولاة الأمور فإن فيه فتنة وشرا عاما أعظم من ظلمهم فالمشروع فيه الصبر

وإذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم طائفة بأنها باغية سواء كان ذلك بتأويل أو بغير تأويل لم يكن مجرد ذلك موجبا لقتالها ولا مبيحا لذلك إذ كان قتال فتنة

فتدبر هذا فإنه موضع عظيم يظهر فيه الجمع بين النصوص ولأنه الموضع الذي اختلف فيه اجتهاد علماء المؤمنين قديما وحديثا حيث رأى قوم قتال هؤلاء مع من هو أولى بالحق منهم ورأى آخرون ترك القتال إذا كان القتال فيه **من الشر أعظم** من ترك القتال كما كان." (٢)

"الواقع فإن أولئك كانوا لا يبدأون البغاة بقتال حتى يجعلوهم صائلين عليهم وإنما يكون ذنبهم ترك واجب مثل الامتناع من طاعة معين والدخول في الجماعة فهذه الفرقة إذا كانت باغية وفي قتالهم **من الشر كما** وقع أعظم من مجرد الاقتصار على ذلك كان القتال فتنة وكان تركه هو المشروع وإن كان المقاتل أولى بالحق وهو مجتهد

وعامة ما تنازعت فيه فرقة المؤمنين من مسائل الأصول وغيرها في باب الصفات والقدر والإمامة وغير ذلك هو من هذا الباب فيه المجتهد المصيب وفيه المجتهد المخطئ ويكون المخطئ باغيا وفيه الباغي من غير اجتهاد وفيه المقصر فيما أمر به من الصبر

وكل ما أوجب فتنة وفرقة فليس من الدين سواء كان قولا او فعلا ولكن المصيب العادل عليه أن يصبر عن الفتنة ويصبر

---

(١) الاستقامة ابن تيمية ١/١٣

(٢) الاستقامة ابن تيمية ١/٣٦

على جهل الجهول وظلمة إن كان غير متأول وأما إن كان ذاك أيضا متأولا فخطؤه مغفور له وهو فيما يصيب به من أذى بقوله أو فعله له أجر على ا جتهاده وخطؤه مغفور له وذلك محنة وابتلاء في حق ذلك المظلوم." (١)

"فيه أن ذلك المؤذى محض باغ عليه ويحسب أنه يدفع ظلمه بكل ممكن ويكون مخطئا في هذين الأصلين إذ قد يكون المؤذى متأولا مخطئا وإن كان ظالما لا تأويل له فلا يحل دفع ظلمه بما فيه فتنة بين الأمة وبما فيه شر أعظم من ظلمه بل يومر المظلوم ها هنا بالصبر فإن ذلك في حقه محنة وفتنة

وإنما يقع المظلوم في هذا لجزعه وضعف صبره أو لقلة علمه وضعف رأيه فإنه قد يحجب أن القتال ونحوه من الفتن يدفع الظلم عنه ولا يعلم أنه **يضاعف الشر كما** هو الواقع وقد يكون جزعه يمنعه من الصبر

والله سبحانه وصف الأئمة بالصبر واليقين فقال وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون [سورة السجدة ٢٤] وقال وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر [سورة العصر ٣]

وذلك أن المظلوم وإن كان مأذونا له في دفع الظلم عنه بقوله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل [سورة الشورى ٤١] فذلك مشروط بشرطين

أحدهم ا القدرة على ذلك

والثاني ألا يعتدى

فإذا كان عاجزا أو كان الانتصار يفضى إلى عدوان زائد لم." (٢)

"شيئا أحدثته الزنادقة يسمونه التغبير يصدون به الناس عن القرآن

نعم كان كثير من أهل المدينة يسمع الغناء وقد دخل معهم في ذلك بعض فقهائهم فأما أن يكون هذا قول اهل الحجاز كلهم أو قول مالك فهذا غلط وكان الناس يعيبون من استحل ذلك من أهل المدينة كما عابوا على غيرهم حتى كان الأوزاعي يقول من أخذ يقول أهل الكوفة في النبيذ وبقول أهل مكة في المتعة والصرف ويقول أهل المدينة في الغناء أو قال الحشوش والغناء فقد **جمع الشر كله** أو كلاما هذا معناه

وأما فقهاء الكوفة فمن أشد الناس تحريما للغناء ولم يتنازعوا في ذلك ولم يكونوا يعتادونه كما كان يفعله أهل المدينة بل كانوا بالنبيذ المتنازع فيه

وقد سئل ماللك عماا يترخص فيه بعض ااهل المدينة من الغناء فقال لا إنما يفعله عندنا الفساق

وقد سئل القاسم بن محمد عن الغناء فقال إذا ميز الله الحق من الباطل من أي قسم يكون الغناء." (٣)

"[سورة هود ٨٣] أي من ظالمي هذه الأمة وفي ذلك من الأحاديث ما يضيق هذا الموضع عن ذكره وفي عامتها يذكر استحلالهم لها

---

(١) الاستقامة ابن تيمية ٣٧/١

(٢) الاستقامة ابن تيمية ٤٠/١

(٣) الاستقامة ابن تـيمية ٢٧٤/١

وأصل الضلال والغي من هؤلاء الذين يستحسنون عشق الصور ويحمدونه ويأمرون به وإن قيدوه مع ذلك بالعفة أن المحبة هي أصل كل حركة في العالم فالنفس إذا لم يكن فيها حركة ولا هي قوية الهمة والإرادة حتى تحصل لها محبة شديدة كانت تلك المنهيات عنها هي **أصول الشر وهي** التي إذا ظهرت قامت الساعة

كما في الصحيح عن أنس أنه قال لأحدثنكم حديثا لا يحدثكمونه أحد بعدي سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنا ويقل الرجال وتكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد." (١)

"الذين قال الله فيهم ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده [سورة هود ١٧]

وقد قال الله تعالى لنبيه فلذلك فآدع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم [سورة الشورى ١٥]

والعدل وضع كل شئ في موضعه كما أن الظلم وضع الشئ في غير موضعه

ولهذا لما اقتتلت فارس المجوس والروم النصارى وكان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة إذ ذاك وهو في طائفة قليلة ممن آمن به كان هو وأصحابه يحبون أن تغلب الروم لأنهم أهل كتاب وكان المشركون يحبون أن تغلب فارس لأنهم من جنسهم ليسوا أهل كتاب فأنزل الله في ذلك آلم غلبت الروم في أدنى الأرض [سورة الروم ١٢] والقصة مشهورة في كتب الحديث والتفسير والمغازي

وإذا كان كذلك فقد يكون الرجل على طريقة **من الشر عظيمة** فينتقل إلى ما هو أقل منها شرا وأقرب إلى الخير فيكون حمد تلك الطريقة ومدحها لكونها طريقة الخير الممدوحة مثال ذلك أن الظلم كله حرام مذموم فأعلاه الشرك فإن الشرك لظلم عظيم والله لا يغفر أن يشرك به وأوسطه ظلم العباد بالبغي والعدوان وأدناه ظلم العبد نفسه فيما بينه وبين الله فإذا كان الرجل مشركا كافرا فأسلم باطنا وظاهرا بحيث." (٢)

"﴿وأمر﴾ سورة القمر ٤٦ وما نزلت سورة البقرة والنساء الا وانا عنده قال فأخرجت له المصحف فأملت عليه آي السور

واذا كان الكفر والفسوق والعصيان **سبب الشر والعدوان** فقد يندب الرجل أو الطائفة ويسكت أخرون عن الامر والنهي فيكون ذلك من ذنوبهم وينكر عليهم اخرون انكارا منهيا عنه فيكون ذلك من ذنوبهم فيحصل التفرق والاختلاف والشر وهذا من اعظم الفتن والشرور قديما وحديثا اذ الانسان ظلوم جهول والظلم والجهل انواع فيكون ظلم الاول وجهله من نوع وظلم كل من الثاني والثالث وجهلهما من نوع اخر واخر

---

(١) الاستقامة ابن تيمية ١/٤٥٦

(٢) الاستقامة ابن تيمية ١/٤٦٤

ومن تدبر الفتن الواقعة رأى سببها ذلك ورأى ان ما وقع بين امراء الأمة وعلمائها ومن دخل في ذلك من ملوكها ومشايخها ومن تبعهم من العامة من الفتن هذا اصلها." (١)

"أن أصل الدين في الحقيقة هو الأمور الباطنة من العلوم والأعمال وأن الأعمال الظاهرة لا تنفع بدونها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أحمد في مسنده الإسلام علانية والإيمان في القلب ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبين ذلك امور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ألا وإن لك ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد وهي القلب وعن أبي هريرة قال القلب ملك والأعضاء جنوده فإذا طاب الملك طابت جنوده وإذا خبث خبثت جنوده فصل وهذه الأعمال الباطنة كمحبة الله والإخلاص له والتوكل عليه والرضا عنه ونحو ذلك كلها مأمور بها في حق الخاصة والعامة لا يكون تركها محمودا في حال واحد وإن ارتقى مقامه وأما الحزن فلم يأمر الله به ولا رسوله بل قد نهى عنه في مواضع وإن تعلق أمر الدين به كقوله تعالى آل عمران ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين وقوله النحل ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون وقوله التوبة إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا وقوله يونس ولا يحزنك قولهم وقوله الحديد لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم وأمثال ذلك كثيرة وذلك أنه لا يجلب منفعة ولا يدفع مضرة ولا فائدة فيه ومالا فائدة فيه لا يأمر الله به نعم لا يأثم صاحبه إذا لم يقترن بحزنه محرم كما يحزن على المصائب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله لا يؤاخذ على دمع العين ولا حزن القلب ولكن يؤاخذ على هذا ويرحم وأشار بيده إلى لسانه وقال تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضى الرب ومنه قوله تعالى يوسف فتولى عنهم وقال يا أسفي على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم وقد يقترن بالحزن ما يثاب صاحبه عليه ويحمد عليه ويكون محمودا من تلك الجهة لا من جهة الحزن كالحزين على مصيبة في دينه وعلى مصائب المسلمين عموما فهذا يثاب على ما في قلبه من حب الخير **وبغض الشر وتوابع** ذلك ولكن الحزن على ذلك إذا أفضى إلى ترك مأمور من الصبر والجهاد وجلب منفعة ودفع مضرة." (٢)

"ويشهدون في ذلك بكلمات مجملة نقلت عن بعض الأشياخ أو ببعض غلطات بعضهم وهذا أصل عظيم من اعظم ما يجب الاعتناء به على أهل طريق الله السالكين سبيل إرادة الدين يريدون وجهه فإنه قد دخل بسبب إهمال ذلك على طوائف منهم من الكفر والفسوق والعصيان مالا يعلمه إلا الله حتى يصيروا معاونين على البغي والعدوان للمسلطين في الارض من أهل الظلم والعلو الذين يتوجهون بقلوبهم في معاونة من يهوونه من أهل العلو في الأرض والفساد ظانين أنهم إذا كانت لهم احوال أثروا بها في ذلك من أولياء الله فإن القلوب لها من التأثير أعظم مما للأبدان لكن إن كانت صالحة كان تأثيرها صالحا وإن كانت فاسدة كان تأثيرها فاسدا فالأحوال يكون تأثيرها محبوبا لله تارة ومكروها لله أخرى

---

(١) الاستقامة ابن تيمية ٢٤١/٢

(٢) التحفة العراقية ابن تيمية ص/٤٢

وقد تكلم الفقهاء على وجوب القود على من يقتل بغيره في الباطن حيث يجب القود في ذلك ويستشهدون ببواطنهم وقلوبهم الأمر الكوني ويعدون مجرد خرق العادة لأحدهم بكشف لهم أو بتأثير يوافق إرادته هو كرامة من الله له ولا يعلمون أنه في الحقيقة إهانة وأن الكرامة لزوم الاستقامة وأن الله لم يكرم عبده بكرامة أعظم من موافقته فيما يحبه ويرضاه وهو طاعته وطاعة رسوله وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه وهؤلاء هم أولياء الله الذين قال الله فيهم يونس ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فإن كانوا موافقين له فيما أوجبه عليهم فهم من المقتصدين وإن كانوا موافقين فيما أوجبه وأحبه فهم من المقربين مع أن كل واجب محبوب وليس كل محبوب واجبا وأما ما يبتلى الله به عبده **من الشر بخرق** العادة أو بغيرها أو بالضراء فليس ذلك لأجل كرامة العبد على ربه ولا هوانه عليه بل قد يسعد بها أقوام إذا أطاعوه في ذلك وقد يشقى بها قوم إذا عصوه في ذلك قال الله تعالى الفجر فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن كلا ولهذا كان الناس في هذه الأمور على ثلاثة اقسام قسم ترتفع درجاتهم بخرق العادة إذا استعملوها في الطاعة وقوم يتعرضون بها لعذاب الله إذا استعملوها في معصية الله كبلعام وغيره وقوم تكون في حقهم بمنزلة المباحات والقسم الأول هم المؤمنون حقا المتبعون لنبيهم سيد ولد آدم الذي إنما كانت خوارقه لحجة يقيم بها دين الله أو لحاجة يستعين بها على طاعة الله ولكثرة اللغط في هذا الأصل نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاسترسال." (١)

"الصفات، بل من أعظم ما نقلوا في ذلك قول الثنوية، الذين يقولون بالأصلين: النور والظلمة، وأن النور خلق الخير، والظلمة خلقت الشر، ثم ذكروا لهم في الظلمة قولين: أحدهما أنها محدثة، فتكون من جملة المخلوقات له، والثاني أنها قديمة، لكنها لم تفعل إلا الشر، فكانت ناقصة في ذاتها وصفاتها ومفعولاتها عن النور.

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن المشركين من إقرارهم بأن الله خالق المخلوقات ما بينه في كتابه، فقال تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون﴾ ، وقال تعالى: ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ﴿﴾ سيقولون لله قل أفلا تذكرون ﴿﴾ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ﴿﴾ سيقولون لله قل أفلا تتقون ﴿﴾ قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه." (٢)

"تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح ﴿﴾ ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ﴿﴾ فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾ ، وفي الحديث الصحيح أنه كان صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: (سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي) يتأول القرآن.

وأما في القدر فعليه أن يستعين بالله في فعل ما أمر به، ويتوكل عليه، ويدعوه، ويرغب إليه، ويستعيذ به، فيكون مفتقرا

---

(١) التحفة العراقية ابن تيمية ص/٤٩

(٢) التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع ابن تيمية ص/١٧٨

إليه في طلب الخير وترك الشر، وعليه أن يصبر على المقدور، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وإذا آذاه الناس علم أن ذلك مقدر عليه.." (١)

"وقال تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ [يونس: ١٨] .

وقال تعالى: ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم – إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين – ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء – ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار – لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار﴾ [الزمر: ١ – ٤] .

وذلك أن المشركين من جميع الأمم لم يكن أحد منهم يقول إن للمخلوقات خالقين منفصلين متماثلين في الصفات، فإن هذا لم يقله طائفة معروفة من بني آدم، ولكن الثنوية من المجوس ونحوهم يقولون: إن العالم صادر عن أصلين: النور والظلمة، و النور عندهم هو إله الخير المحمود، والظلمة هي الإله الشرير المذموم.

وبعضهم يقول: إن الظلمة هي الشيطان، وهذا ليجعلوا ما في العالم **من الشر صادرا** عن الظلمة.." (٢)

"ومنهم من قال: إن الظلمة قديمة أزلية مع أنها مذمومة عندهم ليست مماثلة للنور.

ومنهم من قال: بل هي حادثة، وأن النور فكر فكرة رديئة، فحدثت الظلمة عن تلك الفكرة الرديئة.

فقال لهم أهل التوحيد: أنتم بزعمكم كرهتم أن تضيفوا إلى الرب سبحانه وتعالى خلق ما في العالم **من الشر وجعلتموه** خالقا لأصل الشر، وهؤلاء مع إثباتهم اثنين وتسمية الناس لهم بالثنوية فهم لا يقولون: إن الشرير مماثل للخير.

وكذلك الدهرية دهرية الفلاسفة وغيرهم، منهم من ينكر الصانع للعالم، كالقول الذي أظهره فرعون لعنه الله، ومنهم من يقر بعلة يتحرك الفلك للتشبه بها كأرسطو وأتباعه، ومنهم من يقول بالموجب بالذات المستلزم للفلك كابن سينا.." (٣)

"الناسوت الواحد أخطأت في أخذ روحه لكن سائر بني آدم الذين بعده لي أن أحبس أرواحهم في جهنم كما حبست أرواح الذين كانوا قبل المسيح إما بذنب أبيهم وإما بخطاياهم أنفسهم وحينئذ، فإن كان ما يقوله النصارى حقا فلا حجة لله على إبليس.

الوجه السابع: أن يقال هب أن آدم أذنب وبنوه أذنبوا بتزيين الشيطان فعقوبة بني آدم على ذنوبهم هي إلى الله أو إلى إبليس؟ فهل يقول عاقل أن إبليس له أن يغوي بني آدم بتزيينه لهم ثم له أن يعاقبهم جميعا بغير إذن من الله في ذلك وهل هذا القول إلا من قول المجوس الثنوية الذين يقولون إن كل ما في العالم **من الشر من** الذنوب والعقاب وغير ذلك هو من فعل إبليس لم يفعل الله شيئا من ذلك ولا عاقب الله أحدا على ذنب.

---

(١) التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع ابن تيمية ص/٢٢٩

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ابن تيمية ٣٥١/١

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ابن تيمية ٣٥٢/١

ولا ريب أن هذا القول سرى إلى النصارى من المجوس لهذا لا ينقلون هذا القول في كتاب منزل ولا عن أحد من الحواريين ولهذا كان المانوية دينهم مركبا من دين النصارى والمجوس وكان رأسهم ماني نصرانيا مجوسيا فالنسب بين النصارى والمجوس بل وسائر المشركين نسب معروف.." (١)

"الثنوية الذين يقولون لم يكن يقدر النور أن يمنع الظلمة **من الشر ومن** جنس قول ديمقراطيس والحنانين الذين يقولون لم يمكن واجب الوجود أن يمنع النفس من ملابسة الهيولي بل تعلقت النفس بها بغير اختياره.

الوجه العاشر: أن ما فعله به الكفار اليهود الذين صلبوه طاعة لله أو معصية، فإن كان طاعة لله استحق اليهود الذين صلبوه أن يثيبهم ويكرمهم على طاعته كما يثيب سائر المطيعين له والنصارى متفقون على أن أولئك من أعظم الناس إثما وهم من شر الخلق وهم يستحلون من دمهم ولعنتهم ما لا يستحلونه من غيرهم بل." (٢)

"ليسترقه لظنه أنه منهم ولم يكن منهم لم يكن هذا ذنبا يمنع استرقاق الباقين.

وإن قيل إن عدل الرب ليس كعدل المخلوقين بل من عدله أن لا ينقص أحدا من حسناته ولا يعاقبه إلا بذنبه لم يجز حينئذ أن يعاقب ذرية آدم بذنب أبيهم ولم يجز أن يعاقب الأنبياء الذين ليس لهم ذنب إلا ذنب تابوا منه بذنب غيرهم، فإن الأنبياء معصومون أن يقروا على ذنب فكل من مات منهم مات وليس له ذنب يستحق عليه العقوبة فكيف يعاقبون بعد الموت بذنب أبيهم إن قدر أنه مات مصرا على الذنب مع أن هذا تقدير باطل ولو قدر أن الأنبياء لهم خطايا يستحقون بها العقوبة بعد الموت وتسليط إبليس على عقوبتهم مع أن هذا تقدير باطل فمن بعد المسيح من غير الأنبياء أولى بذلك فكيف يجوز في العدل الذي يوجب التسوية بين المتماثلين عقوبة الأنبياء ومنع عقوبة من هو دونهم بل من هو من الكفار.

الوجه الثاني عشر: أن الرب إذا قصد بهذا دفع ظلم إبليس فهلا اتحد بناسوت بعض أولاد آدم ليحتال على إبليس فيمنعه من ظلم من تقدم، فإن المنع **من الشر الكثير** أولى من المنع **من الشر القليل** أتراه ما كان يعلم أن إبليس يعمل **هذا الشر كله** فهذا تجهيل له أو كان يعرف وعجز عن دفعه فهذا تعجيز له ثم ما الفرق بين زمان وزمان أم كان ترك منعه عدلا منه فهو عدل في كل زمان.." (٣)

"وقال – تعالى –: ﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون﴾ [النحل: ٢] وقال – تعالى –: ﴿ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق﴾ [غافر: ١٥] فسمى الملك روحا وسمى ما ينزل به الملك روحا وهما متلازمان والمسيح – عليه السلام – مؤيد بهذا وهذا.

ولهذا قال كثير من المفسرين إنه جبريل وقال: بعضهم إنه الوحي وهذا كلفظ الناموس يراد به صاحب سر الخير كما يراد

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ابن تيمية ١١١/٢

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ابن تيمية ١١٣/٢

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ابن تيمية ١١٦/٢

بالجاسوس صاحب **سر الشر فيكون** الناموس جبريل ويراد به الكتاب الذي نزل به وما فيه من الأمر والنهي والشرع ولما قال ورقة بن نوفل للنبي: " هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسى " فسر الناموس بهذا وهذا وهما متلازمان ".." (١)

"فهم صنف واحد وصفهم بهذه الصفات بحرف الواو وكذلك في قوله: ﴿إن الإنسان خلق هلوعا – إذا **مسه الشر جزوعا** – وإذا مسه الخير منوعا – إلا المصلين – الذين هم على صلاتهم دائمون – والذين في أموالهم حق معلوم – للسائل والمحروم – والذين يصدقون بيوم الدين – والذين هم من عذاب ربهم مشفقون – إن عذاب ربهم غير مأمون – والذين هم لفروجهم حافظون – إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين – فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون – والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون – والذين هم بشهاداتهم قائمون – والذين هم على صلاتهم يحافظون – أولئك في جنات مكرمون﴾ [المعارج: ١٩ – ٣٥] .

وقد فسر قبل قوله: يؤمنون بالغيب صفة المؤمنين من غير أهل الكتاب كمشركي العرب، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك صفة من آمن به من أهل الكتاب.

وعلى هذا القول: هؤلاء غير هؤلاء، لكن هذا ضعيف، فإنه لا بد في المؤمنين من غير أهل الكتاب أن يؤمنوا بما أنزل إليه وما أنزل من قبله ولا بد في مؤمن أهل الكتاب أن يؤمن بالغيب. فكل من الإيمانين." (٢)

"ومن حنانيا الذي أصلحه " مرقس البشير " إلى حادي عشر بطركا بالإسكندرية، لم يكن في عمل مصر أسقف ولم يكن البطاركة قبله أصلحوا أسقفا، وأن العامة لما سمعت الأساقفة يسمون البطريك أبا قالوا: إذا كنا نحن نسمي الأسقف أبا، والأسقف يسمي البطريك أبا، فيجب علينا أن نسمي البطريك بابا ؛ أي الجد، إذ كان أبا لأبينا، فسمي بطريك الإسكندرية من وقت " هرقل " بابا، أي الجد.

قال: وخرج " مرقس " إلى " برقة " يدعو الناس إلى الإيمان بالسيد المسيح ومات " قلوديوس " قيصر، وملك بعده ابنه " نارون " ثلاث عشرة سنة.

قال: وهو أول من أهاج على **النصارى الشر والبلاء** والعذاب.

قال: وفي عصره كتب " بطرس " رئيس الحواريين الإنجيل." (٣)

"وكان رجلا دينا مبغضا للأصنام محبا للنصارى.

فخرج " قسطس " إلى ناحية الجزيرة و " الرها "، فنزل في قرية من قرى " الرها " يقال لها: " كفرجاث " فنظر فيها امرأة حسنة جميلة يقال لها: " هيلانة " وكانت قد تنصرت على يدي أسقف " الرها " وتعلمت قراءة الكتب.

وولدت " هيلانة " " قسطنطين " فتربى بـ " الرها " وتعلم حكم اليونانيين، وكان غلاما حسن الوجه قليل الشر، وديعا محبا للحكمة.

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ابن تيمية ١٨٧/٢

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ابن تيمية ٢٨٣/٢

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ابن تيمية ١٨٨/٤

وأما " علانيوس " فكان رجلا وحشيا شديد البأس، مبغضا للنصارى جدا كثير القتل لهم، محبا للنساء، ولم يترك للنصارى بنتا بكرا إلا أخذها وأفسدها وقتلها، وكذلك أصحابه، وهكذا كانوا يفعلون بالنصارى، وكان النصارى في شدة شديدة جدا معهم.

وبلغه خبر " قسطنطين " وأنه غلام هاد **قليل الشر كثير** العلم والخير.

وأخبره الحكماء الذين له والمنجمون أن " " قسطنطين " " سيملك ملكا عظيما، فهم بقتله.." (١)

"أو الشرير **العظيم الشر من** الآدميين، وسماه إلها على نحو قول التوراة: " إن الله جعل موسى إلها لفرعون "؛ أي حاكما عليه ومتصرفا فيه، وعلى نحو قول داود للعظماء من قومه: " إنكم آلهة ".

فقد شهد أشعياء بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ووصفه بأخص علاماته وأوضحها، وهي شامته، فلعمري لم تكن الشامة لسليمان، ولا للمسيح، وقد وصفه بالجلوس على كرسي داود، يعني أنه سيرث بني إسرائيل، نبوتهم وملكهم، ويبتزهم رياستهم.." (٢)

"وقال تعالى: ﴿قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله﴾ [الأعراف: ١٨٨] .

وأيضا، ففي نبوة أشعياء أنه وصف محمدا بأنه أركون السلم، والسلم والسلام: الإسلام. فهو يبين أنه سيد دين الإسلام. ولا ريب أن الأنبياء كلهم بعثوا بدين الإسلام. لكن لم يظهر هذا الدين واسمه، وانتشر ذكر دين الإسلام في الأرض كما ظهر لمحمد، فمحمد أركون الإسلام الذي يجمع كل خير وبر، كما أن إبليس أركون الشر، قال تعالى عن نوح:

﴿ياقوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون - فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ [يونس: ٧١ - ٧٢] .." (٣)

"الصالح، فمن اتبع الرسل، حصل له سعادة الدنيا والآخرة. وإنما دخل في البدع من قصر في اتباع الأنبياء علما وعملا.

ولما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق تلقى ذلك عنه المسلمون أمته.

فكل علم نافع وعمل صالح عليه أمة محمد صلى الله عليه وسلم أخذوه عن نبيهم، مع ما يظهر لكل عاقل: أن أمته أكمل الأمم في جميع الفضائل العلمية والعملية، ومعلوم أن كل كمال في الفرع المتعلم هو من الأصل المعلم، وهذا يقتضي أنه كان أكمل الناس علما ودينا، وهذه الأمور توجب العلم الضروري بأنه كان صادقا في قوله:

﴿إني رسول الله إليكم جميعا﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

لم يكن كاذبا مفتريا، فإن هذا القول لا يقوله إلا من هو من خيار الناس وأكملهم إن كان صادقا، أو هو من شر الناس

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ابن تيمية ٢١٠/٤

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ابن تيمية ٢٦١/٥

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ابن تيمية ٣٠٨/٥

وأخبثهم إن كان كاذبا.

وما ذكر من كمال علمه ودينه، **يناقض الشر والخبث** والجهل، فتعين أنه متصف بغاية الكمال في العلم والدين، و ه ذا يستلزم أنه كان صادقا في قوله:

﴿إني رسول الله﴾ [الأعراف: ١٥٨] .." (١)

"﴿وما هو بقول شيطان رجيم – فأين تذهبون – إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ [التكوير: ٢٥ – ٢٧] .

وقال تعالى: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين – نزل به الروح الأمين – على قلبك لتكون من المنذرين – بلسان عربي مبين﴾ [الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥] .

إلى قوله:

﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين – تنزل على كل أفاك أثيم – يلقون السمع وأكثرهم كاذبون﴾ [الشعراء: ٢٢١ – ٢٢٣] .

بين سبحانه أن الشيطان إنما ينزل على من يناسبه ليحصل به غرضه، فإن الشيطان يقصد الشر: وهو الكذب والفجور، ولا يقصد الصدق والعدل، فلا يقترن إلا بمن فيه كذب، إما عمدا وإما خطأ، فإن الخطأ في الدين هو من الشيطان أيضا، كما قال ابن مسعود – لما سئل عن مسألة –: " أقول فيها برأيي، فإن يكن صوابا فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه ".." (٢)

"كالفارابي، وابن سينا، وغيرهما، ومن سلك طريقهم من متكلم، ومتصوف، ومتفقه، كما يوجد مثل ذلك في كتب أبي حامد، والسهروردي المقتول، وابن رشد الحفيد، وابن عربي، وابن سبعين، لكن أبو حامد يختلف كلامه؛ تارة يوافقهم، وتارة يخالفهم. وهذا القدر فعله ابن سينا وأمثاله ممن رام الجمع بين ما جاءت به الأنبياء، وبين فلسفة المشائين – أرسطو، وأمثاله، ولهذا تكلموا في الآيات، وخوارق العادات، وجعلوا لها ثلاثة أسباب: القوى الفلكية، والقوى النفسانية، والطبيعية؛ إذ كانت هذه هي المؤثرات في هذا العالم عندهم، وجعلوا ما للأنبياء وغير الأنبياء من المعجزات، والكرامات، وما للسحرة من العجائب هو من قوى النفس. لكن الفرق بينهما أن ذلك قصده الخير، وهذا قصده الشر، وهذا المذهب من أفسد مذاهب العقلاء، كما قد بسط الكلام عليه في موضع آخر. فإنه مبني على إنكار الملائكة، وإنكار الجن، وعلى أن الله لا يعلم الجزئيات، ولا يخلق بمشيئته وقدرته، ولا يقدر على تغيير العالم، ثم إن هؤلاء لا يقرون من المعجزات إلا بما جرى على هذا." (٣)

"والبحر زئبقا، وموت أهل البلد كلهم في لحظة، ومصير الأطفال علماء حكماء في لحظة واحدة.

وعلى هذا الجواب يعتمدون كثيرا، كما يذكره القاضي أبو بكر، والقاضي أبو يعلى، وأبو المعالي، والرازي، وغيرهم، ثم

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ابن تيمية ٤٤٥/٥

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ابن تيمية ٤٤٧/٥

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ابن تيمية ٢٤/٦

إنهم يقولون في العقل أنه علوم ضرورية كالعلم بوجوب الواجبات، وامتناع الممتنعات، وجواز الجائزات، فالممتنعات كانقلاب دجلة دما، وأمثال ذلك في الأمور العادية، فيجعلون العادات واجبة تارة، وممتنعة أخرى، مع أنه لا سبب يوجب لا هذا ولا هذا.

ويقولون: نعلم أن هذا جائز ممكن لا يتوقف على سبب، ولا له مانع كالآخر، ثم نعلم أن هذا واقع، وهذا غير واقع لمجرد العادة، مع أن خرق العادة ليس له عندهم ضابط، بل كل ما يجري من العادات معجزات للأنبياء، فيجوز أن يكون عندهم للولي وللساحر، والفرق بينهما عندهم التحدي أو عدم المعارضة، وكذلك المتفلسفة الملاحدة الذين يقولون: أسباب الآيات القوى الفلكية، والقوى النفسانية والطبيعية، وهذه كلها مشتركة عندهم بين الأنبياء والسحرة لكن النبي يقصد الخير والعدل، والساحر **يقصد الشر والظلم**.." (١)

"ثم إذا تكلم مع ذلك دل كلامه على أبلغ مما يدل عليه سيما وجهه، كما قال تعالى عن المنافقين:

﴿ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول﴾ [محمد: ٣٠]

فأخبر أنه لا بد أن يعرف المنافقين في لحن القول، وأن معرفتهم بالسيما معلقة بالمشيئة، والمنافق الكاذب يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فبين أنه في لحن قوله يعلم أنه كاذب، وقال في حق المؤمنين:

﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ [الفتح: ٢٩]

وقال في حق الكافر:

﴿عتل بعد ذلك زنيم﴾ [القلم: ١٣]

أي له زنمة **من الشر أي** علامة يعرف بها.." (٢)

"في هذه الآية لما كان المنافقون والكفار ومن في قلبه مرض يقول: هذا الذي أصابنا هو بسبب ما جاء به محمد، عقوبة دينية وصل إلينا بين سبحانه أن ما أصابهم من المصائب إنما هو بذنوبهم.

ففى هذا رد على من أعرض عن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لئلا تصيبه تلك المصائب، وعلى من انتسب إلى الإيمان بالرسول، ونسبها إلى فعل ما جاء به الرسول، وعلى من أصابته مع كفره بالرسول ونسبها إلى ما جاء به الرسول.

فصل

والمقصود أن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ليس سببا لشيء من المصائب، ولا تكون طاعة الله ورسوله قط سببا لمصيبة، بل طاعة الله والرسول لا تقتضى إلا جزاء أصحابها بخيرى الدنيا والآخرة، ولكن قد تصيب المؤمنين بالله ورسوله مصائب بسبب ذنوبهم، لا بما أطاعوا فيه الله والرسول، كما لحقهم يوم أحد بسبب ذنوبهم، لا بسبب طاعتهم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وكذلك ما ابتلوا به في السراء والضراء والزلزال، ليس هو بسبب نفس إيمانهم وطاعتهم، لكن امتحنوا به، ليتخلصوا مما

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ابن تيمية ٦/٤٠٠

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ابن تيمية ٦/٤٨٦

فيهم **من الشر وفتنوا** به كما يفتن الذهب بالنار؛ ليتميز طيبه من خبيثه، والنفوس فيها شر، والامتحان يمحص المؤمن من **ذلك الشر الذي** في نفسه، قال تعالى: ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين﴾ [آل عمران: ١٤٠، ١٤١] ، وقال." [١]

"ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ".

فنفس خلق الله لهم أحياء، وجعله لهم السمع والأبصار والأفئدة، هو من نعمته. ونفس إرسال الرسول إليهم، وتبليغه البلاغ المبين الذي اهتدوا به، هو من نعمته.

وإلهامهم الإيمان، وهدايتهم إليه، وتخصيصهم بمزيد نعمة حصل لهم بها الإيمان دون الكافرين؛ هو من نعمته، كما قال تعالى: ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة﴾ [الحجرات: ٧، ٨] .

فجميع ما يتقلب فيه العالم من خيري الدنيا والآخرة، هو نعمة محضة منه، بلا سبب سابق يوجب لهم حقا، ولا حول ولا قوة لهم من أنفسهم إلا به، وهو خالق نفوسهم، وخالق أعمالها الصالحة وخالق الجزاء.

فقوله: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله﴾ [النساء: ٧٩] حق من كل وجه، ظاهرا وباطنا على مذهب أهل السنة.

وأما ا لسيئة: فلا تكون إلا بذنب العبد، وذنبه من نفسه. وهو لم يقل: إني لم أقدر ذلك ولم أخلقه، بل ذكر للناس ما ينفعهم.

فصل

فإذا تدبر العبد علم أن ما هو فيه من الحسنات من فضل الله، فشكر الله، فزاده الله من فضله عملا صالحا، ونعما يفيضها عليه.

وإذا علم **أن الشر لا** يحصل له إلا من نفسه بذنوبه استغفر وتاب، فزال عنه سبب الشر.." [٢]

"فيكون العبد دائما شاكرا مستغفرا، فلا يزال الخير يتضاعف له، والشر يندفع عنه، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته: " الحمد لله " فيشكر الله، ثم يقول: " نستعينه ونستغفره " نستعينه على الطاعة، ونستغفره من المعصية، ثم يقول: " ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا " فيستعيذ به **من الشر الذي** في النفس، ومن عقوبة عمله، **فليس الشر إلا** من نفسه ومن عمل نفسه، فيستعيذ الله من شر النفس؛ أن يعمل بسبب سيئاته الخطايا، ثم إذا عمل استعاذ بالله من سيئات عمله ومن عقوبات عمله، فاستعانه على الطاعة وأسبابها، واستعاذ به من المعصية وعقابها.

فعلم العبد بأن ما أصابه من حسنة فمن الله، وما أصابه من سيئة فمن نفسه يوجب له هذا وهذا، فهو سبحانه فرق بينهما هنا، بعد أن جمع بينهما في قوله: ﴿كل من عند الله﴾ [النساء: ٧٨] .

---

(١) الحسنة والسيئة ابن تيمية ص/٣٦

(٢) الحسنة والسيئة ابن تيمية ص/٤١

فبين أن الحسنات والسيئات: النعم والمصائب، والطاعات والمعاصي، على قول من أدخلها في: ﴿من عند الله﴾ .

ثم بين الفرق الذي ينتفعون به، وهو أن هذا الخير من نعمة الله، فاشكروه يزدكم، **وهذا الشر من** ذنوبكم، فاستغفروه، يدفعه عنكم.

قال الله تعالى: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ [الأنفال: ٣٣] ،وقال تعالى: ﴿الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله﴾ [هود: ١ ٣] .

والمذنب إذا استغفر ربه من ذنبه، فقد تأسى بالسعداء من الأنبياء." (١)

"فمن احتج بالقدر على ما فعله من ذنوبه، وأعرض عما أمر الله به، من التوبة والاستغفار، والاستعانة بالله، والاستعاذة به، واستهدائه كان من أخسر الناس في الدنيا والآخرة. فهذا من فوائد ذكر الفرق بين الجمع.

فصل

الفرق الثالث: أن الحسنة يضاعفها الله وينميها، ويثيب على الهم بها، والسيئة لا يضاعفها، ولا يؤاخذ على الهم بها. فيعطى صاحب الحسنة من الحسنات فوق ما عمل، وصاحب السيئة لا يجزيه إلا بقدر عمله، قال تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾ [الأنعام: ١٦٠] .

الفرق الرابع: أن الحسنة مضافة إليه؛ لأنه أحسن بها من كل وجه كما تقدم فما من وجه من وجوهها إلا وهو يقتضى الإضافة إليه.

وأما السيئة فهو إنما يخلقها بحكمة، وهى باعتبار تلك الحكمة من إحسانه، فإن الرب لا يفعل سيئة قط، بل فعله كله حسن وحسنات، وفعله كله خير.

ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعاء الاستفتاح: " والخير بيديك، والشر ليس إليك "، فإنه لا يخلق شرا محضا، بل كل ما يخلقه ففيه حكمة، هو باعتبارها خير، ولكن قد يكون فيه شر لبعض الناس وهو شر جزئي إضافي، فأما شر كلى، أو شر مطلق، فالرب منزه عنه، وهذا **هو الشر الذي** ليس إليه.

وأما الشر الجزئي الإضافي، فهو خير باعتبار حكمته؛ ولهذا لا يضاف." (٢)

"أنه يفرق بين الحسنات والسيئات، وبين المحسن والمسيء، وأن من جوز عليه التسوية بينهما، فقد أتى بقول منكر، وزور ينكر عليه.

وليس إذا خلق ما يتأذى به بعض الحيوان لا يكون فيه حكمة، بل فيه من الحكمة والرحمة ما يخفى على بعضهم، مما لا يقدر قدره إلا الله.

وليس إذا وقع في المخلوقات ما هو شر جزئي بالإضافة يكون شرا كليا عاما، بل الأمور العامة الكلية لا تكون إلا خيرا

---

(١) الحسنة والسيئة ابن تيمية ص/٤٢

(٢) الحسنة والسيئة ابن تيمية ص/٤٤

ومصلحة للعباد، كالمطر العام، وكإرسال رسول عام.

وهذا مما يقتضى أنه لا يجوز أن يؤيد الله كذابا عليه بالمعجزات التي أيد بها أنبياءه الصادقين؛ فإن هذا شر عام للناس، يضلهم ويفسد عليهم دينهم ودنياهم وآخرتهم.

وليس هذا كالملك الظالم، والعدو؛ فإن الملك الظالم لابد أن يدفع الله به **من الشر أكثر** من ظلمه.

وقد قيل: ستون سنة بإمام ظالم، خير من ليلة واحدة بلا إمام.

وإذا قدر كثرة ظلمه، فذاك ضرر في الدين، كالمصائب تكون كفارة لذنوبهم ويثابون عليها، ويرجعون فيها إلى الله، ويستغفرونه ويتوبون إليه، وكذلك ما يسلط عليهم من العدو.

وأما من يكذب على الله، ويقول أي يدعى: إنه نبي، فلو أيده الله تأييد الصادق، للزم أن يسوى بينه وبين الصادق. فيستوي الهدى والضلال، والخير والشر، وطريق الجنة وطريق النار، ويرتفع التمييز بين هذا وهذا، وهذا مما يوجب الفساد العام للناس في دينهم ودنياهم وآخرتهم.

ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال من يقاتل على الدين الفاسد من." (١)

"أهل البدع، كالخوارج، وأمر بالصبر على جور الأئمة، ونهى عن قتالهم والخروج عليهم؛ ولهذا قد يمكن الله كثيرا من الملوك الظالمين مدة.

وأما المتنبئون الكذابون، فلا يطيل تمكينهم، بل لابد أن يهلكهم؛ لأن فسادهم عام في الدين والدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين﴾ [الحاقة: ٤٤ ٤٦] ، وقال تعالى: ﴿أم يقولون افترى على الله كذبا فإن يشأ الله يختم على قلبك﴾ [الشورى: ٢٤] ، فأخبر أنه بتقدير الافتراء لابد أن يعاقب من افترى عليه.

فصل

وهذا الموضع مما اضطرب فيه الناس، فاستدلت القدرية النفاة والمجبرة على أنه إذا جاز أن يضل شخصا، جاز أن يضل كل الناس. وإذا جاز أن يعذب حيوانا بلا ذنب ولا عوض، جاز أن يعذب كل حي بلا ذنب ولا عوض، وإذا جاز عليه ألا يعين واحدا ممن أمره على طاعة أمره، جاز ألا يعين كل الخلق. فلم يفرق الطائفتان **بين الشر الخاص** والعام، **وبين الشر الإضافي**، والشر المطلق، ولم يجعلوا **في الشر الإضافي** حكمة يصير بها من قسم الخير.

ثم قال النفاة: وقد علم أنه منزه عن تلك الأفعال، فإنا لو جوزنا عليه هذا لجوزنا عليه تأييد الكذاب بالمعجزات، وتعذيب الأنبياء وإكرام الكفار، وغير ذلك، مما يستعظم العقلاء إضافته إلى الله تعالى.

فقالت المثبتة من الجهمية المجبرة: بل كل الأفعال جائزة عليه، كما جاز ذلك الخاص، وإنما يعلم أنه لا يفعل بما لا يفعل، أو يفعل ما يفعل بالخبر، خبر الأنبياء عنه. وإلا فمهما قدر جاز أن يفعله، وجاز ألا يفعله، ليس في نفس." (٢)

---

(١) الحسنة والسيئة ابن تيمية ص/٤٦

(٢) الحسنة والسيئة ابن تيمية ص/٤٧

"الأمر سبب ولا حكمة، ولا صفة تقتضي التخصيص ببعض الأفعال دون بعض، بل ليس إلا مشيئة، نسبتها إلى جميع الحوادث سواء، ترجح أحد المتماثلين بلا مرجح.

فقيل لهم: فيجوز تأييد الكذاب بالمعجز، فلا يبقى المعجز دليلا على صدق الأنبياء. فلا يبقى خبر نبي يعلم به الفرق، فيلزم مع الكفر بالأنبياء ألا يعلم الفرق، لا بسمع ولا بعقل.

فاحتالوا للفرق بين المعجزات وغيرها، بأن تجويز إتيان الكذاب بالمعجزات يستلزم تعجيز الباري تعالى عما به يفرق بين الصادق والكاذب، أو لأن دلالتها على الصدق معلوم بالاضطرار، كما قد بسط الكلام على ذلك في غير هذا الموضع، وبين خطأ الطائفتين، وأن هؤلاء الذين اتبعوا جهما في الجبر ونفوا حكمة الله ورحمته، والأسباب التي بها يفعل، وما خلقه من القوى وغيرها هم مبتدعة مخالفون للكتاب والسنة وإجماع السلف، مع مخالفتهم لصريح المعقول.

كما أن القدرية النفاة مخالفون للكتاب و السنة وإجماع السلف، مع مخالفتهم لصريح المعقول.

فصل

والمقصود هنا الكلام على قوله: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ [النساء: ٧٩] ، وأن هذا يقتضي أن العبد لا يزال شاكرا مستغفرا.

وقد ذكر **أن الشر لا** يضاف إلى الله إلا على أحد الوجوه الثلاثة. وقد تضمنت الفاتحة للأقسام الثلاثة، هو سبحانه: الرحمن الذي وسعت." (١)

"رحمته كل شيء، وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وقد سبقت وغلبت رحمته غضبه، وهو الغفور الودود، الحليم الرحيم.

فإرادته أصل كل خير ونعمة، وكل خير ونعمة فمنه: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ [النحل: ٥٣] .

وقد قال سبحانه: ﴿نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم﴾ ثم قال: ﴿وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠] ، وقال تعالى: ﴿اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم﴾ [المائدة: ٩٨] فالمغفرة والرحمة من صفاته المذكورة بأسمائه. فهي من موجب نفسه المقدسة، ومقتضاها ولوازمها.

وأما العذاب، فمن مخلوقاته، الذي خلقه بحكمة، هو باعتبارها حكمة ورحمة. فالإنسان لا يأتيه الخير إلا من ربه وإحسانه وجوده، ولا **يأتيه الشر إلا** من نفسه، فما أصابه من حسنة فمن الله، وما أصابه من سيئة فمن نفسه.

وقوله: ﴿ما أصابك﴾ إما أن تكون كاف الخطاب له صلى الله عليه وسلم كما قال ابن عباس وغيره وهو الأظهر؛ لقوله بعد ذلك: ﴿وأرسلناك للناس رسولا﴾ [النساء: ٧٩] .

وإما أن تكون لكل واحد واحد من الآدميين، كقوله: ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾ [الانفطار: ٦] .

---

(١) الحسنة والسيئة ابن تيمية ص/٤٨

لكن هذا ضعيف، فإنه لم يتقدم هنا ذكر الإنسان ولا مكانه، وإنما تقدم ذكر طائفة قالوا ما قالوه. فلو أريد ذكرهم لقيل: " ما أصابهم من حسنة فمن الله وما أصابهم من سيئة ".." (١)

"في القرآن: ﴿وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾ [الأنعام: ١٩] .

والمقصود هنا أن الحسنة مضافة إليه سبحانه من كل وجه، والسيئة مضافة إليه لأنه خلقها، كما خلق الحسنة فلهذا قال: ﴿كل من عند الله﴾ . ثم إنه إنما خلقها لحكمة، ولا تضاف إليه من جهة أنها سيئة، بل تضاف إلى النفس التي **تفعل الشر بها** لا لحكمة، فتستحق أن **يضاف الشر والسيئة** إليها، فإنها لا تقصد بما تفعله من الذنوب خيرا يكون فعله لأجله أرجح، بل ما كان هكذا فهو من باب الحسنات؛ ولهذا كان فعل الله حسنا، لا يفعل قبيحا ولا سيئا قط.

وقد دخل في هذا سيئات الجزاء والعمل؛ لأن المراد بقوله: ﴿ما أصابك من حسنة﴾ و ﴿من سيئة﴾ النعم والمصائب كما تقدم لكن إذا كانت المصيبة من نفسه لأنه أذنب فالذنب من نفسه بطريق الأولى، فالسيئات من نفسه بلا ريب، وإنما جعلها منه مع الحسنة بقوله: ﴿كل من عند الله﴾ كما تقدم؛ لأنها لا تضاف إلى اﷲ مفردة، بل إما في العموم، كقوله: ﴿كل من عند الله﴾ .

وكذلك الأسماء التي فيها ذكر الشر، لا تذكر إلا مقرونة، كقولنا: " الضار النافع، المعطى المانع، المعز المذل " أو مقيدة، كقوله: ﴿إنا من المجرمين منتقمون﴾ [السجدة: ٢٢] .

وكل ما خلقه مما فيه شر جزئي إضافي ففيه من الخير العام والحكمة والرحمة أضعاف ذلك، مثل إرسال موسى إلى فرعون، فإنه حصل به التكذيب والهلاك لفرعون وقومه، وذلك شر بالإضافة إليهم، لكن حصل به من النفع العام للخلق إلى." (٢)

"فصل

فالغفلة والشهوة أصل الشر، قال تعالى: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا﴾ [الكهف: ٢٨] ، والهوى وحده لا يستقل بفعل السيئات إلا مع الجهل، وإلا فصاحب الهوى إذا علم قطعا أن ذلك يضره ضررا راجحا، انصرفت نفسه عنه بالطبع؛ فإن الله تعالى جعل في النفس حبا لما ينفعها، وبغضا لما يضرها، فلا تفعل ما تجزم بأنه يضرها ضررا راجحا، بل متى فعلته كان لضعف العقل.

ولهذا يوصف هذا بأنه عاقل، وذو نهى، وذو حجى.

ولهذا كان البلاء العظيم من الشيطان، لا من مجرد النفس؛ فإن الشيطان يزين لها السيئات، ويأمرها بها، ويذكر لها ما فيها من المحاسن التي هي منافع لا مضار، كما فعل إبليس بآدم وحواء، فقال: ﴿يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما﴾ [طه: ١٢٠، ١٢١] ، وقال: ﴿وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين﴾ [الأعراف: ٢٠] .

---

(١) الحسنة والسيئة ابن تيمية ص/٤٩

(٢) الحسنة والسيئة ابن تيمية ص/٥١

ولهذا قال تعالى: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون﴾ [الزخرف: ٣٦، ٣٧] ، وقال تعالى: ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا﴾ [فاطر: ٨] ، وقال تعالى: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة." (١)

"فلما كان من طبع النفس الملازم لها وجود الإرادة والعمل، إذ هو حارث همام، فإن عرفت الحق وأرادته، وأحبته وعبدته، فذلك من تمام إنعام الله عليها. وإلا فهي بطبعها لابد لها من مراد معبود غير الله، ومرادات سيئة تضرها، **فهذا الشر قد** تركب من كونها لم تعرف الله ولم تعبده، وهذا عدم لا يضاف إلى فاعل، ومن كونها بطبعها لابد لها من مراد معبود، فعبدت غيره. وهذا **هو الشر الذي** تعذب عليه، وهو من مقتضى طبعها مع عدم هداها.

والقدرية يعترفون بهذا جميعه، وبأن الله خلق الإنسان مريدا، لكن يجعلون المخلوق كونه مريدا بالقوة والقبول، أي قابلا لأن يريد هذا وهذا.

وأما كونه مريدا لهذا المعين، وهذا المعين، فهذا عندهم ليس مخلوقا لله وغلطوا في ذلك غلطا فاحشا؛ فإن الله خالق هذا كله.

وإرادة النفس لما يريده من الذنوب وفعلها، هو من جملة مخلوقات الله تعالى؛ فإن الله خالق كل شيء، وهو الذي ألهم النفس التي سواها فجورها وتقواها.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه: " اللهم آت نفسي تقواها، وزكها، أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها ".

وهو سبحانه جعل إبراهيم وآله أئمة يهدون بأمره، وجعل فرعون وآله أئمة يدعون إلى النار، ويوم القيامة لا ينصرون.

لكن هذا لا يضاف مفردا إلى الله تعالى لوجهين: من جهة علته الغائية، ومن جهة سببه وعلته الفاعلية.

أما الغائية، فإن الله إنما خلقه لحكمة هو باعتبارها خير لا شر، وإن كان." (٢)

"شرا إضافيا، فإذا أضيف مفردا توهم المتوهم مذهب جهم: أن الله **يخلق الشر المحض** الذي لا خير فيه لأحد لا لحكمة ولا رحمة، والأخبار والسنة والاعتبار تبطل هذا المذهب.

كما أنه إذا قيل: محمد وأمته يسفكون الدماء، ويفسدون في الأرض، كان هذا ذما لهم، وكان باطلا. وإذا قيل: يجاهدون في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدين كله لله، ويقتلون من منعهم من ذلك، كان هذا مدحا لهم، وكان حقا.

فإذا قيل: إن الرب تبارك وتعالى حكيم رحيم، أحسن كل شيء خلقه، وأتقن ما صنع، وهو أرحم الراحمين، أرحم بعباده من الوالدة بولدها، والخير كله بيديه، والشر ليس إليه، بل لا يفعل إلا خيرا، وما خلقه من ألم لبعض الحيوانات أو من أعمالهم المذمومة، فله فيها حكمة عظيمة، ونعمة جسيمة كان هذا حقا، وهو مدح للرب وثناء عليه.

---

(١) الحسنة والسيئة ابن تيمية ص/٦١

(٢) الحسنة والسيئة ابن تيمية ص/٦٨

وأما إذا قيل: إنه **يخلق الشر الذي** لا خير فيه ولا منفعة لأحد، ولا له فيها حكمة ولا رحمة، ويعذب الناس بلا ذنب لم يكن هذا مدحا للرب، ولا ثناء عليه، بل كان بالعكس.

ومن هؤلاء من يقول: إن الله تعالى أضر على خلقه من إبليس.

وبسط القول في بيان فساد قول هؤلاء له موضع آخر.

وقد بينا بعض ما في خلق جهنم وإبليس والسيئات من الحكمة والرحمة، وما لم نعلم أعظم مما علمناه.

فتبارك الله أحسن الخالقين، وأرحم الراحمين، وخير الغافرين، ومالك يوم الدين، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، الذي لا يحصى العباد ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، الذي له الحمد في الأولى." (١)

"كانوا هم الظالمين﴾ [الزخرف: ٧٦] ،وقوله: ﴿وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم﴾ [هود: ١٠١] ، وقوله: ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ [فصلت: ٤٦] .

كيف يكون ظالما وهم فيما بينهم لو أساء بعضهم إلى بعض، أو قصر في حقه لكان يؤاخذه، ويعاقبه وينتقم منه، ويكون ذلك عدلا إذا لم يعتد عليه؟ !

ولو قال: إن الذي فعلته قدر علي فلا ذنب لي فيه، لم يكن هذا عذرا له عندهم باتفاق العقلاء.

فإذا كان العقلاء متفقين على أن حق المخلوق لا يجوز إسقاطه احتجاجا بالقدر، فكيف يجوز إسقاط حق الخالق احتجاجا بالقدر وهو سبحانه الحكم العدل، الذي لا يظلم مثقال ذرة، وإن تك حسنة يضاعفها، ويؤت من لدنه أجرا عظيما؟ وهذا مبسوط في غير هذا الموضع.

فقوله: " أحق ما قال العبد ": يقتضي أن حمد الله أحق ما قاله العبد، فله الحمد على كل حال؛ لأنه لا يفعل إلا الخير والإحسان، الذي يستحق الحمد عليه سبحانه وتعالى وإن كان العباد لا يعلمون.

وهو سبحانه خلق الإنسان، وخلق نفسه متحركة بالطبع حركة لابد فيها **من الشر لحكمة** بالغة، ورحمة سابغة.

فإذا قيل: فلم لم يخلقها على غير هذا الوجه؟

قيل: كان يكون ذلك خلقا غير الإنسان، وكانت الحكمة التي خلقها بخلق." (٢)

"الإنسان لا تحصل، وهذا سؤال الملائكة حيث قالوا: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ [البقرة: ٣٠] ، وما لم تعلمه الملائكة، فكيف يعلمه آحاد الناس.

ونفس الإنسان خلقت كما قال الله تعالى: ﴿إن الإنسان خلق هلوعا إذا **مسه الشر جزوعا** وإذا مسه الخير منوعا﴾ [المعارج: ١٩٢١] ، وقال تعالى: ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ [الأنبياء: ٣٧] .

فقد خلقت خلقة تستلزم وجود ما وجد منها لحكمة عظيمة، ورحمة عميمة، فكان ذلك خيرا ورحمة، وإن كان فيه شر إضافي كما تقدم فهذا من جهة الغاية، مع أنه لا **يضاف الشر إلى** الله.

---

(١) الحسنة والسيئة ابن تيمية ص/٦٩

(٢) الحسنة والسيئة ابن تيمية ص/٧٩

وأما الوجه الثاني من جهة السبب: فإن **هذا الشر إنما** وجد لعدم العلم والإرادة التي تصلح النفس، فإنها خلقت بفطرتها تقتضي معرفة الله ومحبته. وقد هديت إلى علوم وأعمال تعينها على ذلك، وهذا كله من فضل الله وإحسانه، لكن النفس المذنبة لما لم يحصل لها من يكملها، بل حصل لها من زين لها السيئات من شياطين الإنس والجن مالت إلى ذلك، وفعلت السيئات، فكان فعلها للسيئات مركبا من عدم ما ينفع وهو الأفضل، ووجود هؤلاء الذين حيروها، والعدم لا يضاف إلى الله. وهؤلاء القول فيهم كالقول فيها؛ خلقهم لحكمة.

فلما كان عدم ما تعمل به وتصلح هو أحد السببين، **وكان الشر المحض** الذي لا خير فيه هو العدم المحض، والعدم لا يضاف إلى الله؛ فإنه ليس شيئا، والله خالق كل شيء كانت السيئات منها بأعتبار [أن] ذاتها في نفسها مستلزمة للحركة الإرادية التي تحصل منها مع عدم ما يصلحها تلك السيئات.." (١)

"وإما أن يكفر عنه بمصائب؛ تصيبه ضراء فيصبر عليها، فيكفر عنه السيئات بتلك المصائب، وبالصبر عليها ترتفع درجاته.

وقد جاء في بعض الأحاديث: يقول الله تعالى: " أهل ذكرى أهل مجالستيي، وأهل شكري أهل زيادتي، وأهل طاعتي أهل كرامتي، وأهل معصيتي لا أؤيسهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم أي محبهم؛ فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأكفر عنهم المعائب ".

وفي قوله تعالى: " من نفسك " من الفوائد: أن العبد لا يركن إلى نفسه، ولا يسكن إليها؛ **فإن الشر لا** يجيء إلا منها، ولا يشتغل بملام الناس ولا ذمهم إذا أساؤوا إليه؛ فإن ذلك من السيئات التي أصابته، وهي إنما أصابته بذنوبه، فيرجع إلى الذنوب فيستغفر منها، ويستعيذ بالله من شر نفسه وسيئات عمله، ويسأل الله أن يعينه على طاعته، فبذلك يحصل له كل خير، ويندفع عنه كل شر.

ولهذا كان أنفع الدعاء، وأعظمه وأحكمه دعاء الفاتحة: ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ [الفاتحة: ٦، ٧] ، فإنه إذا هداه هذا الصراط أعانه على طاعته وترك معصيته، فلم يصبه شر، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

لكن الذنوب هي من لوازم نفس الإنسان، وهو محتاج إلى الهدى في كل لحظة، وهو إلى الهدى أحوج منه إلى الأكل والشرب.

ليس كما يقوله طائفة من المفسرين: إنه قد هداه، فلماذا يسأل الهدى؟

وأن المراد بسؤال الهدى: الثبات، أو مزيد الهداية.." (٢)

"بل العبد محتاج إلى أن يعلمه ربه ما يفعله من تفاصيل أحواله. وإلى ما يتولد من تفاصيل الأمور في كل يوم، وإلى أن يلهم أن يعمل ذلك.

---

(١) الحسنة والسيئة ابن تيمية ص/٨٠

(٢) الحسنة والسيئة ابن تيمية ص/٨٣

فإنه لا يكفى مجرد علمه إن لم يجعله الله مريدا للعمل بعلمه، وإلا كان العلم حجة عليه، ولم يكن مهتديا، والعبد محتاج إلى أن يجعله الله قادرا على العمل بتلك الإرادة الصالحة.

فإنه لا يكون مهتديا إلى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين إلا بهذه العلوم والإرادات، والقدرة على ذلك.

ويدخل في ذلك من أنواع الحاجات ما لا يمكن إحصاؤه.

ولهذا كان الناس مأمورين بهذا الدعاء في كل صلاة؛ لفرط حاجتهم إليه، فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى هذا الدعاء.

وإنما يعرف بعض قدر هذا الدعاء من اعتبر أحوال نفسه ونفوس الإنس والجن، والمأمورين بهذا الدعاء، ورأى ما في النفوس من الجهل والظلم الذي يقتضي شقاءها في الدنيا والآخرة، فيعلم أن الله بفضله ورحمته جعل هذا الدعاء من أعظم الأسباب المقتضية للخير، المانعة من الشر.

ومما يبين ذلك أن الله تعالى لم يقص علينا في القرآن قصة أحد إلا لنعتبر بها، لما في الاعتبار بها من حاجتنا إليه ومصلحتنا.

وإنما يكون الاعتبار إذا قسنا الثاني بالأول، وكانا مشتركين في المقتضى للحكم.

فلولا أن في نفوس الناس من جنس ما كان في نفوس المكذبين للرسل فرعون ومن قبله لم يكن بنا حاجة إلى الاعتبار بمن لا نشبهه قط، ولكن الأمر." (١)

"السمع والطاعة في عسره ويسره، ومنشطه ومكرهه، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة ".

وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إنما الطاعة في المعروف "، وقال: " من أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه "، وقال: " لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ".

وهذا مبسوط في غير هذا الموضع.

والمقصود هنا أنه إذا عرف أن النعم كلها من الله، وأنه لا يقدر أن يأتي بها إلا الله، فلا يأتى بالحسنات إلا هو، ولا يذهب السيئات إلا هو، وأنه ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده﴾ [فاطر: ٢] صار توكله ورجاؤه ودعاؤه للخالق وحده.

وكذلك إذا علم ما يستحقه الله من الشكر الذي لا يستحقه غيره صار علمه بأن الحسنات من الله يوجب له الصدق في شكر الله، والتوكل عليه.

ولو قيل: إنها من نفسه لكان غلطا؛ لأن منها ما ليس لعمله فيه مدخل، وما كان لعمله فيه مدخل فإن اللہ هو المنعم به، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله، ولا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه.

وعلم **أن الشر قد** انحصر سببه في النفس، فضبط ذلك وعلم من أين يؤتى، فاستغفر ربه مما فعل وتاب، واستعان الله واستعاذ به مما لم يعمل بعد، كما قال من قال من السلف: لا يرجون عبد إلا ربه، ولا يخافن عبد إلا ذنبه.

---

(١) الحسنة والسيئة ابن تيمية ص/٨٤

وهذا يخالف قول الجهمية ومن اتبعهم، الذين يقولون: إن الله يعذب بلا ذنب، ويعذب أطفال الكفار وغيرهم عذابا دائما أبدا بلا ذنب.

فإن هؤلاء يقولون: يخاف الله خوفا مطلقا، سواء كان له ذنب أو لم يكن له." (١)

"فتبين أن الجنة إنما يدخلها المؤمنون بعد التهذيب والتنقية من بقايا الذنوب، فكيف بمن لم يكن له حسنات يعبر بها الصراط؟

وأيضا فإذا كان سببها ثابتا فالجزاء كذلك، بخلاف الحسنة، فإنها من إنعام الحي القيوم الباقي، الأول الآخر، فسببها دائم، فيدوم بدوامه.

وإذا علم الإنسان أن السيئة من نفسه، لم يطمع في السعادة التامة، مع ما فيه من الشر، بل علم تحقيق قوله تعالى: ﴿من يعمل سوءا يجز به﴾ [النساء: ١٢٣] ، وقوله: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] .

وعلم أن الرب عليم حليم، رحيم عدل، وأن أفعاله جارية على قانون العدل والإحسان، وكل نعمة منه فضل، وكل نقمة منه عدل.

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " يمين الله ملأى، لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض؟ فإنه لم يغض ما في يمينه، والقسط بيده الأخرى يخفض ويرفع ".

وعلم فساد قول الجهمية، الذين يجعلون الثواب والعقاب بلا حكمة ولا عدل، ولا وضع للأشياء مواضعها، فيصفون الرب بما يوجب الظلم والسفه، وهو سبحانه قد شهد ﴿أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قآئما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ [آل عمران: ١٨] .

ولهذا يقولون: لا ندري ما يفعل بمن فعل السيئات، بل يجوز عندهم أن يعفو عن الجميع، ويجوز عندهم أن يعذب الجميع، ويجوز أن يعذب ويغفر بلا موازنة، بل يعفو عن شر الناس، ويعذب خير الناس على سيئة صغيرة، ولا يغفرها له.." (٢)

"فيها من الأحوال العجيبة، التي تعينهم عليها الشياطين، لما يحصل لهم بها من بعض أغراضهم، من الظلم والفواحش، فلا يبالون بشركهم بالله، ولا كفرهم به وبكتابه إذا نالوا ذلك، ولم يبالوا بتعليم ذلك للناس، وتعظيمهم لهم، لرياسة ينالونها، أو مال ينالونه. وإن كانوا قد علموا أنه الكفر والشرك عملوه، ودعوا إليه، بل حصل عندهم ريب وشك فيما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، أو اعتقاد أن الرسول خاطب الجمهور بما لا حقيقة له في الباطن؛ لأجل مصلحة الجمهور، كما يقول ذلك من يقوله من المتفلسفة والملاحدة والباطنية.

وقد دخل في رأي هؤلاء طائفة من هؤلاء وهؤلاء، وهذا مما ضاهوا به فارس والروم وغيرهم؛ فإن فارس كانت تعظم الأنوار،

---

(١) الحسنة والسيئة ابن تيمية ص/٩٩

(٢) الحسنة والسيئة ابن تيمية ص/١٠٢

وتسجد للشمس وللنار. والروم كانوا – قبل النصرانية – مشركين يعبدون الكواكب والأصنام، فهؤلاء الذين أشبهوا فارس والروم شر من الذين أشبهوا اليهود والنصارى، فإن أولئك ضاهوا أهل الكتاب فيما بدل أو نسخ، وهؤلاء ضاهوا من لا كتاب له من المجوس والمشركين، فارس والروم، ومن دخل في ذلك من الهند واليونان.

ومذهب الملاحدة الباطنية: مأخوذ من قول المجوس بالأصلين، ومن قول فلاسفة اليونان بالعقول والنفوس.

وأصل قول المجوس: يرجع إلى أن تكون الظلمة المضاهية للنور هي إبليس، وقول الفلاسفة بالنفس.

فأصل الشر عبادة النفس والشيطان، وجعلهما شريكين للرب." (١)

"وأن يعدلا به، ونفس الإنسان **تفعل الشر بأمر** الشيطان. وقد علم النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه أن يقول إذا أصبح وإذا أمسى، وإذا أخذ مضجعه: " اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم ".

وهذا من تمام تحقيق قوله تعالى: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ [النساء: ٧٩] ، مع قوله تعالى: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾ [الحجر: ٤٢] وقوله: ﴿لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين﴾ [ص: ٨٥]

وقد ظهرت دعوى النفس الإلهية في فرعون ونحوه، ممن ادعى أنه إله مع الله أو من دونه، وظهرت فيمن ادعى إلهية بشر مع الله كالمسيح وغيره.

وأصل الشرك في بنى آدم كان من الشرك بالبشر الصالحين المعظميِن؛ فإنهم لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم عبدوهم.

فهذا أول شرك كان في بني آدم، وكان في قوم نوح، فإنه أول رسول بعث إلى أهل الأرض يدعوهم إلى التوحيد، وينهاهم عن الشرك، كما قال تعالى: ﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا﴾ [نوح: ٢٣،٢٤] وهذه أسماء قوم صالحين كانوا في قوم." (٢)

"وأي اعتداء أعظم وأشنع من أن يسأل العبد ربه ألا يفعل ما قد أخبر أنه لابد أن يفعله، أو أن يفعل ما قد أخبر أنه لا يفعله؟ وهو سبحانه كما أخبر عن نفسه: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ [البقرة: ١٨٦] ، وقال: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ [غافر: ٦٠] .

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " ما من داع يدعو الله بدعوة، ليس فيها ظلم، ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى خصال ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخر له من الخير مثلها، وإما أن يصرف عنه

---

(١) الحسنة والسيئة ابن تيمية ص/١١٤

(٢) الحسنة والسيئة ابن تيمية ص/١١٥

من الشر مثلها ".

فالدعوة التي ليس فيها اعتداء، يحصل بها المطلوب أو مثله. وهذا غاية الإجابة؛ فإن المطلوب بعينه قد يكون ممتنعا، أو مفسدا للداعي أو لغيره، والداعي جاهل، لا يعلم ما فيه المفسدة عليه، والرب قريب مجيب، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، والكريم الرحيم إذا سئل شيئا بعينه، وعلم أنه لا يصلح للعبد إعطاؤه أعطاه نظيره، كما يصنع الوالد بولده إذا طلب منه ما ليس له، فإنه يعطيه من ماله نظيره، ولله المثل الأعلى.

وكما فعل النبي صلى الله عليه وسلم لما طلبت منه طائفة من بني عمه أن يوليهم ولاية لا تصلح لهم، فأعطاهم من الخمس ما أغناهم عن ذلك وزوجهم، كما فعل بالفضل بن عباس، وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب.

وقد روي في الحديث: " ليس شيء أكرم على الله من الدعاء "، وهذا حق.." (١)

"مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قآئما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون﴾ [يونس: ١٢] ، وقال تعالى: ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض﴾ [فصلت: ٥١] ، وقال تعالى: ﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا﴾ [الإسراء: ٦٧] ، وقال في المشركين ما تقدم: ﴿ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون﴾ [النحل: ٥٣، ٥٤] .

والممدوح هو القسم الثالث، وهم الذين يدعونه، ويتوبون إليه ويثبتون على عبادته، والتوبة إليه في حال السراء، فيعبدونه ويطيعونه في السراء والضراء، وهم أهل الصبر والشكر، كما ذكر ذلك عن أنبيائه عليهم السلام فقال تعالى: ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨] ، وقال تعالى: ﴿ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب﴾ [ص: ٣٤،٣٥] ،وقال تعالى: ﴿وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داوود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب قال لقد ظلمك." (٢)

"على صورته ملكا وأن ذلك من بركة دعائه وإنما يكون الذي تصور لهم شيطان من الشياطين.

وهذا مما نعرف أنه ابتلى في زماننا وغير زماننا خلق كثير أعرف منهم عددا وأعرف من ذلك وقائع متعددة.

والشياطين أيضا تضل عباد القبور كما كانت تضل المشركين من العرب وغيرهم.

وكانت اليونان من المشركين يعبدون الأوثان ويعانون السحر كما ذكروا ذلك عن أرسطو وغيره وكانت الشياطين تضلهم وبهم يتم سحرهم وقد لا يعرفونهم أن ذلك من الشياطين بل قد لا يقرون بالشياطين بل يظنون ذلك كله من قوة النفس

---

(١) الحسنة والسيئة ابن تيمية ص/١١٩

(٢) الحسنة والسيئة ابن تيمية ص/١٢٢

أو من أمور طبيعية أو من قوى فلكية فان هذه الثلاثة هي أسباب عجائب العالم عند ابن سينا وموافقيه.

وهم جاهلون بما سوى ذلك من أفعال الشياطين الذين هم أعظم تأثيرا في العالم في الشر من هذا كله وجاهلون بملائكة الله الذين يجرى بسببهم كل خير في السماء والأرض. وما يدعونه من جعل الملائكة هي العقول العشرة أو هي القوى الصالحة في النفس وأن الشياطين هي القوى الخبيثة مما قد عرف فساده بالدلائل العقلية بل بالضرورة من دين الرسول. فإذا كان شرك هؤلاء وكفرهم في نفس التوحيد وعبادة الله وحده أعظم من شرك مشركي العرب وكفرهم فأي كمال للنفس في هذه الجهالات.

وهذا وأمثاله يفتقر إلى بسط كثير وقد ذكرنا منه طرفا في مواضع غير هذا.

والمقصود هنا ذكر ما ادعاه هؤلاء في البرهان المنطقي." (١)

"وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الكسوف بالصلاة والذكر والدعاء والصدقة والعتاقة والاستغفار وكذلك عند سائر الآيات التي يخوف الله بها عباده.

وقوله: "لا تنكسفان لموت احد ولا لحياته" رد لما كان قد توهمه بعض الناس من أن كسوف الشمس كان لأجل موت إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد مات وكسفت الشمس فتوهم بعض الجهال من المسلمين أن الكسوف كان لأجل هذا فبين لهم النبي صلى الله عليه وسلم أن الكسوف لا يكون سببه موت احد من أهل الأرض ونفى بذلك أن يكون الكسوف معلولا عن ذلك وظنوا أن هذا من جنس اهتزاز العرش لموت سعد بن معاذ كما ثبت ذلك في الصحيح فنفى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وبين أن ذلك من آيات الله التي يخوف بها عباده.

والتخويف إنما يكون بما يكون سببا للشر قال تعالى: ﴿وما نرسل بالآيات إلا تخويفا﴾ فلو كان الكسوف وجوده كعدمه بالنسبة إلى الحوادث لم يكن سببا لشر وهو خلاف نص الرسول.

وأيضا في السير أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى القمر وقال لعائشة: " يا عائشة تعوذي بالله من شر هذا فان هذا هو الغاسق إذا وقب" والاستعاذة إنما تكون مما يحدث عنه شر.

وأمر صلى الله عليه وسلم عند انعقاد أسباب الشر بما يدفع موجبها بمشيئة الله تعالى وقدرته من الصلاة والدعاء والذكر والاستغفار والتوبة والإحسان بالصدقة والعتاقة فان هذه الأعمال الصالحة تعارض الشر الذي انعقد سببه كما في الحديث." (٢)

"رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء﴾ .

والآراء والخطأ في الرأي من إلقاء الشيطان ولو كان صاحبها مجتهدا معذورا كما قال غير واحد من الصحابة كأبي بكر وابن مسعود في بعض المسائل: "أقول فيها برأيي فان يكن صوابا فمن الله وان يكن خطا فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريء منه".

---

(١) الرد على المنطقيين ابن تيمية ص/١٠٦

(٢) الرد على المنطقيين ابن تيمية ص/٢٧١

وما يكون من الشيطان إذا لم يقدر الإنسان على دفعه لا يأثم به كما يراه النائم من أضغاث الشيطان وكاحتلامه في المنام فانه وان كان من الشيطان فقد رفع القلم عن النائم حتى يستيقظ.

وكذلك ما يحدث به الإنسان نفسه **من الشر قد** تجاوز الله له عنه حتى يتكلم به أو يعمل به وإن كان من الشيطان ففي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به " وفي الصحيحين من غير وجه عن أبي هريرة وابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر أنه "إذا هم العبد بحسنة كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشر حسنات وإذا هم بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها سيئة وان تركها فاكتبوها له حسنة فانه إنما تركها من جرائي".

وفي الصحيح أن الصحابة سألوا النبي عن الوسوسة التي يكرهها." (١)

"كأعوان الملوك فهو محتاج إليهم فيطلب منهم ما يحتاج إليه وإذا انتفت هذه الوجوده لم يبق إلا مجرد طلب محض وسؤال من غير حاجة بالمسئول إلى السائل الشافع.

والمشركون بالله كل منهم في نوع من هذه الأنواع منهم من اثبت فاعلا مستقلا غير الله لكن لم يثبتوه مماثلا له لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وهذا كالمجوس الذين أثبتوا قديما شريرا يستقل **بفعل الشر وكذلك** القائلون منهم أنه **خلق الشر والقدرية** من جميع الأمم أثبتوا غير الله يحدث أشياء ينفرد بأحداثها دون الله وإن كان الله خالقا له ولهذا قال السلف القدرية مجوس هذه الأمة.

والقائلون بقدم العالم كلهم لا بد لهم من إثبات غير الله فاعلا أما أرسطو وأتباعه فان الفلك عندهم بحركته هو المحدث للحركات وما يتولد عنها ثم من أثبت له شريكا من العقول والنفوس جعله مستقلا بإحداث شيء وذاك مستقلا بإحداث شيء ومن قال منهم بالعلة المشبهة بها ومن قال بالموجب بالذات فان الطائفتين لا يثبتون في الحقيقة أن الله أحدث شيئا ولا خلقه.

والله سبحانه نفى أن يكون لغير ملك أو شرك في الملك أو يكون له ظهير فانه سبحانه هو وحده خالق كل شيء وربه ومليكه وهذا هو مذهب أهل السنة المثبتين للقدر القائلين بأن الله خالق كل شيء بمشيئته وقدرته لكن السلف والأئمة وأتباعهم يثبتون قدره العبد وفعله ويثبتون الحكمة والأسباب وجهم ومن اتبعه من أهل الكلام ينفون ذلك كله كما قد بسط في موضعه.

تفسير قوله تعالى: ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾ الآية:

ولم يثبت سبحانه إلا الشفاعة لكن اثبت شفاعة مفيدة ليست هي الشفاعة." (٢)

"السابع: أنه قد أخبر أن رحمته وسعت كل شيء، وأنه ﴿كتب على نفسه الرحمة﴾ (١) ، وقال: "سبقت رحمتي غضبي" (٢) "وغلبت رحمتي غضبي" (٣) .

---

(١) الرد على المنطقيين ابن تيمية ص/٥٠٨

(٢) الرد على المنطقيين ابن تيمية ص/٥٣٠

وهذا عموم، وإطلاق، فإذا قدر عذاب لا آخر له، لم يكن هناك رحمة البتة.

الثامن: أنه قد ثبت مع رحمته الواسعة أنه حكيم، والحكيم إنما يخلق لحكمته العامة، كما ذكر حكمته في غير موضع "١٠ – أ" فإذا قدر أنه يعذب من يعذب لحكمة كان هذا ممكنا، توجد في الدنيا العقوبات الشرعية فيها حكمة، وكذلك ما يقدره من المصائب فيها حكم عظيمة، فيها تطهير من الذنوب، وتزكية للنفوس، وزجر عنها في المستقبل للفاعل ولغيره، ففيها عبرة، والجنة طيبة لا يدخلها إلا طيب، ولهذا قال في الحديث الصحيح: "إنهم يحسبون بعد خلاصهم من الصراط على قنطرة بين الجنة والنار، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة" (٤) .

والنفوس (٥) الشريرة الظالمة التي ردت إلى الدنيا قبل العذاب لعادات لما نهيت عنه لا يصلح أن تسكن دار السلام التي تنافي الكذب والظلم والشر، فإذا عذبوا بالنار عذابا يخلص نفوسهم من **ذلك الشر كان** هذا معقولا في الحكمة كما

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢.

(٢) هذا الحديث القدسي أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في عدة ومواضع: انظر "صحيح البخاري" مع شرحه "فتح الباري" كتاب التوحيد باب: ﴿وكان عرشه على الماء﴾ ٤١٥/١٣ وباب قوله الله تعالى: ﴿إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا﴾ ٤٤٧/١٣، وأخرجه الإمام مسلم في المصدر الآتي.

(٣) هذا الجزء من حديث قدسي أخرجه الإمام مسلم في "صحيحه – كتاب التوبة باب – في سعة رحمة الله ٢١٠٤/٤ حديث رقم ٢٧٥١.

(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري في "صحيحه" كما في "فتح الباري" الحديث رقم ٢٤٤٠، ٦٥٣٥.

(٥) في صلب الأصل "النفس" ومصوبة بالهامش "النفوس".." (١)

"يوجد في تعذيب الدنيا، وخلق من فيه شر يزول بالتعذيب من تمام الحكمة، وأما خلق نفوس **تعمل الشر في** الدنيا وفي الآخرة لا تكون إلا في العذاب، فهذا تناقض يظهر فيه من مناقضة الحكمة والرحمة ما لا يظهر في غيره.

ولهذا كان الجهم لما رأى ذلك ينكر أن يكون الله أرحم الراحمين، وقال: بل يفعل ما يشاء، والذين سلكوا طريقته كالأشعري وغيره، ليس عندهم في الحقيقة حكمة ورحمة، ولكن له علم وقدرة وإرادة لا ترجح أحد الجانبين، ولهذا لما طلب منهم أن يقروا بكونه حكيما، فسروه بأنه عليم أو قدير أو مؤيد، وليس من الثلاثة ما يقتضي الحكمة، وإذا ثبت أنه رحيم حكيم، وعلم بطلان قول الجهم تعين إثبات ما تقتضيه الرحمة والحكمة (١) .

وما قاله المعتزلة – أيضا – باطل، فقول القدرية المجبرة والنفاة في حكمته ورحمته باطل، ومن أعظم ما غلظهم اعتقادهم تأييد جهم، فإن ذلك يستلزم ما قالوه، وفساد اللازم يستلزم فساد الملزوم (٢) ، والله سبحانه أعلم.

وأما آيات بقاء الجنة.

---

(١) الرد على من قال بفناء الجنة والنار ابن تيمية ص/٨٢

فالأول: مثل قوله تعالى: ﴿أكلها دائم وظلها﴾ (٣) . فأخبر أنه دائم والمنقطع ليس بدائم.
والثاني: مثل قوله: ﴿إن هذا لرزقنا ما له من نفاد﴾ (٤) ، والمنقطع ينفد

(١) "منهاج السنة النبوية" ١/١٤١، تحقيق د. محمد رشاد سالم.
(٢) هنا انتهت نسخت المكتب الإسلامي "س"، وقد ناقش العلامة ابن القيم الطوائف المنحرفة التي تنكر الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى، وبين زيفها وبطلانها في عدة أماكن من مؤلفاته ومنها: "مدارج السالكين"١/٩٠، "ومفتاح دار السعادة" ٢/٢٢ "وشفاء العليل" في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل" ص٣٤٧
(٣) سورة الرعد، الآية:٣٥.
(٤) سورة ص، الآية: ٥٤.." [١]

"فصل
وأما قوله: التعجب: استعظام للمتعجب منه، فيقال نعم. وقد يكون مقرونا بجهل بسبب التعجب، وقد يكون لما خرج عن نظائره، والله تعالى بكل شيء عليم، فلا يجوز عليه ألا يعلم سبب ما تعجب منه، بل يتعجب لخروجه عن نظائره تعظيما له. والله تعالى يعظم ما هو عظيم؛ إما لعظمة سببه أو لعظمته.
فإنه وصف بعض الخير بأنه عظيم، ووصف **بعض الشر بأنه** عظيم، فقال تعالى: ﴿رب بعرش بعظيم﴾ [النمل: ٦٢] ، وقال: ﴿ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم﴾ [الحجر: ٨٧] ، وقال: ﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما﴾ [النساء: ٦٦، ٦٧] ، وقال: ﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم﴾ [النور: ١٦] ، وقال: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ [لقمان: ١٣] .
ولهذا قال تعالى: ﴿بل عجبت ويسخرون﴾ [الصافات: ١٢] على قراءة الضم، فهنا هو عجب من كفرهم مع وضوح الأدلة.." [٢]

"والغي في الأصل مصدر غوى يغوي غيا كما يقال لوى يلوي ليا وهو ضد الرشد كما قال تعالى وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان سبيل الغي يتخذوه سبيلا والرشد العمل الذي ينفع صاحبه والغي العمل الذي يضر صاحبه فعمل الخير رشد **وعمل الشر غي** ولهذا قالت الجن وإنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا فقابلوا **بين الشر وبين** الرشد وقال في آخر السورة قل اني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا ومنه الرشيد الذي يسلم إليه ماله وهو الذي يصرف ماله فيما ينفع لا فيما يضر وقال الشيطان ولأعوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين وهو أن يأمرهم بالشر الذي يضرهم فيطيعونه كما قال تعالى وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي وقال وبرزت

(١) الرد على من قال بفناء الجنة والنار ابن تيمية ص/٨٣
(٢) الرسالة الأكملية في ما يجب لله من صفات الكمال ابن تيمية ص/٥٧

الجحيم للغاوين الى أن قال فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس أجمعون وقال قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغويناهم غوينا وقال ما ضل صاحبكم وما غوى." [(١)]

"ثم ان الغي اذا كان اسما **لعمل الشر الذي** يضر صاحبه فإن عاقبة العمل أيضا تسمى غيا كما ان عاقبة الخير تسمى رشدا كما تسمى **عاقبة الشر شرا** وعاقبة الخير خيرا وعاقبة الحسنات حسنات وعاقبة السيئات سيئات فالحسنات والسيئات في كتاب الله يراد بها أعمال الخير **وأعمال الشر كما** يراد بها النعم والمصائب والجزاء من جنس العمل فمن عمل خيرا وحسنات لقي خيرا وحسنات ومن عمل شرا وسيات لقي شرا وسيئات كذلك من عمل غيا لقي غيا وترك الصلاة واتباع الشهوات غي يلقى صاحبه غيا فلهذا قال الزمخشري كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد كما قيل فمن يلق خيرا يحمد الناس أمرهومن يغولا يعدم على الغي لائما وقال الزجاج جزاؤه غي لقوله يلق أثاما أي مجازاة آثام وفي الحديث المأثور ان غيا واد في جهنم تستعيذ منه أوديتها وهذا تعبير عن **ملاقاة الشر وقال** سبحانه أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فإن الصلاة فيها ارادة وجه الله كما قال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه أي يصلون صلاة الفجر والعصر والداعي يقصد ربه ويريده فتكون القلوب في هذه الأشياء مريدة لربها محبة له." [(٢)]

"اتباع الشهوات واتباع الشهوات هو اتباع ما تشتهيه النفس فإن الشهوات جمع شهوة والشهوة هي في الأصل مصدر ويسمى المشتهى شهوة تسمية للمفعول باسم المصدر قال تعالى ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاعظيما فجعل التوبة في مقابلة اتباع الشهوات فإنه يريد أن يتوب علينا أي فالله يحب لنا ذلك ويرضاه ويأمر به ويريد الذين يتبعون الشهوات وهم الغاوون أن تميلوا ميلا عظيما يعدل بكم عن الصراط المستقيم الى اتباع الشهوات عدولا عظيما فإن أصل الميل العدول فلا بد منه للذين يتبعون الشهوات كما قال صلى الله عليه وسلم استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء الا مؤمن رواه أحمد وابن ماجه من حديث ثوبان فأخبر أنا لا نطيق الاستقامة أو ثوابها اذا استقمنا وقال ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة فقوله كل الميل أي يريد نهاية الميل يريد الزيغ عن الطريق والعدول عن سواء الصراط الى **نهاية الشر بل** اذا بليت بذلك فتوسط وعد الى الطريق بالتوبة كما في الحديث عن النبي صلى اله عليه وسلم مثل المؤمن كمثل." [(٣)]

"الخلق المستلزمة للمراد لأنه لو كان كذلك لم تكن الآية خطابا الا لمن أخذ باليسر ولمن فعل ما أمر به وليس كذلك بل الحكم الشرعي لازم لجميع المسلمين فمن أطاع أثيب ومن عصى عوقب والذين أطاعوه انما أطاعوه بهداه لهم هدى الامام والاعانة بأن جعلهم مهتدين كما أنه هو الذي جعل المصلي مصليا والمسلم مسلما ولو كانت الارادة هنا من الانسان مستلزمة لوقوع المراد لم يقل ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما فأنه حينئذ لا تأثير لارادة

---

(١) الزهد والورع والعبادة ابن تيمية ص/١٠

(٢) الزهد والورع والعبادة ابن تيمية ص/١١

(٣) الزهد والورع والعبادة ابن تيمية ص/١٢

هؤلاء بل وجدها وعدمها سواء كما في قول نوح ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم فإنه شاء الله كان وان لم يشاء الناس وما لم يشأ لم يكن وإن شاءه الناس اتباع الشهوات والأهواء والمقصود بالآية تحذيرهم من متابعة الذين يتبعون الشهوات والمعنى اني أريد لكم الخير الذي ينفعكم وهؤلاء يريدون **لكم الشر الذي** يضركم كالشيطان الذي يريد أن يغويكم وأتباعه هم أهل الشهوات فلا تتخذوه وذريته أولياء من دوني بل اسلكوا طرق الهدى والرشاد وإياكم وطرق الغي والفساد كما قال تعالى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى الآيات وقوله يتبعون الشهوات في الموضعين فاتباع الشهوة من جنس اتباع الهوى كما قال تعالى انما." (١)

"غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون فهي فيما يغمرها عما أنذرت به فيغمرها ذلك عن ذكر الله والدار الآخرة وما فيها من النعيم والعذاب الأليم قال الله تعالى فذرهم في غمرتهم حتى حين أي فيما يغمر قلوبهم من حب المال والبنين المانع لهم من المسارعة في الخيرات والأعمال الصالحة وقال تعالى قتل الخراصون الذين هم في غمرة ساهون الآيات أي ساهون عن أمر الآخرة فهم في غمرة عنها أي فيما يغمر قلوبهم من حب الدنيا ومتاعها ساهون عن أمر الآخرة وما خلقوا له وهذا يشبه قوله ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا فالغمرة تكون من اتباع الهوى والسهو من جنس الغفلة ولهذا قال من قال السهو الغفلة عن الشيء وذهاب القلب عنه وهذا **جماع الشر الغفلة** والشهوة فالغفلة عن الله والدار الآخرة تسد باب الخير الذي هو الذكر واليقظة والشهوة تفتح **باب الشر والسهو** والخوف فيبقى القلب مغمورا فيما يهواه ويخشاه غافلا عن الله رائدا غير الله ساهيا عن ذكره قد اشتغل بغير الله قد انفرط أمره قد ران حب الدنيا على قلبه كما روي في صحيح البخاري وغيره عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد." (٢)

"وإخلاصه وخشيته كانت أقوى من جمال امرأة العزيز وحسنها وحبه لها هذا اذا أحب أحدهم صورته مع أن هنا الداعي قوي منه ومنهم فهنا المعصوم من عصمه الله وإلا فالغالب على الناس في المحبة من الطرفين أنه يقع **بعض الشر بينهم** ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخلون رجل بامرأة الا كان ثالثهما الشيطان حال المواليه لغير الله وقد يحبونه لعلمه أو دينه أو احسانه أو غير ذلك فالفتنة في هذا أعظم الا اذا كانت فيه قوة ايمانية وخشية وتوحيد تام فإن فتنة العلم والجاه والصور فتنة لكل مفتون وهم مع ذلك يطلبون منه مقاصدهم ان لم يفعلها والا نقص الحب أو حصل نوع بغض وربما زاد أو أدى الى الانسلاخ من حبه فصار مبغوضا بعد أن كان محبوبا فأصدقاء الانسان يحبون استخدامه واستعماله في أغراضهم حتى يكون كالعبد لهم وأعداؤه يسعون في أذاه واضراره وأولئك يطلبون منه انتفاعهم وان كان مضرا له مفسدا لدينه لا يفكون في ذلك وقليل منهم الشكور فاطائفتان في الحقيقة لا يقصدون نفعه ولا دفع ضرره وانما يقصدون أغراضهم به فإن لم يكن الانسان عابدا الله متوكلا عليه مواليا له ومواليا فيه ومعاديا وإلا أكلته

---

(١) الزهد والورع والعبادة ابن تيمية ص/٢٤

(٢) الزهد والورع والعبادة ابن تيمية ص/٣٥

الطائفتان وأدى ذلك الى هلاكه في الدينا والآخرة وهذا هو المعروف من أحوال بني آدم وما يقع بينهم من المحاربات والمخاصمات والاختلاف والفتن قوم يوالون زيدا ويعادون عمروا." (١)

"الآية وقال فارجعوا هو أزكى لكم وقال الذين لا يؤتون الزكاة وقال وما عليك ألا يزكى وأصل الزكاة الزيادة في الخير ومنه يقال زكا الزرع وزكا المال اذا نما ولن ينمو الخير الا **بترك الشر والزرع** لا يزكو حتى يزال عنه الدغل فكذلك النفس والأعمال لا تزكو حتى يزال عنها ما يناقضها ولا يكون الرجل متزكيا الا مع **ترك الشر فإنه** يدنس النفس ويدسيها قال الزجاج دساها جعلها ذليلة حقيرة خسيسة وقال الفراء دساها لأن البخيل يخفي نفسه ومنزله وماله قال ابن قتيبة أي أخفاها بالفجور والمعصية فالفاجر دس نفسه أي قمعها وخباها وصانع المعروف شهر نفسه ورفعها وكانت أجواد العرب تنزل الربى لتشهر أنفسها واللئام تنزل الأطارف والوديان فالبر والتقوى يبسط النفس ويشرح الصدر بحيث يجد الانسان في نفسه اتساعا وبساطا عما كان عليه قبل ذلك فإنه لما اتسع بالبر والتقوى والاحسان بسطه الله وشرح صدره والفجور والبخل يقمع النفس ويضعها ويهينها بحيث يجد البخيل في نفسه أنه ضيق وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في الحديث الصحيح فقال مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد قد اضطرت أيديهما الى تراقيهما فجعل المتصدق كلما هم بصدقة اتسعت وانبسطت عنه حتى تغشى أنامله." (٢)

"وقال له في سياق الرمي بالفاحشة وذم من أحب اظهارها في المؤمنين والمتكلم بما لا يعلم ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا الآية فبين أن الزكاة انما تحصل بترك الفاحشة ولهذا قال قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم الآية وذلك أن ترك السيئات هو من أعمال النفس فإنها تعلم أن السيئات مذمومة ومكروه فعلها ويجاهد نفسه اذا دعته اليها ان كان مصدقا لكتاب ربه مؤمنا بما جاء عن نبيه صلى الله عليه وسلم ولهذا التصديق والايمان والكراهة وجهاد النفس أعمال تعملها النفس المزكاة فتزكو بذلك أيضا بخلاف ما اذا عملت السيئات فانها تتدنس وتدنس وتنقمع كالزرع اذا نبت منه الدغل والثواب انما يكون على عمل موجود وكذلك العقاب فأما العدم المحض فلا ثواب فيه ولا عقاب لكن فيه عدم الثواب والعقاب والله سبحانه أمر بالخير ونهى **عن الشر واتفق** الناس على أن المطلوب بالأمر فعل موجود واختلفوا في النهي هل المطلوب أمر وجودي أم عدمي فقيل وجودي وهو الترك وهذا قول الأكثر وقيل المطلوب **عدم الشر وهو** أن لا يفعله والتحقيق أن المؤمن اذا نهى عن النكر فلا بد أن لا يقربه ويعزم على تركه ويكره فعله وهذا أمر وجودي بلا ريب فلا يتصور أن المؤمن الذي يعلم أنه وجودي لكن قد لا يكون مريدا له كما يكره أكل الميتة طبعا ومع ذلك فلا بد له من اعتقاد التحريم والعزم على تركه لطاعة الشارع وهذا قدر زائد على كراهة الطبع وهو أمر وجودي يثاب عليه." (٣)

---

(١) الزهد والورع والعبادة ابن تيمية ص/٤٠

(٢) الزهد والورع والعبادة ابن تيمية ص/٦٢

(٣) الزهد والورع والعبادة ابن تيمية ص/٦٤

"وكذلك قالوا في قوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة قال ابن عباس لا يشهدون أن لا اله الا الله وقال مجاهد لا يزكون أعمالهم أي ليست زاكية وقيل لا يطهرونها بالاخلاص كأنه أراد والله أعلم أهل الرياء فإنه شرك وعن الحسن لا يؤمنون بالزكاة ولا يقرون بها وعن الضحاك لا يتصدقون ولا ينفقون في الطاعة وعن ابن السائب لا يعطون زكاة من أموالهم قال كانوا يحجون ويعتمرون ولا يزكون والتحقيق أن الآية تتناول كل ما يتزكى به الإنسان من التوحيد والأعمال الصالحة كقوله هل لك الى أن تزكي وقوله قد أفلح من تزكى والصدقة المفروضة لم تكن فرضت عند نزولها فإن قيل يؤتى فعل متعد قيل هذا كقوله ثم سئلوا الفتنة لأتوها وتقدم قبلها أن الرسول دعاهم وهو طلب منه فكان هذا اللفظ متضمنا قيام الحجة عليهم بالرسل والرسل إنما يدعونهم لما تزكو به أنفسهم ومما يليق أن الزكاة تستلزم الطهارة لأن معناها معنى الطهارة قوله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم **من الشر وتزكيهم** بالخير قال صلى الله عليه وسلم اللهم طهرني بالماء والبرد والثلج." (١)

"ما عليهم من الصلاة ونحوها ويتركون المحرمات لكن اذا أصيب أحدهم في بدنه بمرض ونحوه أو في ماله أو في عرضه أو ابتلي بعدو يخيفه عظم جزعه وظهر هلعه والثالث قوم لهم نوع من الصبر بلا تقوى مثل الفجار الذين يصبرون على ما يصبيهم في مثل أهوائهم كاللصوص والقطاع الذين يصبرون على الآلام في مثل ما يطلبونه من الغصب وأخذ الحرام والكتاب وأهل الديوان الذين يصبرون على ذلك في طلب ما يحصل لهم من الأموال بالخيانة وغيرها وكذلك طلاب الرئاسة والعلو على غيرهم يصبرون من ذلك على أنواع من الأذى التي لا يصبر عليها أكثر الناس وكذلك أهل المحبة للصور المحرمة من أهل العشق وغيرهم يصبرون في مثل ما يهوونه من المحرمات على أنواع من الأذى والآلام وهؤلاء هم الذين يريدون علوا في الأرض أو فسادا من طلاب الرئاسة والعلو على الخلق ومن طلاب الأموال بالبغي والعدوان والاستمتاع بالصور المحرمة نظرا أو مباشرة وغير ذلك يصبرون على أنواع من المكروهات ولكن ليس لهم تقوى فيما تركوه من المأمور وفعلوه من المحظور وكذلك قد يصبر الرجل على ما يصيبه من المصائب كالمرض والفقر وغير ذلك ولا يكون فيه تقوى اذا قدر وأما القسم الرابع فهو شر الأقسام لا يتقون اذا قدروا ولا يصبرون اذا ابتلوا بل هم كما قال الله تعالى ان الانسان خلق هلوعا واذا **مسه الشر جزوعا** واذا مسه الخير منوعا فهؤلاء تجدهم من أظلم الناس وأجبرهم اذا قدروا ومن أذل الناس وأجزعهم اذا قهروا ان قهرتهم ذلوا لك ونافقوك وحابوك واسترحموك ودخلوا فيما يدفعون به عن أنفسهم من أنواع الكذب والذل وتعظيم المسؤول وان." (٢)

"ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره فقال: أعجب لقوم سمعوا الحديث وعرفوا الإسناد وصحته يدعونه ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره قال الله: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ وتدري ما الفتنة؟ الكفر قال الله تعالى: ﴿والفتنة أكبر من القتل﴾ فيدعون الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتغلبهم أهواؤهم إلى الرأي فإذا كان المخالف عن أمره قد حذر من الكفر والشرك أو من العذاب الأليم دل على أنه قد يكون مفضيا إلى

---

(١) الزهد والورع والعبادة ابن تيمية ص/٦٦

(٢) الزهد والورع والعبادة ابن تيمية ص/١٠٦

الكفر أو إلى العذاب الأليم ومعلوم أن إفضاءه إلى العذاب هو مجرد فعل المعصية فإفضاؤه إلى الكفر إنما هو لما قد يقترن به من استخفاف بحق الآمر كما فعل إبليس فكيف لما هو أغلظ من ذلك كالسب والإنتقاص ونحوه؟.

وهذا باب واسع مع أنه بحمد الله مجمع عليه لكن إذا تعددت الدلالات تعاضدت على غلظ كفر الساب وعظم عقوبته وظهر أن ترك الاحترام للرسول وسوء الأدب معه مما يخاف معه الكفر المحبط كان ذلك أبلغ فيما قصدنا له.

ومما ينبغي أن يتفطن له أن لفظ الأذى في اللغة هو لما خف أمره وضعف أثره **من الشر والمكروه** ذكره الخطابي وغيره وهو كما قال واستقراء موارده يدل على ذلك مثل قوله تعالى: ﴿لن يضروكم إلا أذى﴾ وقوله: ﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض﴾ .

وفيما يؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " القر بؤس والحر أذى "." (١)

"والدليل على أنه إنما نقض العهد بذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله؟ " فعلل ندب الناس له بأذاه والأذى المطلق هو باللسان كما قال تعالى: ﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا﴾ وقال تعالى: ﴿لن يضروكم إلا أذى﴾ وقال: ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن﴾ وقال: ﴿لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا﴾ الآية وقال: ﴿ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي﴾ إلى قوله: ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا﴾ الآية ثم ذكر الصلاة عليه والتسليم خبرا وأمرا وذلك من أعمال اللسان ثم قال: ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾ إلى قوله: ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى: " يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر " وهذا كثير.

وقد تقدم أن الأذى اسم **لقليل الشر وخفيف** المكروه بخلاف الضرر فلذلك أطلق على القول لأنه لا يضر المؤذي في الحقيقة.

وأيضا فإنه جعل مطلق أذى الله ورسوله موجبا لقتل رجل معاهد." (٢)

"قريشا وذكر ما رثاهم به من الشعر وما أجابه به حسان فأخبره بنزول كعب على من نزل فقال حسان فذكر شعرا هجا به أهل البيت الذين نزل فيهم قال: فلما بلغها هجاؤه نبذت رحله وقالت: ما لنا ولهذا اليهودي؟ ألا ترى ما يصنع بنا حسان؟ فتحول فكلما تحول عند قوم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حسانا فقال: ابن الأشرف نزل على فلان فلا يزال يهجوهم حتى نبذ رحلة فلما لم يجد مأوى قدم المدينة فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم قدوم ابن الأشرف قال: "اللهم اكفني ابن الأشرف بما شئت في **إعلانه الشر وقوله** الأشعار" وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من لي من ابن الأشرف فقد آذاني؟ " فقال محمد بن مسلمة: أنا يا رسول الله وأنا أقتله قال: فافعل وذكر الحديث.

فقد اجتمع لابن الأشرف ذنوب: أنه رثى قتلى قريش وحضهم على محاربة النبي صلى الله عليه وسلم وواطأهم على ذلك

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول ابن تيمية ص/٥٧

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول ابن تيمية ص/٧٤

وأعانهم على محاربته بإخباره أن دينهم خير من دينه وهجا النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين.

قلنا: الجواب من وجوه:

أحدها: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يندب إلى قتله لكونه ذهب إلى مكة وقال ما قال هناك وإنما ندب إلى قتله لما قدم وهجاه كما جاء ذلك مفسرا في حديث جابر المتقدم بقوله: "ثم قدم المدينة معلنا لعداوة النبي صلى الله عليه وسلم" ثم بين أن أول ما قطع به العهد تلك الأبيات التي قالها بعد الرجوع وأن النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ ندب إلى قتله وكذلك في حديث موسى بن عقبة: " من لنا من ابن الأشرف فإنه قد استعلن بعداوتنا وهجائنا؟ ".

ويؤيد ذلك شيئان:." (١)

"فأراهم شجته **فثار الشر مع** ما كان بينهم وما تطلب بنو بكر من خزاعة من دمائها.

قال الواقدي: حدثني حرام بن هشام بن خالد الكعبي عن أبيه قال: وخرج عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين راكبا من خزاعة يستنصرون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخبرونه بالذي أصابهم وذكر قصة فيها إنشاد القصيدة التى أولها:

لا هم إني ناشد محمدا ... ...

قال: فلما فرغ الركب قالوا: يا رسول الله إن أنس بن زنيم الديلي قد هجاك فندر رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه فبلغ ذلك أنس بن زنيم فقدم معتذرا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مما بلغه عنه فقال وذكر قصيدة فيها مدح لرسول الله صلى الله عليه وسلم أولها:

أنت الذي تهدى معد بأمره ... بل الله يهديها وقال لك: اشهد

فما حملت من ناقة فوق رحلها ... أبر وأوفى ذمة من محمد

تعلم رسول الله أنك مدركي ... وأن وعيدا منك كالأخذ باليد

تعلم رسول الله أنك قادر ... على كل سكن من تهام ومنجد

ونبي رسول الله أني هجوته ... فلا رفعت سوطي إلي إذا يدي

سوى أنني قد قلت: يا ويح فتية ... أصيبوا بنحس يوم طلق وأسعد

ويقول فيها:

فإني لا عرضا خرقت ولا دما ... هرقت ففكر عالم الحق واقصد

قال الواقدي: أنشدنيها حرام وبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم." (٢)

"منا يحمل عليها السيف ثم يذكر نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء فيمسك يده فلولا ذلك فرغنا منها بليل" وذكر الحديث.

وكذلك روى يونس بن بكير عن عبد الله بن كعب بن مالك قال: حدثني عبد الله بن أنيس قال في الحديث: فقامت

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول ابن تيمية ص/٨٠

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول ابن تيمية ص/١٠٦

ففتحت فقلت لعبد الله بن عقيل: دونك فشهر عليها السيف فذهبت امرأته فشهرت عليها السيف وأذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهانا عن قتل النساء والصبيان فأكف.

وكذلك رواه غير واحد عن ابن أنيس قال: فصاحت امرأته فهم بعضنا أن يخرج إليها ثم ذكرنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا عن قتل النساء.

وهذه القصة كانت قبل فتح مكة بل قبل فتح خيبر أيضا بلا خلاف بين أهل العلم وذكر الواقدي أنها كانت في ذي الحجة من السنة الرابعة من الهجرة قبل الخندق وذكر ابن إسحاق أنها كانت عقب الخندق وهما جميعا يزعمان أن الخندق في شوال في سنة خمس وأما موسى بن عقبة فقال: في شوال سنة أربع وحديث ابن عمر يدل عليه وكان فتح مكة في رمضان سنة ثمان.

وإنما ذكرنا هذا رفعا لوهم من قد يظن أن قتل النساء كان مباحا عام الفتح ثم حرم بعد ذلك وإلا فلا ريب عند أهل العلم أن قتل النساء لم يكن مباحا قط بأن آيات القتال وترتيب نزولها كلها دليل على أن قتل النساء لم يكن جائزا هذا مع أن أولئك النساء اللاتي كن في حصن ابن أبي الحقيق إذ ذاك لم يطمع هؤلاء النفر في استرقاقهن بل هن ممتنعات عند أهل خيبر قبل فتحها بمدة مع أن المرأة قد صاحت **وخافوا الشر بصوتها** ثم أمسكوا عن قتلها لرجائهم أن ينكف شرها بالتهويل عليها.." (١)

"يبين ذلك أن كل أسير كان يؤذي المسلمين مع كفره فإن النبي صلى الله عليه وسلم قتله مثل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط ومثل أبي عزة الجمحي في المرة الثانية.

وأيضا فإنه إذا امتنع بطائفة أو بدار الحرب كان ما يتوقى من ضرره متعلقا بعزة ومنعته كالحربي الأصلي فإذا زالت المنعة بأسره لم يبق منه ما يبقى إلا من جهة كونه كافرا فقط فلا فرق بينه وبين غيره أما إذا ضر المسلمين وآذاهم بين ظهرانيهم أو تمرد عليهم بالامتناع مما أوجبته الذمة عليه كان ضرره بنفسه من غير طائفة تمنعه وتنصره فيجب إزهاق نفسه التي لا عصمة لها وهي منشأ الضرر وينبوع لأذى المسلمين ألا ترى أن الممتنع ليس فيما فعله إغراء للآحاد غير ذوي المنعة بخلاف الواحد فإن فيما يفعله فتح **باب الشر فإن** لم يعاقب فعل ذلك غيره وغيره ولا عقوبة لمن لا عهد له من الكفار إلا السيف.

وأيضا فإن الممتنع منهم قد أمرنا بقتاله إلى أن يعطي الجزية عن يد وهو صاغر وأمرنا بقتاله حتى إذا أثخناه فشدوا الوثاق فكل آية فيها ذكر القتال دخل فيها فينتظمه حكم غيره من الكفار الممتنعين ويجوز إنشاء عقد ثان لهم واسترقاقهم ونحو ذلك أما من فعل جناية انتقض بها عهده وهو في أيدينا فلم يدخل في هذه العمومات لأنه لا يقاتل وإنما يقتل إذ القتال للممتنع وإذا كان أخذ الجزية والمن والفداء إنما هو لمن قوتل هذا لم يقاتل فيبقى داخلا في قوله: ﴿فاقتلوا المشركين﴾ غير داخل في آية الجزية والفداء.

وأيضا فإن الممتنع يصير بمنزلة الحربي والحربي يندرج جميع شأنه تحت الحراب بحيث لو أسلم لم يؤاخذ بضمان شيء

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول ابن تيمية ص/١٣٠

من ذلك بخلاف الذي في أيدينا وذلك أنه ما دام تحت أيدينا في ذمتنا فإنه لا تأويل له في ضرر المسلمين وإيذائهم أما اللحاق بدار الحرب فقد يكون له معه شبهة في دينه يرى أنه إذا تمكن من الهرب هرب لا سيما وبعض فقهائنا يبيح له ذلك فإذا فعل ذلك." (١)

"أضغانهم ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول﴾ فأخبر سبحانه أنه لو شاء لعرفهم رسوله بالسيماء في وجوههم ثم قال: ﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾ فأقسم أنه لا بد أن يعرفهم في لحن القول ومنهم من كان يقول القول أو يعمل العمل فينزل القرآن يخبر أن صاحب ذلك القول والعمل منهم كما في سورة براءة ومنهم من كان المسلمون أيضا يعلمون كثيرا منهم بالشواهد والدلالات والقرائن والأمارات ومنهم من لم يكن يعرف كما قال تعالى: ﴿وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾ ثم جميع هؤلاء المنافقين يظهرون الإسلام ويحلفون أنهم مسلمون وقد اتخذوا أيمانهم جنة وإذا كانت هذه حالهم فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقيم الحدود بعلمه ولا بخبر الواحد ولا بمجرد الوحي ولا بالدلائل والشواهد حتى يثبت الموجب للحد ببينة أو إقرار ألا ترى كيف أخبر عن المرأة الملاعنة أنها إن جاءت بالولد على نعت كذا وكذا فهو للذي رميت به وجاءت به على النعت المكروه فقال: "لولا الإيمان لكان لي ولها شأن".

وكان بالمدينة امرأة **تعلن الشر فقال**: "لو كنت راجما أحدا من غير بينة لرجمتها".

وقال للذين اختصموا إليه: "إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي بنحو مما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار" فكان ترك قتلهم مع كونهم كفارا لعدم ظهور الكفر منهم بحجة شرعية.

ويدل على هذا أنه لم يستتبهم على التعيين ومن المعلوم أن أحسن حال." (٢)

"لتعطلت الحدود وانبثق سد الفساد فإن كل مفسد يتمكن إذا أخذ أن يتوب بخلاف التوبة قبل القدرة فإنها تقطع **دابر الشر من** غير فساد فهذه معان مناسبة قد شهد لها الشارع بالاعتبار في غير هذا الأصل فتكون أوصافا مؤثرة أو ملائمة فيعلل الحكم بها وهي بعينها موجودة في الساب فيجب أن لا يسقط القتل عنه بالتوبة بعد الأخذ لأن إسلامه توبة منه وكذلك توبة كل كافر قال سبحانه وتعالى: ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة﴾ في موضعين والحد قد وجب بالرفع وهذه توبة إكراه أو اضطرار وفي قبولها تعطيل للحد ولا ينتقض هذا علينا بتوبة الحربي الأصلي فإنه لم يدخل في هذه الآية ولأنه إذا تاب بعد الأسر لم يخل سبيله بل يسترق ويستعبد وهو إحدى العقوبتين اللتين كان يعاقب بإحداهما قبل الإسلام والساب لم يكن عليه إلا عقوبة واحدة فلم يسقط كقاطع الطريق والمرتد المجرد لم يسع في الأرض فسادا فلم يدخل في الآية ولا يرد نقضا من جهة المعنى لأنا إنما نعرضه للسيف ليعود إلى الإسلام وإنما نقتله لمقامه على تبديل الدين فإذا أظهر الإعادة إليه حصل المقصود الذي يمكننا تحصيله وزال المحذور الذي يمكننا إزالته وإنما تعطيل هذا الحد أن

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول ابن تيمية ص/٢٧٨

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول ابن تيمية ص/٣٥٦

يترك على ردته غير مرفوع إلى الإمام ولم يقدح كونه مكرها بحق في غرضنا لأنا إنما طلبنا منه أن يعود إلى الإسلام طوعا أو كرها كما لو قاتلناه على الصلاة أو الزكاة فبذلها طوعا أو كرها حصل مقصودنا والساب ونحوه من المؤذين إنما نقتلهم لما فعلوه من الأذى والضرر لا لمجرد كفرهم فإنا قد أعطيناهم العهد على كفرهم فإذا أسلم بعد الأخذ زال الكفر الذي لم يعاقب عليه بمجرده.

وأما الأذى والضرر فهو إفساد في الأرض قد مضى منه كالإفساد بقطع الطريق لم يزل إلا بتوبة اضطرار لم تطلب منه ولم يقتل ليفعلها بل قوتل." (١)

"وهؤلاء عشاق الصور، من أعظم الناس عذابا وأقلهم ثوابا، فإن العاشق لصورة إذا بقي قلبه متعلقا بها مستعبدا لها اجتمع له من **أنواع الشر والفساد** ما لا يحصيه إلا رب العباد ولو سلم من فعل الفاحشة الكبرى فداوم تعلق القلب بها بلا فعل الفاحشة أشد ضررا عليه ممن يفعل ذنبا ثم يتوب منه ويزول أثره من قلبه وهؤلاء يشبهون بالسكارى والمجانين كما قيل:

سكران سكر هوى وسكر مدامة ... ومتى إفاقة من به سكران؟

وقيل:

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم ... العشق أعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه ... وإنما يصرع المجنون في حين." (٢)

"ومن أعظم أسباب هذا البلاء إعراض القلب عن الله فإن القلب إذا ذاق طعم عبادة الله والإخلاص له لم يكن عنده شيء قط أحلى من ذلك ولا ألذ ولا أمتع ولا أطيب والإنسان لا يترك محبوبا إلا بمحبوب آخر يكون أحب إليه منه أو خوفا من مكروه فالحب الفاسد إنما ينصرف القلب عنه بالحب الصالح أو بالخوف من الضرر.

قال تعالى في حق يوسف [٢٤ يوسف] : ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾ فالله يصرف عن عبده ما يسوؤه من الميل إلى الصور والتعلق بها ويصرف عنه الفحشاء بإخلاصه لله ولهذا يكون قبل أن يذوق حلاوة العبودية لله والإخلاص له بحيث تغلبة نفسه على اتباع هواها فإذا ذاق طعم الإخلاص وقوي في قلبه انقهر له هواه بلا علاج.

قال تعالى [٤٥ العنكبوت] : ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر﴾ فإن الصلاة فيها دفع مكروه وهو الفحشاء والمنكر وفيها تحصيل محبوب وهو ذكر الله وحصول هذا المحبوب أكبر من دفع ذلك المكروه فإن ذكر الله عبادة لله وعبادة القلب لله مقصودة لذاتها وأما **اندفاع الشر عنه** فهو مقصود لغيره على سبيل التبع.

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول ابن تيمية ص/٣٩٠

(٢) العبودية ابن تيمية ص/٨٩

والقلب خلق يحب الحق ويريده ويطلبه فلما عرضت له." (١)

"إرادة الشر طلب دفع ذلك فإنها تفسد القلب كما يفسد الزرع بما ينبت فيه من الدغل.

ولهذا قال تعالى [٩-١٠ الشمس] : ﴿قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها﴾ وقال تعالى [١٤-١٥ الأعلى] : ﴿قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى﴾ وقال تعالى [٣٠ النور] : ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم﴾ وقال تعالى [٢١ النور] : ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا﴾ فجعل سبحانه غض البصر وحفظ الفرج هو أقوى تزكية للنفس وبين أن ترك الفواحش من زكاة النفوس وزكاة النفوس تتضمن زوال جميع الشرور من الفواحش والظلم والشرك والكذب وغير ذلك.

وكذلك طالب الرئاسة والعلو في الأرض قلبه رقيق لمن يعينه عليها ولو كان في الظاهر مقدمهم والمطاع فيهم فهو في الحقيقة يرجوهم ويخافهم فيبذل لهم الأموال والولايات ويعفوا عما يجترحونه ليطيعوه ويعينوه فهو في الظاهر رئيس مطاع وفي الحقيقة عبد مطيع لهم.

والتحقيق أن كلاهما فيه عبودية للآخر وكلاهما تارك لحقيقة عبادة الله وإذا كان تعاونهما على العلو في الأرض." (٢)

"بغير الحق كانا بمنزلة المتعاونين على الفاحشة أو قطع الطريق فكل واحد من الشخصين لهواه الذي استعبده واسترقه مستعبد للآخر.

وهكذا أيضا طالب المال فإن ذلك يستعبده ويسترقه.

وهذه الأمور نوعان:

منها ما يحتاج العبد إليه كما يحتاج إليه من طعامه وشرابه ومسكنه ومنكحه ونحو ذلك فهذا يطلبه من الله ويرغب إليه فيه فيكون المال عنده يستعمله في حاجته بمنزلة حماره الذي يركبه وبساطه الذي يجلس عليه بل بمنزلة الكنيف الذي يقضى فيه حاجته من غير أن يستعبده فيكون ﴿هلوعا * إذا مسه الشر جزوعا * وإذا مسه الخير منوعا﴾ [١٩-٢١ المعارج] .

ومنها ما لا يحتاج العبد إليه فهذا لا ينبغي له أن يعلق قلبه به فإذا علق قلبه به صار مستعبدا له وربما صار معتمدا على

---

(١) العبودية ابن تيمية ص/٩٠

(٢) العبودية ابن تيمية ص/٩١

غير الله فلا يبقى معه حقيقة العبادة لله ولا حقيقة التوكل عليه بل فيه شعبة من العبادة لغير الله وشعبة من التوكل على غير الله وهذا من أحق الناس بقوله صلى الله عليه وسلم: " تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد القطيفة تعس عبد الخميصة " وهذا هو عبد هذه الأمور فإنه لو." (١)

"أنه كرهه، فإن هذا ليس الفال الذي يحبه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإنه «كان يحب الفال ويكره الطيرة» ، والفال الذي يحبه هو أن يفعل أمرا أو يعزم عليه متوكلا على الله، فيسمع الكلمة الحسنة التي تسره مثل أن يسمع: يا نجيح، يا مفلح، يا سعيد، يا منصور، ونحو ذلك، كما «لقي في سفر الهجرة رجلا فقال: ما اسمك؟ قال: يزيد، قال: يا أبا بكر يزيد أمرنا» .

وأما الطيرة، بأن يكون قد فعل أمرا متوكلا على الله، أو يعزم عليه فيسمع كلمة مكروهة مثل: ما يتم، أو ما يفلح، ونحو ذلك، فيتطير ويترك الأمر، فهذا منهي عنه، كما في الصحيح عن «معاوية بن الحكم السلمي، قال: قلت: يا رسول الله، منا قوم يتطيرون، قال: ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم» .

فنهى النبي - صلى الله عليه وسلم - أن تصد الطيرة العبد عما أراد، فهو في كل واحد من محبته للفال، وكراهته للطيرة، إنما يسلك مسلك الاستخارة لله، والتوكل عليه، والعمل بما شرع له من الأسباب، لم يجعل الفال آمرا له وباعثا له على الفعل، ولا الطيرة ناهية له عن الفعل، وإنما يأتمر وينتهي عن مثل ذلك أهل الجاهلية الذين يستقسمون بالأزلام، وقد حرم الله الاستقسام بالأزلام في آيتين من كتابه، وكانوا إذا أرادوا أمرا من الأمور أحالوا به قداحا مثل السهام أو الحصى أو غير ذلك، وقد علموا على هذا علامة الخير، وعلى هذا علامة الشر، وآخر غفل، فإذا خرج هذا فعلوا، وإذا خرج هذا تركوا، وإذا خرج الغفل أعادوا الاستقسام.

فهذه الأنواع التي تدخل في ذلك مثل الضرب بالحصى والشعير، واللوح والخشب والورق المكتوب عليه حروف أبجد، أو أبيات من الشعر، أو نحو ذلك مما يطلب به الخيرة، فما يفعله الرجل ويتركه ينهى عنها؛ لأنها من باب الاستقسام بالأزلام، وإنما يسن له استخارة الخالق، واستشارة المخلوق، والاستدلال بالأدلة الشرعية التي تبين ما يحبه الله ويرضاه، وما يكرهه وينهى عنه، وهذه الأمور تارة يقصد بها الاستدلال على ما يفعله العبد، هل هو خير أم شر؟ وتارة الاستدلال على ما يكون." (٢)

"وفي رواية: «آيتان من آيات الله يخوف بهما عباده» . هذا قاله ردا لما قاله بعض جهال الناس: إن الشمس كسفت لموت إبراهيم بن النبي - صلى الله عليه وسلم -، فإنها كسفت يوم موته، وظن بعض الناس لما كسفت أن كسوفها كان لأجل موته، وأن موته هو السبب لكسوفها، كما قد يحدث عن موت بعض الأكابر مصائب في الناس، فبين النبي - صلى الله عليه وسلم - أن الشمس والقمر لا يكون كسوفهما عن موت أحد من أهل الأرض ولا عن حياته، ونهى أن يكون للموت والحياة أثر في كسوف الشمس والقمر، وأخبر أنهما من آيات الله، وأنه يخوف عباده. فذكر أن

---

(١) العبودية ابن تيمية ص/٩٢

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٥٢/١

من حكمة ذلك تخويف العباد، كما يكون تخويفهم في سائر الآيات، كالرياح الشديدة والزلازل، والجدب، والأمطار المتواترة ونحو ذلك من الأسباب التي قد تكون عذابا، كما عذب الله أمما بالريح والصيحة والطوفان، وقال تعالى: ﴿فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا﴾ [العنكبوت: ٤٠] .

وقد قال: ﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا﴾ [الإسراء: ٥٩] ، وإخباره بأن الله يخوف عباده بذلك، يبين أنه قد يكون سببا لعذاب ينزل، كالرياح العاصفة الشديدة، وإنما يكون ذلك إذا كان الله قد جعل ذلك سببا لما ينزله في الأرض، فمن أراد بقوله: إن لها تأثيرا. ما قد علم بالحس وغيره من هذه الأمور، فهذا حق، ولكن الله قد أمر بالعبادات التي تدفع عنا ما ترسل به من الشر، كما أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - عند الخسوف بالصلاة والصدقة والدعاء والاستغفار والعتق، وكما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا هبت الريح أقبل وأدبر وتغير، وأمر أن يقال عند هبوبها: «اللهم إنا نسألك من." (١)

"خير هذه الريح وخير ما أرسلت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما أرسلت به» .

وقال: «إن الريح من روح الله، وإنها تأتي بالرحمة، وتأتي بالعذاب فلا تسبوها ولكن سلوا الله من خيرها، وتعوذوا بالله من شرها» .

فأخبر أنها تأتي بالرحمة، وتأتي بالعذاب، وأمر أن نسأل الله من خيرها ونعوذ بالله من شرها. فهذه السنة في أسباب الخير والشر أن يفعل العبد عند أسباب الخير الظاهرة من الأعمال الصالحة ما يجلب الله به الخير، وعند **أسباب الشر الظاهرة** من العبادات ما يدفع الله به عنه الشر. فأما ما يخفى من الأسباب فليس العبد مأمورا بأن يتكلف معرفته، بل إذا فعل ما أمر، وترك ما حظر كفاه الله مؤنة الشر، ويسر له أسباب الخير: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا﴾ [الطلاق: ٢] ﴿ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا﴾ [الطلاق: ٣] .

وقد قال تعالى فيمن يتعاطى السحر لجلب منافع الدنيا: ﴿واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون﴾ [البقرة: ١٠٢] ﴿ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون﴾ [البقرة: ١٠٣] .." (٢)

"الظلم الذي يجوزه عليه بعض المثبتة، وبيان أنه هو الذي يهدي عباده ردا على القدرية، فأخبر هناك بعدله الذي يذكره بعض المثبتة، وأخبر هنا بإحسانه وقدرته الذي تنكره القدرية.

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٥٩/١

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٦٠/١

وإن كان كل منهما قصده تعظيما لا يعرف ما اشتمل عليه قوله. والقسم الرابع: الهدى في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير﴾ [الحج: ٢٣] ﴿وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد﴾ [الحج: ٢٤] . وقال: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم﴾ [يونس: ٩] . فقوله: ﴿يهديهم ربهم بإيمانهم﴾ [يونس: ٩] . كقوله: ﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء﴾ [الطور: ٢١] . على أحد القولين في الآية.

وهذا الهدى ثواب الاهتداء في الدنيا، كما أن ضلال الآخرة جزاء ضلال الدنيا، وكما أن **قصد الشر في** الدنيا جزاؤه الهدى إلى طريق النار، كما قال تعالى: ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون - من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ [الصافات: ٢٢ - ٢٣] . وقال: ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا﴾ [الإسراء: ٧٢] . وقال: ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا﴾ [الإسراء: ٧٢] ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ [طه: ١٢٤] ﴿قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا﴾ [طه: ١٢٥] ﴿قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ [طه: ١٢٦] . وقال: ﴿ومن يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما﴾ [الإسراء: ٩٧] .." (١)

"قال: «سيد الاستغفار أن يقول العبد اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت. خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» . ففي قوله: «أبوء لك بنعمتك علي» . اعتراف بنعمته عليه في الحسنات وغيرها. وقوله: «وأبوء بذنبي» ، اعتراف منه بأنه مذنب ظالم لنفسه وهذا يصير العبد شكورا لربه مستغفرا لذنبه، فيستوجب مزيد الخير، وغفران الشر، من الشكور الغفور الذي يشكر اليسير من العمل ويغفر الكثير من الزلل.

وهنا انقسم الناس ثلاثة أقسام في إضافة الحسنات والسيئات التي هي الطاعات والمعاصي إلى ربهم وإلى نفوسهم، فشرهم الذي إذا أساء أضاف ذلك إلى القدر، واعتذر بأن القدر سبق بذلك، وأنه لا خروج له عن القدر، فركب الحجة على ربه في ظلمه لنفسه، وإن أحسن أضاف ذلك إلى نفسه ونسي نعمة الله عليه في تيسيره لليسرى، وهذا ليس مذهب طائفة من بني آدم، ولكنه حال شرار الجاهلين الظالمين الذين لا حفظوا حدود الأمر والنهي، ولا شهدوا حقيقة القضاء والقدر، كما قال فيهم الشيخ أبو الفرج بن الجوزي: أنت عند الطاعة قدري، وعند المعصية جبري أي مذهب وافق هواك تمذهبت به.

وخير الأقسام وهو القسم المشروع وهو الحق الذي جاءت به الشريعة أنه إذا أحسن شكر نعمة الله عليه وحمده إذا أنعم

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ١٠٣/١

عليه بأن جعله محسنا، ولم يجعله مسيئا فإنه فقير محتاج في ذاته وصفاته، وجميع حركاته وسكناته إلى ربه، ولا حول ولا قوة إلا به، فلو لم يهده لم يهتد، كما قال أهل الجنة: ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ [الأعراف: ٤٣] . وإذا أساء اعترف بذنبه واستغفر ربه وتاب منه، وكان كأبيه آدم الذي قال: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ [الأعراف: ٢٣] ، ولم يكن كإبليس الذي قال: ﴿بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين﴾ [الحجر: ٣٩] ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾ [الحجر: ٤٠]." [1]

"فتبين أن إدخال هذه الآية في القدر في غاية الجهالة، وذلك أن الحسنات والسيئات في الآية المراد بها المسار والمضار دون الطاعات والمعاصي، كما في قوله تعالى: ﴿وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون﴾ [الأعراف: ١٦٨] . وهو الشر والخير في قوله: ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ [الأنبياء: ٣٥] ، وكذلك قوله: ﴿إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها﴾ [آل عمران: ١٢٠] . وقوله تعالى: ﴿ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني﴾ [هود: ١٠] ، وقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون - ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون﴾ [الأعراف: ٩٤ - ٩٥] .

وقوله تعالى: ﴿فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه﴾ [الأعراف: ١٣١] . فهذه حال فرعون وملئه مع موسى ومن معه، كحال الكفار والمنافقين والظالمين مع محمد وأصحابه، إذا أصابهم نعمة وخير قالوا: لنا هذه، أو قالوا: هذه من عند الله. وإن أصابهم عذاب وشر تطيروا بالنبي والمؤمنين وقالوا: هذه بذنوبهم، وإنما هي بذنوب أنفسهم لا بذنوب المؤمنين. وهو سبحانه ذكر في هذا في بيان حال الناكلين عن الجهاد الذين يلومون المؤمنين على الجهاد، فإذا أصابهم نصر ونحوه قالوا هذا من عند الله، وإن أصابتهم محنة قالوا هذه من عند الذي جاءنا بالأمر والنهي والجهاد، قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم﴾ [النساء: ٧١] إلى قوله: ﴿وإن منكم لمن ليبطئن﴾ [النساء: ٧٢] إلى قوله: ﴿ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال﴾ [النساء: ٧٧] إلى قوله: ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وإن تصبهم حسنة﴾ [النساء: ٧٨]." [2]

"والخلق والجبل، فهذا يعرف في القرآن والحديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإنما وضعت هذا مخافة أن يرتاب رجل من أهل الجماعة والتصديق.

فهذان الجوابان اللذان ذكرهما هذان الإمامان في عصر تابعي التابعين من أحسن الأجوبة. أما الزبيدي فمحمد بن الوليد صاحب الزهري، فإنه قال: أمر الله أعظم وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل، فنفى الجبر؛ وذلك لأن الجبر المعروف

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ١/١٢٣

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ١/١٢٥

في اللغة هو: إلزام الإنسان بخلاف رضاه، كما تقول الفقهاء في باب النكاح: هل تجبر المرأة على النكاح أو لا تجبر؟ وإذا عضلها الولي ماذا تصنع، فيعنون بجبرها إنكاحها بدون رضاها واختيارها، ويعنون بعضلها منعها مما ترضاه وتختاره، فقال: الله أعظم من أن يجبر أو يعضل؛ لأن الله سبحانه قادر على أن يجعل العبد محبا راضيا لما يفعله، ومبغضا وكارها لما يتركه، كما هو الواقع، فلا يكون العبد مجبورا على ما يختاره ويرضاه ويريده، وهي أفعاله الاختيارية، ولا يكون معضولا عما يتركه فيبغضه ويكرهه ولا يريده، وهي تروكه الاختيارية.

وأما الأوزاعي، فإنه منع من إطلاق هذا اللفظ، وإن عنى به هذا المعنى، حيث لم يكن له أصل في الكتاب والسنة فيفضي إلى إطلاق لفظ مبتدع ظاهر في إرادة الباطل وذلك لا يسوغ، وإن قيل إنه أريد به معنى صحيح. قال الخلال: أنبأنا المروزي، قال: سمعت بعض المشيخة يقول: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: أنكر سفيان الثوري الجبر وقال: الله تعالى جبل العباد. قال المروزي: أظنه أراد قول النبي – صلى الله عليه وسلم – لأشج عبد القيس، يعني: قوله الذي في صحيح مسلم: «إن فيك لخلقين يحبهما الله الحلم والأناة. فقال أخلقين تخلقت بهما أم خلقين جبلت عليهما، فقال: بل خلقين جبلت عليهما، فقال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله تعالى» .

ولهذا احتج البخاري وغيره على خلق الأفعال، بقوله تعالى: ﴿إن الإنسان خلق هلوعا﴾ [المعارج: ١٩] ﴿إذا مسه الشر جزوعا﴾ [المعارج: ٢٠] ﴿وإذا مسه الخير منوعا﴾ [المعارج: ٢١] فأخبر تعالى أنه خلق الإنسان على هذه الصفة.." (١)

"عن النبي – صلى الله عليه وسلم – «أنه قال في غزوة تبوك: إن بالمدينة لرجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم قالوا: وهم بالمدينة؟ قال: وهم بالمدينة، حبسهم العذر» . فهؤلاء كانوا قاصدين للعمل الذي كانوا يعملونه راغبين فيه، لكن عجزوا فصاروا بمنزلة العامل بخلاف من زال عقله، فإنه ليس له قصد صحيح ولا عبادة أصلا، بخلاف أولئك فإن لهم قصدا صحيحا يكتب لهم به الثواب.

وأما من كان قبل جنونه كافرا أو فاسقا أو مذنبا، لم يكن حدوث الجنون به مزيلا لما ثبت من كفره وفسقه، ولهذا كان من جن من اليهود والنصارى بعد تهوده وتنصره محشورا معهم، وكذلك من جن من المسلمين بعد إيمانه وتقواه محشورا مع المؤمنين من المتقين، وزوال العقل بجنون أو غيره، سواء سمي صاحبه مولها أو متولها لا يوجب مزيد حال صاحبه من الإيمان والتقوى.

ولا يكون زوال عقله سببا لمزيد خيره ولا صلاحه ولا ذنبه، ولكن الجنون يوجب زوال العمل، فيبقى على ما كان عليه من خير وشر، لا أنه يزيده ولا ينقصه، لكن جنونه يحرمه الزيادة من الخير، كما أنه يمنع عقوبته على الشر.

وأما إن كان زوال عقله بسبب محرم كشرب الخمر، وأكل الحشيشة، أو كان يحضر السماع الملحن فيستمع حتى يغيب عقله، أو الذي يتعبد بعبادات بدعية حتى يقترن به بعض الشياطين، فيغيروا عقله أو يأكل بنجا يزيل عقله، فهؤلاء يستحقون الذم والعقاب على ما أزالوا به العقول، وكثير من هؤلاء يستجلب الحال الشيطاني بأن يفعل ما يحبه. فيرقص

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ١/١٥٠

رقصا عظيما حتى يغيب عقله، أو يغط ويخور حتى يجيئه الحال الشيطاني، وكثير من هؤلاء يقصد التوله حتى يصير مولها، فهؤلاء كلهم من حزب الشيطان، وهذا معروف من غير واحد منهم.

واختلف العلماء هل هم مكلفون في حال زوال عقلهم، والأصل مسألة السكران والمنصوص عن الشافعي وأحمد وغيرهما أنه مكلف حال زوال عقله، وقال كثير من العلماء ليس مكلفا، وهو أحد القولين في مذهب الشافعي وأحمد، وإحدى الروايتين عن أحمد أن طلاق السكران لا يقع، وهذا أظهر القولين.." (١)

"منفعة للإنسان، وطاعة لله، فلا خير فيه، بل قد ثبت في الصحيح أن النبي - صلى الله عليه وسلم - «رأى رجلا قائما في الشمس، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا أبو إسرائيل، نذر أن يقوم في الشمس، ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم. فقال: مروه فليجلس، وليستظل، وليتكلم، وليتم صومه» .

ولهذا نهى عن الصمت الدائم، بل المشروع ما قاله النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت» . فالتكلم بالخير خير من السكوت عنه، والسكوت **عن الشر خير** من التكلم به.

[فصل الجنب إذا أراد أن يأكل أو ينام أو يعاود الوطء]

فصل والجنب يستحب له الوضوء، إذا أراد أن يأكل أو يشرب أو ينام أو يعاود الوطء، لكن يكره له النوم إذا لم يتوضأ؛ فإنه قد ثبت في الصحيح «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سئل: هل يرقد أحدنا وهو جنب؟ فقال: نعم، إذا توضأ للصلاة» .

ويستحب الوضوء عند النوم لكل أحد. فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لرجل: «إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم قل: اللهم إني أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت» .

وليس للجنب أن يلبث في المسجد، لكن إذا توضأ جاز له اللبث فيه، عند أحمد وغيره، واستدل بما ذكره بإسناده، عن هشام بن سعد، أن «أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانوا يتوضئون وهم جنب، ثم يجلسون في المسجد ويتحدثون» وهذا لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - أمر الجنب بالوضوء عند النوم، وقد جاء في بعض الأحاديث كراهة أن تقبض روحه." (٢)

"الصدق والإخلاص إظهار الأمور المشروعة، حذرا من لمزهم وذمهم، فيتعطل الخير، ويبقى لأهل الشرك شوكة يظهرون الشر، ولا أحد ينكر عليهم، وهذا من أعظم المفاسد.

الرابع: أن مثل هذا من شعائر المنافقين، وهو يطعن على من يظهر الأعمال المشروعة، قال الله تعالى: ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم﴾

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ١٨٦/١

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ١٤٨/٢

[التوبة: ٧٩] .

فإن النبي – صلى الله عليه وسلم – لما حض على الإنفاق عام تبوك جاء بعض الصحابة بصرة كادت يده تعجز من حملها، فقالوا: هذا مراء، وجاء بعضهم بصاع، فقالوا: لقد كان الله غنيا عن صاع فلان، فلمزوا هذا وهذا، فأنزل الله ذلك، وصار عبرة فيمن يلمز المؤمنين المطيعين لله ورسوله، والله أعلم.

[مسألة من صلى بلا وضوء فيما تشترط له الطهارة]

٢٢٤ – ١٤٠ – مسألة: في الرجل إذا تلي عليه القرآن فيه سجدة سجد على غير وضوء، فهل يأثم؟ أو يكفر؛ أو تطلق عليه زوجته؟

الجواب: لا يكفر، ولا تطلق عليه زوجته، ولكن يأثم عند أكثر العلماء، ولكن ذكر بعض أصحاب أبي حنيفة أن من صلى بلا وضوء فيما تشترط له الطهارة بالإجماع.

كالصلوات الخمس أنه يكفر بذلك، وإذا كفر كان مرتدا.

والمرتد عند أبي حنيفة تبين منه زوجته، ولكن تكفير هذا ليس منقولا عن أبي حنيفة نفسه، ولا عن صاحبيه وإنما هو عن أتباعه، وجمهور العلماء على أنه يعزر، ولا يكفر إلا إذا استحل ذلك واستهزأ بالصلاة.

وأما سجدة التلاوة: فمن العلماء من ذهب إلى أنها تجوز بغير طهارة، وما تنازع العلماء في جوازه لا يكفر فاعله بالاتفاق، وجمهور العلماء على أن المرتد لا تبين منه زوجته إلا إذا انقضت عدتها، ولم يرجع إلى الإسلام، والله أعلم.." (١)

"ما قال هذا المنكر رد؟ وإذا لم يجب عليه فما حكم هذا القول؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين. ليس هذا كفرا، فإن هذا الدعاء وأمثاله يقصد به التحصن والتحرز بهذه الكلمات، فيتقي بها من الشر، كما يتقي ساكن البيت بالبيت **من الشر والحر** والبرد والعدو.

وهذا كما جاء في الحديث المعروف، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في الكلمات الخمس التي قام يحيى بن زكريا في بني إسرائيل، قال: «أوصيكم بذكر الله، فإن مثل ذلك مثل رجل طلبه العدو فدخل حصنا فامتنع به من العدو» فكذلك ذكر الله هو حصن ابن آدم من الشيطان أو كما قال.

فشبه ذكر الله في امتناع الإنسان به من الشيطان بالحصن الذي يمتنع به من العدو، والحصن له باب وسقف وحيطان، ونحو هذا أن الأعمال الصالحة من ذكر الله وغيره تسمى جنة ولباسا كما قال تعالى: ﴿ولباس التقوى ذلك خير﴾ [الأعراف: ٢٦] . في أشهر القولين، وكما قال في الحديث: «خذوا جنتكم قالوا: يا رسول الله من عدو حضر؟ قال: لا ولكن جنتكم من النار: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»

ومنه قول الخطيب: " فتدرعوا جنن التقوى قبل جنن السابري وفوقوا سهام الدعاء قبل سهام القسي ". ومثل هذا كثير يسمى سورا، وحيطانا، ودرعا، وجنة، ونحو ذلك.

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٢/٢٦٤

ولكن هذا الدعاء المسئول عنه ليس بمأثور، والمشروع للإنسان أن يدعو بالأدعية المأثورة، فإن الدعاء من أفضل العبادات، وقد نهانا الله عن الاعتداء فيه، فينبغي لنا أن نتبع فيه ما شرع وسن، كما أنه ينبغي لنا ذلك في غيره من العبادات،." (١)

"وقد قال – صلى الله عليه وسلم – في الحديث الصحيح: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه» .

كذلك لا يؤمر الناذر أن يفعلها، فمن فعلها على وجه التعبد بها والتقرب، واتخاذ ذلك دينا وطريقا إلى الله تعالى، فهو ضال جاهل، مخالف لأمر الله ورسوله. ومعلوم أن من يفعل ذلك من نذر اعتكافا، ونحو ذلك، إنما يفعله تدينا، ولا ريب أن فعله على وجه التدين حرام، فإنه يعتقد ما ليس بقربة قربة، ويتقرب إلى الله تعالى بما لا يحبه الله، وهذا حرام، لكن من فعل ذلك قبل بلوغ العلم إليه، فقد يكون معذورا بجهله، إذا لم تقم عليه الحجة، فإذا بلغه العلم فعليه التوبة.

وجماع الأمر في الكلام قوله – صلى الله عليه وسلم –: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر. فليقل خيرا أو ليصمت» . فقول الخير، وهو الواجب، أو المستحب، خير من السكوت عنه، وما ليس بواجب، ولا مستحب، فالسكوت عنه خير من قوله.

ولهذا قال بعض السلف لصاحبه: السكوت عن الشر خير من التكلم به، فقال له الآخر: التكلم بالخير خير من السكوت عنه.

وقد قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصيت الرسول وتناجوا بالبر والتقوى﴾ [المجادلة: ٩] .

وقال تعالى: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما﴾ [النساء: ١١٤] .." (٢)

"وهذا كله تصديق قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: «لتتبعن سنن من كان قبلكم» وإذا كانت المتابعة في القليل ذريعة ووسيلة إلى بعض هذه القبائح. كانت محرمة، فكيف إذا أفضت إلى ما هو كفر بالله من التبرك بالصليب، والتعمد في المعمودية.

وقول القائل: المعبود واحد، وإن كانت الطرق مختلفة ونحو ذلك من الأقوال والأفعال التي تتضمن: إما كون الشريعة النصرانية أو اليهودية المبدلين المنسوخين موصلة إلى الله، وإما استحسان بعض ما فيها مما يخالف دين الله أو التدين بذلك، أو غير ذلك مما هو كفر بالله ورسوله وبالقرآن وبالإسلام، بلا خلاف بين الأمة. وأصل ذلك المشابهة والمشاركة. وبهذا يتبين لك كمال موقع الشريعة الحنيفية. وبعض حكم ما شرع الله لرسوله من مباينة الكفار، ومخالفتهم في عامة الأمور؛ لتكون المخالفة أحسم لمادة الشر، وأبعد عن الوقوع فيما وقع فيه الناس. فينبغي للمسلم إذا طلب منه أهله

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٢/٣٨٦

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٢/٤٨٠

وأولاده شيئا من ذلك أن يحيلهم على ما عند الله ورسوله، ويقضي لهم في عيد الله من الحقوق ما يقطع استشرافهم إلى غيره، فإن لم يرضوا فلا حول ولا قوة إلا بالله، ومن أغضب أهله لله أرضاه الله، وأرضاهم.

فليحذر العاقل من طاعة النساء في ذلك، وفي الصحيحين عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء» .

وأكثر ما يفسد الملك والدول طاعة النساء. ففي صحيح البخاري عن أبي بكرة قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «لا أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» . وروي أيضا: «هلكت الرجال حين أطاعت النساء» . وقد «قال – صلى الله عليه وسلم – لأمهات المومنين لما راجعنه في تقديم." (١)

"النزاع التي تنازعت فيه الأمة فأصوب القولين فيه ما وافق كتاب الله وسنة رسوله: من أصاب هذا القول فله أجران، ومن لم يؤده اجتهاده إلا إلى القول الآخر كان له أجر واحد؛ والقول الموافق لسنته مع القول الآخر بمنزلة طريق سهل مخصب يوصل إلى المقصود، وتلك الأقوال فيها بعد، وفيها وعورة، وفيها حدوثه. فصاحبها يحصل له من التعب والجهد أكثر مما في الطريقة الشرعية.

ولهذا أذاعوا ما دل عليه الكتاب والسنة على تلك الطريقة التي تتضمن من لزوم ما يبغضه الله ورسوله: من القطيعة، والفرقة؛ وتشتيت الشمل، وتخريب الديار، وما يحبه الشيطان والسحرة من التفريق بين الزوجين وما يظهر ما فيها من الفساد لكل عاقل. ثم إما أن يلزموا **هذا الشر العظيم** ويدخلوا في الآصار والأغلال. وإما أن يدخلوا في منكرات أهل الاحتيال، وقد نزه الله النبي وأصحابه من كلا الفريقين بما أغناهم به من الحلال.

فالطرق ثلاثة: إما الطريقة الشرعية المحضة الموافقة للكتاب والسنة، وهي طريق أفاضل السابقين الأولين، وتابعيهم بإحسان. وإما طريقة الآصار والأغلال والمكر والاحتيال، وإن كان من سلكها من سادات أهل العلم والإيمان، وهم مطيعون لله ورسوله فيما أتوا به من الاجتهاد المأمور به: ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾ [البقرة: ٢٨٦] .

وهذا كالمجتهد في القبلة إذا أدى اجتهاد كل فرقة إلى جهة من الجهات الأربع: فكلهم مطيعون لله ورسوله مقيمون للصلاة؛ لكن الذي أصاب القبلة في نفس الأمر له أجران والعلماء ورثة الأنبياء، وقال تعالى: ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين﴾ [الأنبياء: ٧٨] ﴿ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما﴾ [الأنبياء: ٧٩] . وكل مجتهد مصيب: بمعنى أنه مطيع لله؛ ولكن الحق في نفس الأمر واحد.

والمقصود هنا أن ما شرع الله تكفيره من الأيمان هو مكفر، ولو غلظه بأي وجه غلظ، ولو التزم أن لا يكفره كان له أن يكفره؛ فإن التزامه أن لا يكفره التزام لتحريم ما." (٢)

"طاهرا أو حاملا» وفي رواية في الصحيح " قرأ النبي – صلى الله عليه وسلم –: ﴿إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن﴾ [الطلاق: ١] .

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٤٨٤/٢

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٢٦٨/٣

وعن ابن عباس وغيره من الصحابة: " الطلاق على أربعة أوجه: وجهان حلال. ووجهان حرام. فأما اللذان هما حلال: فأن يطلق امرأته طاهرا في غير جماع. أو يطلقها حاملا قد استبان حملها. وأما اللذان هما حرام: فأن يطلقها حائضا. أو يطلقها بعد الجماع لا يدري اشتمل الرحم على ولد أم لا. ورواه الدارقطني وغيره.

وقد بين النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه لا يحل له أن يطلقها إلا إذا طهرت من الحيض قبل أن يجامعها، وهذا هو الطلاق للعدة. أي: لاستقبال العدة، فإن ذلك الطهر أو العدة. فإن طلقها قبل العدة يكون قد طلقها قبل الوقت الذي أذن الله فيه، ويكون قد طول عليها التربص. وطلقها من غير حاجة به إلى طلاقها، والطلاق في الأصل مما يبغضه. وهو أبغض الحلال إلى الله. وإنما أباح منه ما يحتاج إليه الناس كما تباح المحرمات للحاجة: فلهذا حرمها بعد الطلقة الثالثة حتى تنكح زوجا غيره عقوبة له، لينتهي الإنسان عن إكثار الطلاق. فإذا طلقها لم تزل في العدة متربصة ثلاثة قروء، وهو مالك لها يرثها وترثه، وليس له فائدة في تعجيل الطلاق قبل وقته؛ كما لا فائدة في مسابقة الإمام، ولهذا لا يعتد له بما فعله قبل الإمام؛ بل تبطل صلاته إذا تعمد ذلك في أحد قولي العلماء. وهو لا يزال معه في الصلاة حتى يسلم.

ولهذا جوز أكثر العلماء الخلع في الحيض؛ لأنه على قول فقهاء الحديث ليس بطلاق؛ بل فرقة بائنة، وهو في أحد قوليهم تستبرأ بحيضة لا عدة عليها، وهذه إحدى الروايتين عند أحمد؛ ولأنها تملك نفسها بالاختلاع فلهما فائدة في تعجيل الإبانة **لرفع الشر الذي** بينهما؛ بخلاف الطلاق الرجعي فإنه لا فائدة في تعجيله قبل وقته؛ بل ذلك شر بلا خير. وقد قيل: إنه طلاق في وقت لا يرغب فيها، وقد لا يكون محتاجا إليه، بخلاف الطلاق وقت الرغبة فإنه لا يكون إلا عن حاجة.

«وقول النبي – صلى الله عليه وسلم – لابن عمر: مره فليراجعها» مما تنازع العلماء فيه في مراد النبي." (١)

"يمين أنه لم يقتله، ولا رضي بقتله، ولم يمالئ على قتله.

وهذا معلوم بلا ريب من علي – رضي الله عنه –. فكان أناس من محبي علي ومن مبغضيه يشيعون ذلك عنه: فمحبوه يقصدون بذلك الطعن على عثمان بأنه كان يستحق القتل، وأن عليا أمر بقتله. ومبغضوه يقصدون بذلك الطعن على علي، وأنه أعان على قتل الخليفة المظلوم الشهيد، الذي صبر نفسه ولم يدفع عنها، ولم يسفك دم مسلم في الدفع عنه، فكيف في طلب طاعته؟ ، وأمثال هذه الأمور التي يتسبب بها الزائغون على المتشيعين العثمانية، والعلوية.

وكل فرقة من المتشيعين مقرة مع ذلك بأنه ليس معاوية كفئا لعلي بالخلافة، ولا يجوز أن يكون خليفة مع إمكان استخلاف علي – رضي الله عنه –؛ فإن فضل علي وسابقيته، وعلمه، ودينه، وشجاعته، وسائر فضائله: كانت عندهم ظاهرة معروفة، كفضل إخوانه: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وغيرهم – رضي الله عنهم –. ولم يكن بقي من أهل الشورى غيره وغير سعد، وسعد كان قد ترك هذا الأمر وكان الأمر قد انحصر في عثمان وعلي؛ فلما توفي عثمان لم يبق لها معين إلا علي – رضي الله عنه –، وإنما **وقع الشر بسبب** قتل عثمان، فحصل بذلك قوة أهل الظلم والعدوان وضعف

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٣/٢٨٧

أهل العلم والإيمان، حتى حصل من الفرقة والاختلاف ما صار يطاع فيه من غيره أولى منه بالطاعة؛ ولهذا أمر الله بالجماعة والائتلاف، ونهى عن الفرقة والاختلاف؛ ولهذا قيل: ما يكرهون في الجماعة خير مما يجمعون من الفرقة.

وأما الحديث الذي فيه «أن عمارا تقتله الفئة الباغية» فهذا الحديث قد طعن فيه طائفة من أهل العلم؛ لكن رواه مسلم في صحيحه وهو في بعض نسخ البخاري: قد تأوله بعضهم على أن المراد بالباغية الطالبة بدم عثمان، كما قالوا: نبغي ابن عفان بأطراف الأسل.

وليس بشيء؛ بل يقال ما قاله رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فهو حق كما قاله، وليس في كون عمارا تقتله الفئة الباغية ما ين ا في ما ذكرناه، فإنه قد قال الله تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ [الحجرات: ٩] ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾ [الحجرات: ١٠] فقد." (١)

"الناس، فيدخل وهم يرونه. ويجيء بالليل إلى باب الصغير فيعبر منه هو ورفقته، وهو من أفجر الناس.

وآخر كان بالشويك، في قرية يقال لها: " الشاهدة " يطير في الهوى إلى رأس الجبل والناس يرونه، وكان شيطان يحمله، كان يقطع الطريق. وأكثرهم شيوخ الشر، يقال لأحدهم " البوي " أي المخبث، ينصبون له حركات في ليلة مظلمة، ويصنعون خبزا على سبيل القربات، فلا يذكرون الله، ولا يكون عندهم من يذكر الله، ولا كتاب فيه ذكر الله؛ ثم يصعد ذلك البوي في الهوى، وهم يرونه، ويسمعون خطابه للشيطان، وخطاب الشيطان له، ومن ضحك أو شرق بالخبز ضربه بالدف. ولا يرون من يضرب به. ثم إن الشيطان يخبرهم ببعض ما يسألونه عنه، ويأمرهم بأن يقربوا له بقرا وخيلا وغير ذلك وأن يخنقوها خنقا ولا يذكرون اسم الله عليها، فإذا فعلوا قضى حاجتهم.

وشيخ آخر أخبر عن نفسه أنه كان يزني بالنساء، ويلوط بالصبيان الذين يقال لهم " الحو ا رات " وكان يقول: يأتيني كلب أسود بين عينيه نكتتان بيضاوان، فيقول لي: فلان، إن فلانا نذر لك نذرا، وغدا يأتيك به، وأنا قضيت حاجته لأجلك، فيصبح ذلك الشخص يأتيه بذلك النذر؛ ويكاشفه هذا الشيخ الكافر. قال: وكنت إذا طلب مني تغيير مثل اللاذن أقول حتى أغيب عن عقلي؛ وإذ باللاذن في يدي، أو في فمي وأنا لا أدري من وضعه،، قال: وكنت أمشي وبين يدي عمود أسود عليه نور. فلما تاب هذا الشيخ، وصار يصلي، ويصوم ويجتنب المحارم، ذهب الكلب الأسود وذهب التغيير؛ فلا يؤتى بلاذن ولا غيره.

وشيخ آخر كان له شياطين يرسلهم يصرعون بعض الناس، فيأتي أهل ذلك المصروع إلى الشيخ يطلبون منه إبراءه، فيرسل إلى أتباعه فيفارقون ذلك المصروع، ويعطون ذلك الشيخ دراهم كثيرة. وكان أحيانا تأتيه الجن بدراهم وطعام تسرقه من الناس، حتى إن بعض الناس كان له تين في كوارة، فيطلب الشيخ من شياطينه تينا، فيحضرونه له، فطلب أصحاب

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٣/٤٥٦

الكوارة التين فوجدوه قد ذهب.

وآخر كان مشتغلا بالعلم والقراءة، فجاءته الشياطين أغرته، وقالوا له: نحن." (١)

"﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين﴾ [التوبة: ٤] .

وقال: ﴿إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم﴾ [التوبة: ٧] . وقال: ﴿وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء﴾ [الأنفال: ٥٨] . فإنما أباح النبذة عند ظهور أمارات الخيانة؛ لأنه المحذور من جهتهم، وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾ [الصف: ٢] ﴿كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ [الصف: ٣] . وجاء أيضا في صحيح عن أبي موسى الأشعري أن في قراءة الذي تستحب تلاوته في سورة كانت كبراءة: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾ [الصف: ٢] . ستكتب شهادتهم في أعناقهم فيسألون عنها يوم القيامة، وقال تعالى: ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ [المعارج: ٣٢] . في سورتين، وهذا من صفة الم ستثنين من الهلوع المذموم، بقوله: ﴿إن الإنسان خلق هلوعا﴾ [المعارج: ١٩] ﴿إذا مسه الشر جزوعا﴾ [المعارج: ٢٠] ﴿وإذا مسه الخير منوعا﴾ [المعارج: ٢١] ﴿إلا المصلين﴾ [المعارج: ٢٢] ﴿الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ [المعارج: ٢٣] ﴿والذين في أموالهم حق معلوم﴾ [المعارج: ٢٤] ﴿للسائل والمحروم﴾ [المعارج: ٢٥] إلى قوله ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ [المعارج: ٣٢] ، وهذا يقتضي وجوب ذلك؛ لأنه لم يستثن من المذموم إلا من اتصف بجميع ذلك، ولهذا لم يذكر فيها إلا ما هو واجب. وكذلك في سورة المؤمنين قال في أولها: ﴿أولئك هم الوارثون - الذين يرثون الفردوس﴾ [المؤمنون: ١٠ - ١١] . فمن لم يتصف بهذه الصفات لم يكن من الوارثين؛ لأن ظاهر الآية الحصر فإن إدخال الفصل بين المبتدأ والخبر يشعر بالحصر، ومن لم يكن من وارثي الجنة كان معرضا للعقوبة إلا أن يعفو الله عنه، فإذا كانت رعاية العهد واجبة فرعايته." (٢)

"وأما أيمان البيعة، فقالوا: أول من أحدثها الحجاج بن يوسف الثقفي، وكانت السنة أن الناس يبايعون الخلفاء، كما بايع الصحابة النبي يعقدون البيعة كما يعقدون عقد البيع والنكاح ونحوهما، إما أن يذكروا الشروط التي يبايعون عليها ثم يقولون بايعناك على ذلك كما بايعت الأنصار النبي ليلة العقبة، فلما أحدث الحجاج حلف الناس على بيعتهم لعبد الملك بن مروان بالطلاق والعتاق واليمين بالله وصدقة المال، فهذه الأيمان الأربعة، هي كانت أيمان البيعة القديمة المبتدعة، ثم أحدث المستحلفون عن الأمراء من الخلفاء والملوك، وغيرهم أيمانا كثيرة أكثر من تلك، وقد تختلف فيها عادتهم، من أحدث ذلك فحسبه إثما ما ترتب على هذه الأيمان من الشر.

المقدمة الثانية: إن هذه الأيمان يحلف بها تارة بصيغة القسم، وتارة بصيغة الجزاء لا يتصور أن تخرج اليمين عن هاتين

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٣/٤٨٣

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٤/٨٥

الصيغتين، فالأول: كقوله: والله لا أفعل كذا، أو الطلاق يلزمني أن أفعل كذا، أو علي الحرام لا أفعل كذا، أو علي الحج لا أفعل.

والثاني: كقوله: إن فعلت كذا فأنا يهودي، أو نصراني أو بريء من الإسلام، أو إن فعلت كذا فامرأتي طالق، أو إن فعلت كذا فامرأتي حرام أو فهي علي كظهر أمي، أو إن فعلت كذا فعلي الحج أو فمالي صدقة، ولهذا عقد الفقهاء لمسائل الأيمان بابين:

أحدهما: بأن يعلق الطلاق بالشرط فيذكرون فيه الحلف بصيغة الجزاء كان ومتى وإذا وما أشبه ذلك، وإن دخل فيه صيغة القسم ضمنا وتبعا.

والباب الثاني باب جامع الأيمان مما يشترك فيه الحلف بالله والطلاق والعتاق وغير ذلك، فيذكرون فيه الحلف بصيغة القسم وإن دخلت صيغة الجزاء ضمنا، ومسائل أحد البابين مختلطة بمسائل الباب الآخر لاتفاقهما في المعنى كثيرا وغالبا، وكذلك طائفة من الفقهاء كأبي الخطاب وغيره لما ذكروا في كتاب الطلاق " باب تعليق الطلاق بالشروط أردفوه بباب جامع الأيمان، وطائفة أخرى كالخرقي والقاضي أبي يعلى، وغيرهما إنما ذكروا باب جامع الأيمان في كتاب الأيمان؛ لأنه أمس، ونظير." (١)

"وقال: «أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة» .

وقد اختلف العلماء هل هو محرم أو مكروه. وفيه روايتان عن أحمد، وقد استحسنوا جواب أحمد – رضي الله عنه – لما سئل عمن حلف بالطلاق، وليطأن امرأته وهي حائض، فقال: يطلقها ولا يطؤها قد أباح الله الطلاق وحرم وطء الحائض، وهذا الاستحسان يتوجه على أصلين إما على قوله إن الطلاق ليس بحرام، وإما أن يكون تحريمه دون تحريم الوطء، وإلا فإذا كان كلاهما حراما لم يخرج من حرام إلا إلى حرام، وأما ضرر الدنيا فأبين من أن يوصف، فإن لزوم الطلاق المحلوف به في كثير من الأوقات يوجب من الضرر ما لم تأت به الشريعة في مثل هذا قط.

فإن المرأة الصالحة تكون في صحبة زوجها الرجل الصالح سنين كثيرة، وهي متاعه الذي قال فيها رسول الله: «الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة المؤمنة، إن نظرت إليها أعجبتك وإن أمرتها أطاعتك وإن غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك» .

وهي التي أمر بها النبي في قوله لما سأله المهاجرون أي المال نتخذ فقال: «لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا أو امرأة صالحة تعين أحدكم على إيمانه» رواه الترمذي، من حديث سالم بن أبي الجعد، عن ثوبان.

ويكون منها من المودة والرحمة ما امتن الله تعالى بها في كتابه، فيكون ألم الفراق أشد عليها من الموت أحيانا وأشد من ذهاب المال وأشد من فراق الأوطان، خصوصا إن كان بأحدهما علاقة من صاحبه أو كان بينهما أطفال يضيعون

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٤/١١١

بالفراق ويفسد حالهم، ثم يفضي ذلك إلى القطيعة بين أقاربها **ووقع الشر لما** زالت نعمة المصاهرة التي امتن الله تعالى بها في قوله ﴿فجعله نسبا وصهرا﴾ [الفرقان: ٥٤] ، ومعلوم أن هذا من." [١]

"وقد ثبت في الصحيح عن «النبي: أنه مر عليه بجنازة فأثنوا عليها خيرا فقال: وجبت ومر عليه بجنازة فأثنوا عليها شرا فقال: وجبت، قالوا: يا رسول الله، ما قولك وجبت قال: هذه الجنازة أثنيتم عليها خيرا فقلت وجبت لها الجنة، وهذه الجنازة أثنيتم عليها شرا فقلت وجبت لها النار. أنتم شهداء الله في الأرض» .

هذا إذا كان المقصود تفسيقه لرد شهادته وولايته، وأما إذا كان المقصود التحذير منه واتقاء شره، فيكتفي بما دون ذلك كما قال عبد الله بن مسعود: اعتبروا الناس بأخدانهم.

وبلغ عمر بن الخطاب أن رجلا يجتمع إليه الأحداث فنهى عن مجالسته، فإذا كان الرجل مخالطا في السير **لأهل الشر** **يحذر** عنه.

والداعي إلى البدعة مستحق العقوبة باتفاق المسلمين، وعقوبته تكون تارة بالقتل، وتارة بما دونه، كما قتل السلف جهم بن صفوان، والجعد بن درهم، وغيلان القدري، وغيرهم، ولو قدر أنه لا يستحق العقوبة أو لا يمكن عقوبته فلا بد من بيان بدعته والتحذير منها، فإن هذا من جملة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أمر الله به ورسوله.

والبدعة التي يعد بها الرجل من أهل الأهواء ما اشتهر عند أهل العلم بالسنة مخالفتها للكتاب والسنة: كبدعة الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة، فإن عبد الله بن المبارك، ويوسف بن أسباط، وغيرهما قالوا: أصول اثنتين وسبعين فرقة هي أربع. الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة.

قيل لابن المبارك: فالجهمية؟." [٢]

"الصلاة، والذكر، والدعاء، وقراءة القرآن، وكل ذلك داخل في معنى ذكر الله والصلاة، وإنما الصلاة وذكر الله من باب عطف الخاص على العام كقوله تعالى: ﴿وملائكته ورسله وجبريل وميكال﴾ [البقرة: ٩٨] . وقوله تعالى: ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح﴾ [الأحزاب: ٧] . كما قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع﴾ [الجمعة: ٩] . فجعل السعي إلى الصلاة سعيا إلى ذكر الله. ولما كانت الصلاة متضمنة لذكر الله الذي هو مطلوب لذاته والنهي **عن الشر الذي** هو مطلوب لغيره، قال تعالى: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت: ٤٥] أي ذكر الله خارج الذي في الصلاة أكبر من كونها عن الفحشاء والمنكر، وليس المراد أن ذكر الله خارج الصلاة أفضل من الصلاة وما فيها من ذكر الله فإن هذا خلاف الإجماع. ولما كان ذكر الله هو مقصود الصلاة قال أبو الدرداء: ما دمت تذكر الله فأنت في صلاة ولو كنت في السوق.

ولما كان ذكر الله يعم هذا كله قالوا: إن مجالس الحلال والحرام، ونحو ذلك مما فيه ذكر أمر الله ونهيه ووعده ووعيده،

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ١٤٦/٤

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ١٩٤/٤

ونحو ذلك هي مجالس الذكر. والمقصود هنا أن يعرف مراتب المصالح والمفاسد، وما يحبه الله ورسوله وما لا يبغضه مما أمر الله به ورسوله كان لما يتضمنه من تحصيل المصالح التي يحبها ويرضاها، ودفع المفاسد التي يبغضها ويسخطها، وما نهى عنه كان لتضمنه ما يبغضه، ويسخطه، ومنعه مما يحبه ويرضاه.

وكثير من الناس يقصر نظره عن معرفة ما يحبه الله ورسوله من مصالح القلوب." (١)

"﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا﴾ [الأعراف: ١٤٦] .

ثم القلب للعلم كالإناء للماء، والوعاء للغسل والوادي للسيل، كما قال تعالى: ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها﴾ [الرعد: ١٧] الآية.

وقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت فيها أجادب أمسكت الماء فسقى الناس وزرعوا، وأصاب منها طائفة إنما هي قيعان لا تمسك ماء. ولا تنبت كلأ. فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما أرسلت به، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» .

وفي حديث كميل بن زياد عن علي – رضي الله عنه –، قال: " القلوب أوعية فخيرها أوعاها ".

وبلغنا عن بعض السلف قال: القلوب آنية الله في أرضه فأحبها إلى الله تعالى أرقها وأصفاها.

وهذا مثل حسن فإن القلب إذا كان رقيقا لينا كان قبوله للعلم سهلا يسيرا، ورسخ فيه وأثر، وإن يكن قاسيا غليظا يكن قبوله للعلم صعبا عسيرا.

ولا بد مع ذلك أن يكون زكيا صافيا سليما حتى يزكو فيه العلم، ويثمر ثمرا طيبا وإلا فلو قبل العلم وكان فيه كدر وخبث أفسد ذلك العلم، وكان كالدغل في المزدرع، إن لم يمنع الحب من أن ينبت، منعه من أن يزكو ويطيب، وهذا بين لأولي الأبصار.

وتلخيص هذه الجملة أنه إذا استعمل في الحق فله وجهان: وجه مقبل على الحق، ومن هذا الوجه يقال له وعاء وإناء، لأن ذلك يستوجب ما يوعى فيه ويوضع فيه، وهذه الصبغة وجود ثبوت، ووجه معرض عن الباطل، ومن هذا الوجه يقال له زكي وسليم وطاهر، لأن هذه الأسماء تدل على **عدم الشر والخبث** والدغل وهذه." (٢)

"حضر في هذا الوقت والله أعلم بالمراد والله أعلم، وفوق كل ذي علم عليم، والحمد لله العزيز الوهاب الكريم التواب، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

[مسألة هل قال النبي زدني فيك تحيرا]

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٤/٤٦٨

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٥/٥٤

١٠٢٩ - ٥ مسألة: هل قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: " زدني فيك تحيرا "، وقال بعض العارفين: أول المعرفة الحيرة، وآخرها الحيرة.

قيل: من أين تقع الحيرة؟ قيل: من معنيين: أحدهما: كثرة اختلاف الأحوال عليه.

والآخر: **شدة الشر وحذر** الإياس.

وقال الواسطي: نازلة تنزل بقلوب العارفين بين الإياس والطمع، لا تطمعهم في الوصل فيستريحون، ولا تؤيسهم عن الطلب فيستريحون.

وقال بعض: متى أصل إلى طريق الراجين وأنا مقيم في حيرة المتحيرين.

وقال محمد بن الفضل: العارف كلما انتقل من حال إلى حال استقبلته الدهشة والحيرة.

وقال: أعرف الناس بالله أشدهم فيه تحيرا، وقال الجنيد: انتهى عقل العقلاء إلى الحيرة.

وقال ذو النون: غاية العارفين التحير، وأنشد بعضهم:

قد تحيرت فيك خذ بيدي ... يا دليلا لمن تحير فيه

فبينوا لنا القول في ذلك بيانا شافيا؟

الجواب: الحمد لله، هذا الكلام المذكور: " زدني فيك تحيرا "، من الأحاديث المكذوبة على النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يروه أحد من أهل العلم بالحديث.

وإنما يرويه جاهل أو ملحد، فإن هذا الكلام يقتضي أنه كان حائرا، وأنه سأل الزيادة في الحيرة، وكلاهما باطل، فإن الله هداه بما أوحاه إليه وعلمه ما لم يكن يعلم، وأمره بسؤال الزيادة من العلم بقوله: ﴿رب زدني علما﴾ [طه: ١١٤] .

وهذا يقتضي أنه كان عالما، وأنه أمر بطلب المزيد من العلم، ولذلك أمر هو والمؤمنون بطلب." [١]

"﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ [الشورى: ٥٢] .

ومثل هذا كثير في القرآن والحديث.

ولم يمدح الحيرة أحد من أهل العلم والإيمان، ولكن مدحها طائفة من الملاحدة، كصاحب الفصوص ابن عربي وأمثاله من الملاحدة الذين هم حيارى، فمدحوا الحيرة وجعلوها أفضل من الاستقامة، وادعوا أنهم أكمل الخلق، وأن خاتم الأولياء منهم يكون أفضل في العلم بالله من خاتم الأنبياء، وأن الأنبياء يستفيدون العلم بالله منهم، وكانوا في ذلك كما يقال فيمن قال: ﴿فخر عليهم السقف من فوقهم﴾ [النحل: ٢٦] لا عقل ولا قرآن، فإن الأنبياء أقدم فكيف يستفيد المتقدم من المتأخر، وهم عند المسلمين واليهود والنصارى أفضل من الأولياء؟ فخرج هؤلاء عن العقل والدين دين المسلمين واليهود والنصارى، وهؤلاء قد بسطنا الرد عليهم في غير هذا الموضع، ولهم في وحدة الوجود والحلول والاتحاد كلام من شر كلام أهل الإلحاد.

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٥/٥٧

وأما غير هؤلاء من الشيوخ الذين يذكرون الحيرة، فإن كان الرجل منهم يخبر عن حيرته، فهذا لا يقتضي مدح الحيرة، بل الحائر مأمور بطلب الهدى، كما نقل عن الإمام أحمد أنه علم رجلا أن يدعو يقول: يا دليل الحائرين دلني على طريق الصادقين، واجعلني من عبادك الصالحين.

فأما الذي قال: أول المعرفة الحيرة وآخرها الحيرة، فقد يريد ذلك معنى صحيحا مثل أن يريد أن الطالب السالك يكون حائرا قبل حصول المعرفة والهدى، فإن كل طالب للعلم والهدى، هو قبل حصول مطلوبه في نوع من الحيرة، وقوله: " آخرها الحيرة ".

وقد يراد به أنه لا يزال طالب الهدى والعلم، فهو بالنسبة إلى ما يصل إليه حائر، وليس في ذلك مدح الحيرة، ولكن يراد به أنه لا بد أن يعتري الإنسان نوع من الحيرة التي يحتاج معها إلى العلم والهدى.

وقوله: " والحيرة من معنيين: أحدهما كثرة اختلاف الأحوال، والآخر **شدة الشر وحذر** الإياس "، إخبار عن سلوك معين، فإنه ليس كل سالك يعتريه هذا، ولكن من." (١)

"السالكين من تختلف عليه الأحوال حتى لا يدري ما يقبل وما يرد، وما يفعل وما يترك، والواجب على من كان كذلك دوام الدعاء لله سبحانه وتعالى، والتضرع إليه والاستهداء بالكتاب والسنة، وكذلك **بشدة الشر وحذر** الإياس، فإن في السالكين من يبتلى بأمور من المخالفات يخاف معها أن يصير إلى اليأس من رحمة الله لقوة خوفه، وكثرة المخالفة عند نفسه، ومثل هذا ينبغي أن يعلم سعة رحمة الله وقبول التوبة من عباده وفرحه بذلك.

وقول الآخر: " نازلة تنزل بقلوب العارفين بين اليأس والطمع فلا تطمعهم في الوصول فيستريحون ولا تؤيسهم عن الطلب فيستريحون ".

فيقال: هذا أيضا حال عارض لبعض السالكين، ليس هذا أمرا لازما لكل من سلك طريق الله، ولا هو أيضا غاية محمودة، ولكن بعض السالكين يعرض له هذا كما يذكر عن الشبلي أنه كان ينشد في هذا المعنى:

أظلت علينا منك يوما سحابة ... أضاءت لنا برقا وأبطأ رشاشها

فلا غيمها يجلو فييأس طامع ... ولا غيثها يأتي فيروي عطاشها

وصاحب هذا الكلام إلى أن يعفو الله عنه ويغفر له مثل هذا الكلام أحوج منه إلى أن يمدح عليه أو يقتدى به فيه، ومثل هذا كثير، قد تكلمنا عليه في غير هذا الموضع، لما تكلمنا على ما يعرض لطائفة من كلام فيه معاتبة لجانب الربوبية؛ وإقامة حجة عليه بالمجنون المتحير، وإقامة عذر المحب، وأمور تشبه هذا قد تحيز من قال بموجبها إلى الكفر والإلحاد.

إذ الواجب الإقرار لله بفضله وجوده وإحسانه، وللنفس بالتقصير والذنب، كما في الحديث الصحيح: «سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها إذا أصبح موقنا بها

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٥٩/٥

فمات من يومه دخل الجنة، ومن قالها إذا أمسى موقنا بها فمات من ليلته دخل الجنة» .

وفي الحديث الصحيح الإلهي: «يقول الله تعالى: يا عبادي إنما هي أعمالكم." (١)

"أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» .

وفي الحديث الصحيح: «يقول الله من تقرب إلي شبرا تقربت منه ذراعا، ومن تقرب إلي ذراعا تقربت منه باعا؛ ومن أتاني يمش أتيته هرولة» .

وفي الحديث الصحيح: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني» .

وقد ثبت أن الله تعالى كل نعمة منه فضل، وكل نقمة منه عدل، وقد ثبت من حكمته ورحمته وعدله ما يبهر العقول، لأن هذه المسألة تتعلق بأصول كبار من مسائل القدر والأمر والوعد والوعيد، والأسماء والصفات، قد بسط الكلام عليها في غير هذا الموضع.

والمقصود هنا الكلام على ما ذكر من هؤلاء الشيوخ، فقول القائل: " لا تطمعهم في الوصول فيستريحون؛ ولا تؤيسهم عن الطلب فيستريحون " هي حال عارض لشخص قد تعلقت همته بمطلوب معين.

وهو يتردد فيه بين اليأس والطمع، وهذا حال مذموم؛ لأن العبد لا ينبغي له أن يقترح على الله شيئا معينا، بل تكون همته فعل المأمور، وترك المحظور، والصبر على المقدور، فمتى أعين على هذه الثلاثة جاءت بعد ذلك من المطالب ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ولو تعلقت همته بمطلوب فدعا الله به، فإن الله يعطيه إحدى خصال ثلاث: إما أن يعجل له دعوته.

وإما أن يدخر له من الخير مثلها، وإما أن يصرف عنه **من الشر مثلها**.." (٢)

"وهذا لعمري إذا كان قد استعبد قلبه صورة مباحة، فأما من استعبد قلبه صورة محرمة: امرأة أو صبي، فهذا هو العذاب الذي لا يدان فيه.

وهؤلاء من أعظم الناس عذابا وأقلهم ثوابا، فإن العاشق لصورة إذا بقي قلبه متعلقا بها، مستعبدا له اجتمع له من **أنواع الشر والفساد** ما لا يحصه إلا رب العباد، ولو سلم من فعل الفاحشة الكبرى، فدوام تعلق القلب بها بلا فعل الفاحشة أشد ضررا عليه، ممن يفعل ذنبا ثم يتوب منه ويزول أثره من قلبه، وهؤلاء يشبهون بالسكارى والمجانين.

كما قيل: سكران: سكر هوى، وسكر مدامة ومتى إفاقة من به سكران، وقيل:

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم ... العشق أعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه ... وإنما يصرع المجنون في الحين

ومن أعظم أسباب هذا البلاء إعراض القلب عن الله، فإن القلب إذا ذاق طعم عبادة الله والإخلاص له لم يكن عنده شيء قط أحلى من ذلك، ولا ألذ ولا أطيب، والإنسان لا يترك محبوبا إلا بمحبوب آخر يكون أحب إليه منه، أو خوفا

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٦٠/٥

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٦١/٥

من مكروه، فالحب الفاسد إنما ينصرف القلب عنه بالحب الصالح؛ أو بالخوف من الضرر.

قال تعالى في حق يوسف: ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾ [يوسف: ٢٤] ، فالله يصرف عن عبده ما يسوءه من الميل إلى الصور والتعلق بها، ويصرف عنه الفحشاء بإخلاصه لله.

ولهذا يكون قبل أن يذوق حلاوة العبودية لله والإخلاص له تغلبه نفسه على اتباع هواها، فإذا ذاق طعم الإخلاص، وقوي في قلبه انقهر له هواه بلا علاج، قال تعالى: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت: ٤٥] .

فإن الصلاة فيها دفع للمكروه، وهو الفحشاء والمنكر، وفيها تحصيل المحبوب، وهو ذكر الله، وحصول هذا المحبوب أكبر من دفع المكروه، فإن ذكر الله عبادة لله، وعبادة القلب لله." (١)

"مقصودة لذاتها.

وأما **اندفاع الشر عنه** فهو مقصود لغيره على سبيل التبع والقلب خلق يحب الحق ويريده ويطلبه.

فلما عرضت له **إرادة الشر طلب** دفع ذلك، فإنه يفسد القلب كما يفسد الزرع بما ينبت فيه من الدغل، ولهذا قال تعالى: ﴿قد أفلح من زكاها﴾ [الشمس: ٩] ﴿وقد خاب من دساها﴾ [الشمس: ١٠] .

وقال تعالى: ﴿قد أفلح من تزكى﴾ [الأعلى: ١٤] ﴿وذكر اسم ربه فصلى﴾ [الأعلى: ١٥] .

وقال: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم﴾ [النور: ٣٠] وقال تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا﴾ [النور: ٢١] فجعل سبحانه غض البصر، وحفظ الفرج هو أزكى للنفس.

وبين أن ترك الفواحش من زكاة النفوس، وزكاة النفوس تتضمن زوال جميع الشرور من الفواحش، والظلم، والشرك، والكذب، وغير ذلك.

وكذلك طالب الرئاسة والعلو في الأرض قلبه رقيق لمن يعينه عليها ولو كان في الظاهر مقدمهم والمطاع فيهم.

فهو في الحقيقة يرجوهم ويخافهم، فيبذل لهم الأموال والولايات، ويعفو عنهم ليطيعوه، ويعينوه، فهو في الظاهر رئيس مطاع، وفي الحقيقة عبد مطيع لهم، والتحقيق أن كليهما فيه عبودية للآخر، وكلاهما تارك لحقيقة عبادة الله، وإذا كان تعاونهما على العلو في الأرض بغير الحق كانا بمنزلة المتعاونين على الفاحشة أو قطع الطريق، فكل واحد من الشخصين لهواه الذي استعبده واسترقه يستعبده الآخر.

وهكذا أيضا طالب المال فإن ذلك يستعبده ويسترقه، وهذه الأمور نوعان: منها: ما يحتاج العبد إليه كما يحتاج إليه من طعامه، وشرابه، ومسكنه، ومنكحه، ونحو ذلك.

فهذا يطلبه من الله ويرغب إليه فيه، فيكون المال عنده يستعمله في حاجته بمنزلة حماره الذي يركبه، وبساطه الذي

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ١٨٤/٥

يجلس عليه؛ بل بمنزلة الكنيف الذي يقضي فيه حاجته من غير أن يستعبده، فيكون هلوعا إن مسه الشر جزوعا؛ وإذا مسه الخير منوعا.." (١)

"أي يستجيب لهم، وهو معروف في اللغة، يقال: استجابه واستجاب له كما قال الشاعر: وداع دعا يا من يجيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب وقيل: سلوني أعطكم.

وفي الصحيحين عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له» فذكر أولا لفظ الدعاء، ثم ذكر السؤال والاستغفار، والمستغفر سائل كما أن السائل داع؛ لكن ذكر السائل لدفع الشر بعد السائل الطالب للخير، وذكرهما جميعا بعد ذكر الداعي الذي يتناولهما وغيرهما فهو من باب عطف الخاص على العام.

وقال تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ [البقرة: ١٨٦] .

وكل سائل راغب راهب، فهو عابد للمسئول، وكل عابد له فهو أيضا راغب وراهب يرجو رحمته ويخاف عذابه.

فكل عابد سائل وكل سائل عابد.

فأحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه، ولكن إذا جمع بينهما: فإنه يراد بالسائل الذي يطلب جلب المنفعة ودفع المضرة بصيغ السؤال والطلب.

ويراد بالعابد من يطلب ذلك بامتثال الأمر وإن لم يكن في ذلك صيغ سؤال.

والعابد الذي يريد وجه الله والنظر إليه هو أيضا راج خائف راغب راهب: يرغب في حصول مراده، ويرهب من فواته.

قال تعالى: ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا﴾ [الأنبياء: ٩٠] وقال تعالى: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا﴾ [السجدة: ١٦] ولا يتصور أن يخلو داع لله – دعاء عبادة أو دعاء مسألة – من الرغب والرهب من الخوف والطمع.." (٢)

"فيقال: لأن المقام مقام اعتراف بأن ما أصابني من الشر كان بذنبي، فأصل الشر هو الذنب، والمقصود دفع الضر والاستغفار جاء بالقصد الثاني، فلم يذكر صيغة طلب كشف الضر لاستشعاره أنه مسيء ظالم.

وهو الذي أدخل الضر على نفسه، فناسب حاله أن يذكر ما يرفع سببه من الاعتراف بظلمه، ولم يذكر صيغة طلب المغفرة لأنه مقصود للعبد المكروب بالقصد الثاني؛ بخلاف كشف الكرب فإنه مقصود له في حال وجوده بالقصد الأول، إذ النفس بطبعها تطلب ما هي محتاجة إليه من زوال الضرر الحاصل من الحال قبل طلبها زوال ما تخاف وجوده من الضرر في المستقبل بالقصد الثاني، والمقصود الأول في هذا المقام هو المغفرة وطلب كشف الضر، فهذا مقدم في قصده وإرادته، وأبلغ ما ينال به رفع سببه فجاء بما يحصل مقصوده.

وهذا يتبين بالكلام على قوله: ﴿سبحانك﴾ فإن هذا اللفظ يتضمن تعظيم الرب وتنزيهه، والمقام يقتضي تنزيهه عن الظلم

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ١٨٥/٥

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٢٢٠/٥

والعقوبة بغير ذنب، يقول: أنت مقدس ومنزه عن ظلمي وعقوبتي بغير ذنب؛ بل أنا الظالم الذي ظلمت نفسي.
قال تعالى: ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ [النحل: ١١٨] وقال تعالى: ﴿وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم﴾ [هود: ١٠١] وقال: ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين﴾ [الزخرف: ٧٦] وقال آدم – عليه السلام –: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا﴾ [الأعراف: ٢٣] .
وكذلك قال النبي في الحديث الصحيح الذي في مسلم في دعاء الاستفتاح «اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعا فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» .
وفي صحيح البخاري «سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما." (١)
"[فصل الضر لا يكشفه إلا الله]
فصل وأما قول السائل: لم كانت موجبة لكشف الضر؟ فذلك لأن الضر لا يكشفه إلا الله.
كما قال تعالى: ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله﴾ [يونس: ١٠٧] والذنوب سبب للضر، والاستغفار يزيل أسبابه كما قال تعالى: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ [الأنفال: ٣٣] فأخبر أنه سبحانه لا يعذب مستغفرا.
وفي الحديث: «من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب»
وقال تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ [الشورى: ٣٠] .
فقوله: ﴿إني كنت من الظالمين﴾ [الأنبياء: ٨٧] اعتراف بالذنب وهو استغفار، فإن هذا الاعتراف متضمن طلب المغفرة.
وقوله: ﴿لا إله إلا أنت﴾ [الأنبياء: ٨٧] تحقيق لتوحيد الإلهية، فإن الخير لا موجب له إلا مشيئة الله، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، والمعوق له من العبد هو ذنوبه، وما كان خارجا عن قدرة العبد فهو من الله، وإن كانت أفعال العباد بقدر الله تعالى، لكن الله جعل فعل المأمور وترك المحظور سببا للنجاة، والسعادة، فشهادة التوحيد تفتح باب الخير، والاستغفار من الذنوب يغلق باب الشر.
ولهذا ينبغي للعبد أن لا يعلق رجاءه إلا بالله ولا يخاف من الله أن يظلمه؛ فإن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون؛ بل يخاف أن يجزيه بذنوبه، وهذا معنى ما روي عن علي – رضي الله عنه – أنه قال: لا يرجون عبد إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه.
وفي الحديث المرفوع: إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – «أنه دخل على مريض فقال: كيف تجدك؟ فقال أرجو الله وأخاف ذنوبي، فقال: ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا." (٢)

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٢٢٦/٥

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٢٣١/٥

"عنه الحواجب فلا يرى عابده ولا يسمع كلامه ولا يعلم ولا ينفعه ولا يضره بسبب ولا غيره فأي وجه لعبادة من يأفل؟ ، وكلما حقق العبد الإخلاص في قول: لا إله إلا الله خرج من قلبه تأله ما يهواه، وتصرف عنه المعاصي والذنوب. كما قال تعالى: ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾ [يوسف: ٢٤] .

فعلل صرف السوء والفحشاء عنه بأنه من عباد الله المخلصين، وهؤلاء هم الذين قال فيهم: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ [الحجر: ٤٢] وقال الشيطان: ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾ [ص: ٨٢] ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾ [ص: ٨٣] .

وقد ثبت في الصحيح: عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «من قال لا إله إلا الله مخلصا من قلبه حرمه الله على النار» .

فإن الإخلاص ينفي أسباب دخول النار؛ فمن دخل النار من القائلين لا إله إلا الله لم يحقق إخلاصها المحرم له على النار؛ بل كان في قلبه نوع من الشرك الذي أوقعه فيما أدخله النار، والشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل؛ ولهذا كان العبد مأمورا في كل صلاة أن يقول: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة: ٥] .

والشيطان يأمر بالشرك والنفس تطيعه في ذلك، فلا تزال النفس تلتفت إلى غير الله.

إما خوفا منه،

وإما رجاء له، فلا يزال العبد مفتقرا إلى تخليص توحيده من شوائب الشرك.

وفي الحديث الذي رواه ابن أبي عاصم وغيره عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «يقول الشيطان: أهلكت الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك بثثت فيهم الأهواء فهم يذنبون ولا يستغفرون؛ لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا» .

فصاحب الهوى الذي اتبع هواه بغير هدى من الله له نصيب ممن اتخذ إلهه هواه، فصار فيه شرك منعه من الاستغفار وأما من حقق التوحيد والاستغفار فلا بد أن يرفع عنه الشر؛ فلهذا قال ذو النون: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ [الأنبياء: ٨٧] .." (١)

"ورسوله بعد كفرهم هم أفضل ممن ولد على الإسلام من أولادهم وغير أولادهم؛ بل من **عرف الشر وذاقه** ثم عرف الخير وذاقه فقد تكون معرفته بالخير ومحبته له ومعرفته بالشر وبغضه له أكمل ممن لم يعرف الخير والشر ويذقهما كما ذاقهما؛ بل من لم يعرف إلا الخير فقد **يأتيه الشر فلا** يعرف أنه شر، فإما أن يقع فيه، وإما أن لا ينكره كما أنكره الذي عرفه.

ولهذا قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية. وهو كما قال عمر، فإن كمال الإسلام هو بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتمام ذلك بالجهاد في سبيل الله ومن نشأ في المعروف لم يعرف غيره فقد لا يكون عنده من العلم بالمنكر وضرره ما عند من علمه، ولا يكون عنده

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٢٣٥/٥

من الجهاد لأهله ما عند الخبير بهم، ولهذا يوجد الخبير بالشر وأسبابه إذا كان حسن القصد عنده من الاحتراز عنه ومنع أهله والجهاد لهم ما ليس عند غيره.

ولهذا كان الصحابة – رضي الله عنهم – أعظم إيمانا وجهادا ممن بعدهم، لكمال معرفته بالخير والشر، وكمال محبتهم للخير وبغضهم للشر، لما علموه من حسن حال الإسلام والإيمان والعمل الصالح، وقبح حال الكفر والمعاصي، ولهذا يوجد من ذاق الفقر والمرض والخوف أحرص على الغنى والصحة والأمن ممن لم يذق ذلك. ولهذا يقال: والضد يظهر حسنه الضد.

ويقال: وبضدها تتبين الأشياء.

وكان عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يقول: لست بخب ولا يخدعني الخب.

فالقلب السليم المحمود هو الذي يريد الخير لا الشر، وكمال ذلك بأن يعرف الخير والشر، فأما من لا **يعرف الشر فذاك** نقص فيه لا يمدح به.

وليس المراد أن كل من ذاق طعم الكفر والمعاصي يكون أعلم بذلك وأكره له ممن لم يذقه مطلقا؛ فإن هذا ليس بمطرد، بل قد يكون الطبيب أعلم بالأمراض من المرضى، والأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – أطباء الأديان فهم أعلم الناس بما يصلح القلوب ويفسدها، وإن كان أحدهم لم يذق **من الشر ما** ذاقه الناس.." (١)

"ولكن المراد أن من الناس من يحصل له **بذوقه الشر من** المعرفة به، والنفور عنه، والمحبة للخير إذا ذاقه ما لا يحصل لبعض الناس، مثل من كان مشركا أو يهوديا أو نصرانيا، وقد عرف ما في الكفر من الشبهات والأقوال الفاسدة والظلمة والشر، ثم شرح الله صدره للإسلام، وعرفه محاسن الإسلام، فإنه قد يكون أرغب فيه، وأكره للكفر من بعض من لم يعرف حقيقة الكفر والإسلام؛ بل هو معرض عن بعض حقيقة هذا وحقيقة هذا، أو مقلد في مدح هذا وذم هذا. ومثال ذلك من ذاق طعم الجوع ثم ذاق طعم الشبع بعده؛ أو ذاق المرض ثم ذاق طعم العافية بعده، أو ذاق الخوف ثم ذاق الأمن بعده، فإن محبة هذا ورغبته في العافية والأمن والشبع ونفوره عن الجوع والخوف والمرض أعظم ممن لم يبتل بذلك ولم يعرف حقيقته.

وكذلك من دخل مع أهل البدع والفجور، ثم بين الله له الحق وتاب عليه توبة نصوحا، ورزقه الجهاد في سبيل الله، فقد يكون بيانه لحالهم، وهجره لمساويهم، وجهاده لهم أعظم من غيره، قال نعيم بن حماد الخزاعي – وكان شديدا على الجهمية – أنا شديد عليهم؛ لأني كنت معهم. وقد قال الله تعالى: ﴿للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾ [النحل: ١١٠] نزلت هذه الآية في طائفة من الصحابة كان المشركون فتنوهم عن دينهم ثم تاب الله عليهم، فهاجروا إلى الله ورسوله؛ وجاهدوا وصبروا.

وكان عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد – رضي الله عنهما – من أشد الناس على الإسلام فلما أسلما تقدما على من سبقهما إلى الإسلام؛ وكان [بعض من سبقهما] دونهما في الإيمان والعمل الصالح بما كان عندهما من كمال الجهاد

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٥/٢٦٤

للكفار والنصر لله ورسوله، وكان عمر لكونه أكمل إيمانا وإخلاصا وصدقا ومعرفة وفراسة ونورا أبعد عن هوى النفس وأعلى همة في إقامة دين الله، مقدما على سائر المسلمين، غير أبي بكر – رضي الله عنهم أجمعين –.

وهذا وغيره مما يبين أن الاعتبار بكمال النهاية لا بنقص البداية.." (١)

"مجردة. وقد ثبت في الصحيحين: عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «ما من داع يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم، إلا كان بين إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخر له من الجزاء مثلها؛ وإما أن يصرف عنه **من الشر مثلها** قالوا: يا رسول الله، إذا نكثر قال: الله أكثر» فمثل هذا الدعاء قد تحصل معه المغفرة وإذا لم تحصل، فلا بد أن يحصل معه صرف شر آخر أو حصول خير آخر، فهو نافع كما ينفع كل دعاء.

وقول من قال من العلماء: الاستغفار مع الإصرار توبة الكذابين، فهذا إذا كان المستغفر يقوله على وجه التوبة أو يدعي أن استغفاره توبة، وأنه تائب بهذا الاستغفار فلا ريب أنه مع الإصرار لا يكون تائبا، فإن التوبة والإصرار ضدان: الإصرار يضاد التوبة، لكن لا يضاد الاستغفار بدون التوبة.

وقول القائل: هل الاعتراف بالذنب المعين يوجب دفع ما حصل بذنوب متعددة أم لا بد من استحضار جميع الذنوب؟ فجواب هذا مبني على أصول: أحدهما: أن التوبة تصح من ذنب مع الإصرار على ذنب آخر إذا كان المقتضي للتوبة من أحدهما أقوى من المقتضي للتوبة من الآخر، أو كان المانع من أحدهما أشد، وهذا هو القول المعروف عند السلف والخلف.

وذهب طائفة من أهل الكلام كأبي هاشم إلى أن التوبة لا تصح من قبيح مع الإصرار على الآخر، قالوا: لأن الباعث على التوبة إن لم يكن من خشية الله لم يكن توبة صحيحة. والخشية مانعة من جميع الذنوب لا من بعضها، وحكى القاضي أبو يعلى، وابن عقيل هذا رواية عن أحمد؛ لأن المروذي نقل عنه أنه سئل عمن تاب من الفاحشة وقال: لو مرضت لم أعد لكن لا يدع النظر، فقال أحمد: أي توبة هذه؟ ، قال «جرير بن عبد الله سألت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن نظرة الفجأة فقال: اصرف بصرك» .

والمعروف عن أحمد وسائر الأئمة هو القول بصحة التوبة، وأحمد في هذه." (٢)

"فينبغي أن يفرق بين حال الضرورة وعدمها كما قلنا في الكفار

وقال أبو العباس: في موضع ويتوجه أن تقبل شهادة المعروفين بالصدق وإن لم يكونوا ملتزمين للحدود عند الضرورة مثل الحبس، وحوادث البدو، وأهل القرية الذين لا يوجد فيهم عدل. وله أصول منها: قبول شهادة أهل الذمة في الوصية وشهادة النساء فيما لا يطلع عليه الرجل وشهادة الصبيان فيما لا يطلع عليه الرجال ويظهر ذلك بالمحتضر في السفر إذا حضره اثنان كافران واثنان مسلمان يصدقان وليسا بملازمين للحدود أو اثنان مبتدعان فهذان خير من الكافرين والشروط

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٥/٢٦٥

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٥/٢٧٦

التي في القرآن إنما هي في استشهاد التحمل لا الأداء وينبغي أن نقول في الشهود ما نقول في المحدثين وهو أنه من الشهود من تقبل شهادته في نوع دون نوع أو شخص دون شخص كما أن المحدثين كذلك.
ونبأ الفاسق ليس بمردود بل هو موجب للتبين عند خبر الفاسق الواحد ولم يؤمر به عند خبر الفاسقين وذلك أن خبر الاثنين يوجب من الاعتقاد ما لا يوجبه خبر الواحد. أما إذا علم أنهما لم يتواطآ فهذا قد يحصل العلم وترد الشهادة بالكذبة الواحدة وإن لم نقل هي كبيرة وهو رواية عن أحمد ومن شهد على إقرار شرعية قدح ذلك في عدالته ولا يستريب أحمد فيمن صلى محدثا أو إلى غير القبلة أو بعد الوقت أو بلا قراءة أنه كبيرة.

ويحرم اللعب بالشطرنج وهو قول أحمد وغيره من العلماء كما لو كان بعوض أو تضمن ترك واجب أو فعل محرم إجماعا وهو شر من النرد وقاله مالك. ومن ترك الجماعة فليس عدلا ولو قلنا هي سنة.
وتحرم محاكاة الناس المضحكة ويعزر هو ومن يأمر به لأنه أذى ومن دخل قاعات العلاج فتح على نفسه **باب الشر وصار** من أهل التهم عند الناس لأنه اشتهر عمن اعتاد دخولها وقوعه في مقدمات الجماع أو فيه، والعشرة المحرمة والنفقة في غير الطاعة وعلى كافر والأمرد منع منها ومن عشرة أهلها ولو بمجرد خوف وقوع الصغائر فقد بلغ عمر أن رجلا يجتمع إليه الأحداث فنهى عن الاجتماع به بمجرد الريبة.." (١)
"والثاني: النصيحة لله سبحانه ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وإبانة ما أنزل الله سبحانه من البينات والهدى.
ولا منافاة أن الله سبحانه بين القسمين لمن شرح الله صدره، وإنما يضيق عن ذلك أحد رجلين: رجل جاهل بمقاديرهم ومعاذيرهم، أو رجل جاهل بالشريعة وأصول الأحكام.
وهذا المقصود يتلخص بوجوه: أحدها: أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وآثار حسنة، وهو من الإسلام وأهله بمكانة عليا قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور، بل مأجور لا يجوز أن يتبع فيها مع بقاء مكانته ومنزلته في قلوب المؤمنين، واعتبر ذلك بمناظرة الإمام عبد الله بن المبارك قال: كنا بالكوفة فناظروني في ذلك يعني النبيذ المختلف فيه، فقلت لهم: تعالوا فليحتج المحتج منكم عن من يشاء من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – بالرخصة، فإن لم يتبين الرد عليه عن ذلك الرجل بشدة صحت عنه، فاحتجوا فما جاءوا عن أحد برخصة إلا جئناهم بشدة، فلما لم يبق في يد أحد منهم إلا عبد الله بن مسعود وليس احتجاجهم عنه في شدة النبيذ بشيء يصح عنه إنما يصح عنه أنه لم ينبذ له في الجر إلا حذرا، قال ابن المبارك: فقلت للمحتج عنه في الرخصة: يا أحمق عد إن ابن مسعود لو كان هاهنا جالسا فقال هو لك حلال وما وصفنا عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه في الشدة كان ينبغي لك أن تحذر، أو تجر، أو تخشى، فقال قائلهم: يا أبا عبد الرحمن فالنخعي والشعبي وسمى عدة معهما كانوا يشربون الحرام فقلت لهم: عدوا عند الاحتجاج تسمية الرجال قرب رجل في الإسلام مناقبه كذا وكذا وعسى أن يكون منه زلة أفللأحد

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٥/٥٧٥

أن يحتج بها فإن أبيتم فما قولكم في عطاء وطاوس، وجابر بن زيد وسعيد بن جبير، وعكرمة قالوا: كانوا خيارا، قلت: فما قولكم في الدرهم بالدرهمين يدا بيد فقالوا: حرام، فقال ابن المبارك: إن هؤلاء رأوه حلالا فماتوا وهم يأكلون الحرام.؟ ، فبقوا وانقطعت حجتهم، قال ابن المبارك: ولقد أخبرني المعتمر بن سليمان قال: رآني أبي وأنا أنشد الشعر فقال لا يا بني لا تنشد الشعر فقلت له يا أبت كان الحسن ينشد وكان ابن سيرين ينشد فقال لي: أي بني إن أخذت بشر ما في الحسن وبشر ما في ابن سيرين اجتمع **فيك الشر كله**، وهذا الذي ذكره ابن المبارك متفق عليه بين." (١)

"العلماء، فإنه ما من أحد من أعيان الأمة من السابقين الأولين ومن بعدهم إلا لهم أقوال وأفعال خفي عليهم فيها السنة وهذا باب واسع لا يحصى مع أن ذلك لا يغض من أقدارهم ولا يسوغ اتباعهم فيها، كما قال سبحانه: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ [النساء: ٥٩] .

قال ابن مجاهد والحكم بن عتيبة ومالك وغيرهم: ليس أحد من خلق الله إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي - صلى الله عليه وسلم - وقال سليمان التيمي إن أخذت برخصة كل عالم اجتمع **فيك الشر كله** قال ابن عبد البر هذا إجماع لا أعلم فيه خلافا وقد روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه في هذا المعنى ما ينبغي تأمله فروى كثير بن عبد الله بن عمر، وابن عوف المزني، عن أبيه، عن جده قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «إني لأخاف على أمتي من بعدي من أعمال ثلاثة قالوا: وما هي يا رسول الله؟ قال: أخاف عليهم من زلة العالم، ومن حكم جائر ومن هوى متبع» .

وقال زياد بن حدير: قال عمر: ثلاث يهدمن الدين زلة العالم وجدال المنافق بالقرآن وأئمة مضلون.

وقال الحسن: قال أبو الدرداء: إن مما أخشى عليكم زلة العالم وجدال المنافق بالقرآن، والقرآن حق وعلى القرآن منار كأعلام الطريق، وكان معاذ بن جبل يقول في خطبته كل يوم - قل ما يخطيه أن يقول ذلك - الله حكم قسط هلك المرتابون، إن وراءكم فتنا يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يقرأه المؤمن والمنافق والمرأة والصبي الأسود والأحمر فيوشك أحدهم أن يقول قد قرأت القرآن فما أظن أن يتبعوني حتى أبتدع لهم غيره، قال: فإياكم وما ابتدع فإن كل بدعة ضلالة، وإياكم وزيغة الحكيم، فإن الشيطان قد يتكلم على لسان الحكيم بكلمة الضلالة، وإن المنافق قد يقول كلمة الحق فتلقوا الحق عمن قد جاء به فإن على الحق نورا، قالوا: وكيف زيغة الحكيم؟ قال: هي كلمة تروعكم وتنكرونها وتقولون ما هذه فاحذروا زيغته ولا يصدنكم عنه فإنه يوشك أن يفيء وأن يراجع الحق، وإن العلم والإيمان مكانهما إلى." (٢)

"ووقوعه جزاء له كما في قوله: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ [الشورى: ٤٠] سمى الثاني سيئة وهو بحق لمقابلته للسيئة، وقال: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ [النحل: ١٢٦] سمى الأول عقوبة، وإن لم يكن عن الأولين عقوبة لمقابلته للفعل الثاني وجعلوا هذا نوعا من المجاز - وقال آخرون وهو أصوب بل تسميته مكرا وكيدا واستهزاء

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٦/٩٣

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٦/٩٤

وسيئة وعقوبة على بابه فإن المكر إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفي وكذلك الكيد، فإن كان ذلك الغير يستحق **ذلك الشر كان** مكرا حسنا، وإلا كان مكرا سيئا. بل إن كان **ذلك الشر الواصل** حقا لمظلوم كان ذلك المكر واجبا في الشرع على الخلق وواجبا من الله بحكم الوعد إن لم يعف المستحق والله سبحانه إنما يمكر ويستهزئ بمن يستوجب ذلك فيأخذه من حيث لا يحتسب كما فعل ذلك الظالم بالمؤمنين. والسيئة ما تسوء صاحبها، وإن كان مستحقا لها والعقوبة ما عوقب به المرء من شر.

وإذا تبين ذلك: في يوسف الصديق – عليه السلام – كان قد كيد غير مرة. أولها:

أن إخوته كادوا له كيدا حيث احتالوا في التفريق بينه وبين أبيه كما دل عليه قوله: ﴿لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا﴾ [يوسف: ٥] .

ثم إن امرأة العزيز كادت له بأن أظهرت أنه راودها عن نفسها وكانت هي المراودة كما دل عليه قوله: ﴿فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم﴾ [يوسف: ٢٨] .

ثم كاد له النسوة حتى استجار بالله في قوله: ﴿رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين – فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم﴾ [يوسف: ٣٣ – ٣٤] حتى إنه – عليه السلام – قال لما جاءه رسول الملك يستخرجه من السجن: ﴿قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم﴾ [يوسف: ٥٠] .." [(١)]

"رسوله والآخر ليتزوج امرأة لكانت تلك الأعمال مفترقة عند الله وفي الحكم الذي بين العبد وبين الله وكذلك فيما بين العباد إذا ظهر لهم المقصد.

ومن تأمل الشريعة علم بالاضطرار صحة هذا فالأمر المحتال به صورته صورة الحلال، ولكن ليس حقيقته ومقصوده ذلك، فيجب أن لا يكون بمنزلته فلا يكون حلالا فلا يترتب عليه أحكام الحلال فيقع باطلا من هذا الوجه، والأمر المحتال عليه حقيقته حقيقة الأمر الحرام لكن ليست صورته صورته فيجب أن يشارك الحرام لموافقته له في الحقيقة وإن خالفه في الصورة – والله أعلم.

[الوجه الثالث والعشرون إذا تأملت عامة الحيل وجدتها رفعا للتحريم]

الوجه الثالث والعشرون: إنك إذا تأملت عامة الحيل وجدتها رفعا للتحريم أو الوجوب مع قيام المعنى المقتضي للوجوب أو التحريم فتصير حراما من وجهين. من جهة أن فيها فعل المحرم وترك الواجب.

ومن جهة أنها مع ذلك تدليس وخداع وخلابة ومكر ونفاق واعتقاد فاسد وهذا الوجه أعظمها إثما فإن الأول بمنزلة سائر العصاة وأما الثاني فبمنزلة البدع والنفاق. ولهذا كان التغليظ على من يأمر بها ويدل عليها متبوعا في ذلك أعظم من التغليظ على من يعمل بها مقلدا، فأما إذا عمل بها معتقدا جوازها فهذا هو النهاية **في الشر وهذا** معنى قول أيوب لو

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٦/١٣٠

أتوا الأمر على وجهه كان أهون علي وإن كان المجتهد معذورا إذا استفرغ وسعه في طلب الحق فذاك من باب المانع للحوق الذم وإلا فالمقتضي للذم قائم في مثل هذا الموضع، إذا خفي على بعض الناس ما في الفعل من القبح كان ذلك مؤكدا لإيضاح قبحه وهذا الوجه مما اعتمد عليه الإمام أحمد – رضي الله عنه – قال أبو طالب سمعت أبا عبد الله قال له رجل في كتاب الحيل إذا اشترى الرجل أمة فأراد أن يقع بها يعتقها ثم يتزوجها فقال أبو عبد الله: بلغني أن المهدي اشترى جارية فأعجبته فقيل له أعتقها وتزوجها فقال سبحان اللہ ما أعجب هذا أبطلوا كتاب الله والسنة جعل الله على الحرائر العدة من جهة الحمل فليس من امرأة تطلق أو يموت زوجها إلا تعتد من جهة الحمل ففرج يوطأ يشتريه ثم يعتقه على." (١)

"ومما يقضي منه العجب أن الذين ينتسبون إلى القياس واستنباط معاني الأحكام والفقه من أهل الحيل هم أبعد الناس عن رعاية مقصود الشارع وعن معرفة العلل والمعاني وعن الفقه في الدين، فإنك تجدهم يقطعون عن الإلحاق بالأصل ما يعلم بالقطع أن معنى الأصل موجود فيه، ويهدرون اعتبار تلك المعاني، ثم يربطون الأحكام بمعاني لم يومئ إليها شرع ولم يستحسنها عقل. ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾ [النور: ٤٠] وإنما سبب نسبة بعض الناس لهم إلى الفقه والقياس ما انفردوا به من الفقه وليس له أصل في كتاب ولا سنة، وإنما هو رأي محض صدر عن فطنة وذكاء كفطنة أهل الدنيا في تحصيل أغراضهم فتسموا بأشرف صفاتهم وهو الفهم الذي هو مشترك في الأصل بين فهم طرق الخير وفهم طرق الشر إذ أحسن ما فيهم من هذا الوجه فهمهم لطرق تلك الأغراض والتوصل إليها بالرأي.
فأما أهل العلم بالله وبأمره فعلمهم متلقى عن النبوة إما نصا أو استنباطا فلا يحتاجون إلى أن يضيفوه إلى أنفسهم وإنما لهم فيه الاتباع فمن فهم حكمة الشارع منهم كان هو الفقيه حقا ومن اكتفى بالاتباع لم يضره أن لا يتكلف علم ما لا يلزمه إذا كان على بصيرة من أمره مع أنه هو الفقه الحقيقي والرأي السديد والقياس المستقيم – والله سبحانه أعلم.

[الوجه الرابع والعشرون أن الله ورسوله سد الذرائع المفضية إلى المحارم]
الوجه الرابع والعشرون: أن الله سبحانه ورسوله سد الذرائع المفضية إلى المحارم بأن حرمها ونهى عنها.
والذريعة ما كان وسيلة وطريقا إلى الشيء، لكن صارت في عرف الفقهاء عبارة عما أفضت إلى فعل محرم، ولو تجردت عن ذلك الإفضاء لم يكن فيها مفسدة، ولهذا قيل الذريعة الفعل الذي ظاهره أنه مباح وهو وسيلة إلى فعل المحرم، أما إذا أفضت إلى فساد ليس هو فعلا كإفضاء شرب الخمر إلى السكر وإفضاء الزنا إلى اختلاط المياه أو كان الشيء نفسه فسادا كالقتل والظلم فهذا ليس من هذا الباب، فإنا." (٢)

"القصد وعدمه، ولئلا يفعلها الإنسان مع قصد خفي يخفى من نفسه على نفسه.
وللشريعة أسرار في سد الفساد وحسم مادة الشر لعلم الشارع ما جلبت عليه النفوس وبما يخفى على الناس من خفي

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٦/١٦٨

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٦/١٧٢

هداها الذي لا يزال يسري فيها حتى يقودها إلى الهلكة، فمن تحذلق على الشارع واعتقد في بعض المحرمات أنه إنما حرم لعلة كذا وتلك العلة مقصودة فيه فاستباحه بهذا التأويل فهو ظلوم لنفسه جهول بأمر ربه وهو إن نجا من الكفر لم ينج غالبا من بدعة أو فسق أو قلة فقه في الدين وعدم بصيرة.

أما شواهد هذه القاعدة فأكثر من أن تحصر، فنذكر منها ما حضر. فالأول: قوله سبحانه وتعالى: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم﴾ [الأنعام: ١٠٨] حرم سب الآلهة مع أنه عبادة لكونه ذريعة إلى سبهم لله سبحانه وتعالى؛ لأن مصلحة تركهم سب الله سبحانه راجحة على مصلحة سبنا لآلهتهم. الثاني: ما روى حميد بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «من الكبائر شتم الرجل والديه، قالوا: يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه» متفق عليه ولفظ البخاري: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قالوا يا رسول الله كيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه» فقد جعل النبي – صلى الله عليه وسلم – الرجل سابا لاعنا لأبويه إذا سب سبا يجزيه الناس عليه بالسب لهما وإن لم يقصده، وبين هذا والذي قبله فرق؛ لأن سب أبا الناس هنا حرام لكن قد جعله النبي – صلى الله عليه وسلم – من أكبر الكبائر لكونه شتما لوالديه لما فيه من العقوق وإن كان فيه إثم من جهة إيذاء غيره.

الثالث: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يكف عن قتل المنافقين مع كونه مصلحة لئلا يكون ذريعة إلى قول الناس أن محمدا – صلى الله علي‍ه وسلم – يقتل أصحابه؛ لأن هذا القول يوجب النفور عن الإسلام ممن دخل فيه وممن لم يدخل فيه وهذا النفور حرام.." (١)

"وأحب لمن صلى إلى عمود أو عود ونحوه أن يجعله على أحد حاجبيه ولا يصمد إليه صمدا قطعا لذريعة التشبيه بالسجود لغير الله سبحانه. الثاني والعشرون: أنه سبحانه منع المسلمين من أن يقولوا للنبي – صلى الله عليه وسلم – راعنا مع قصدهم الصالح؛ لئلا تتخذه اليهود ذريعة إلى سبه – صلى الله عليه وسلم – ولئلا يشتبه بهم، ولئلا يخاطب بلفظ يحتمل معنى فاسدا. الثالث والعشرون: أنه أوجب الشفعة لما فيه من رفع الشركة وما ذاك إلا لما يفضي إليه من المعاصي المعلقة بالشركة والقسمة سدا لهذه المفسدة بحسب الإمكان.

الرابع والعشرون: أن الله سبحانه أمر رسوله – صلى الله عليه وسلم – أن يحكم بالظاهر مع إمكان أن يوحي إليه الباطن، وأمره أن يسوي الدعاوى بين العدل والفاسق وأن لا يقبل شهادة ظنين في قرابة وإن وثق بتقواه، حتى لم يجز للحاكم أن يحكم بعلمه عند أكثر الفقهاء لينضبط طريق الحكم، فإن التمييز بين الخصوم والشهود يدخل فيه من الجهل والظلم ما لا يزول إلا بحسم هذه المادة وإن أفضت في آحاد الصور إلى الحكم لغير الحق فإن فساد ذلك قليل إذا لم يتعمد في جنب فساد الحكم بغير طريق مضبوط من قرائن أو فراسة أو صلاح خصم أو غير ذلك وإن كان قد يقع بهذا صلاح قليل مغمور بفساد كثير. الخامس والعشرون: أن الله سبحانه منع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما كان بمكة

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ١٧٤/٦

من الجهر بالقرآن حيث كان المشركون يسمعونه فيسبون القرآن ومن أنزله ومن جاء به. السادس والعشرون: أن الله سبحانه أوجب إقامة الحدود سدا للتذرع إلى المعاصي إذا لم يكن عليها زاجر وإن كانت العقوبات من جنس الشر، ولهذا لم تشرع الحدود إلا في معصية تتقاضاها الطباع كالزنا والشرب والسرقة والقذف دون أكل الميتة والرمي بالكفر ونحو ذلك فإنه اكتفى فيه بالتعزير، ثم إنه أوجب على السلطان إقامة الحدود إذا رفعت إليه الجريمة وإن تاب العاصي عند ذلك وإن غلب على ظنه أنه لا يعود إليها لئلا يفضي ترك الحد بهذا السبب إلى تعطيل الحدود، مع العلم بأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.." (١)

"قلت: لأن ما حرمه الله تحريما مطلقا لا يباح إلا إذا وجد سبب حله، وجهل المكلف لا يكون سببا للحل بل غايته أنه سبب للعذر، وأما ما أحله الله حلا مطلقا فقد تعرض له أسباب تحريمه، وجهل المكلف قد يكون سببا للتحريم فإنه مناسب له من جهة أن عدم العلم بانتقاء الضرر الذي انعقد بسببه أو خيف وجوده مناسب للمنع من الإقدام شرعا وعقلا وعرفا، فإن المريض يمنع ما يخاف ضرره.

ومن جهة أن الجهل وصف نقص فترتب التحريم عليه ملائم، أما ترتب الحل عليه فغير ملائم ألا ترى أن المعصية تكون سببا لشرع التحريم كما دل عليه قوله ﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم﴾ [النساء: ١٦٠] ويكون سببا للابتلاء بوجود المحرم والحاجة إليه كما دل عليه قصة أصحاب السبت، ولا تكون المعصية سببا للحل مع أني قد بينت أني إذا قلت حرمنا عليك فمعناه حرم عليك المخاطرة والإقدام بلا علم، لا أن نفس العين محرمة في الحقيقة.

كما لو اشتبه على المريض الداء بالدواء فإن أهله يمنعونه منهما لا لأنهما داءان مضران بل لما في المخاطرة من مفسدة مواقعة الضرر، وهذا الوصف يشمل العينين جميعا بحيث لو خاطر وتناول إحداهما فكانت هي الحرمة لكان عليه عقوبة المخاطرة وعقوبة آكل الميتة ولو خاطر فصادفت مخاطرته المباحة لما كان عليه إلا عقوبة المخاطرة فقط. لكن قد يقال إذا صادف الميتة فإن حرمة المخاطرة خشية أن يقع في الميتة فإذا صادف الميتة فهو المحذور فلا يبقى للمخاطرة حكم إذ لا حكم للخوف بعد حصول المخوف.

ويمكن أن يقال بل هما ذنبان لهما مفسدتان فإن المخاطرة تفتح جنسين **من الشر لا** تختص هذه القضية وبالجملة فإنما يحسن إطلاق الإنكار بأن المحرم أحدهما ممن يقول لكل مجتهد نصيب بناء على ما قدمته من الشبهة الضعيفة التي تنحل بفهم ما ذكرناه وغيره من جهة أنه ليس يعتقد في الباطن حكما غير الظاهر، ولكن من وافقه في هذا الإنكار من الموحدين للصواب من أصحابنا وغيرهم لم يهتدوا لباطن مأخذه الذي يبطل حقيقة قولهم.

وإنما أنكروا كون المحرمة واحدة باطنا وظاهرا. فهذا قريب؛ لأنها محرمة من وجهين ولا يتسع هذا المقام لأكثر من هذا وتلخيص الفرق بين من يقول إن التحريم ليس ثابتا لا باطنا ولا ظاهرا وبين من يثبته باطنا وأن أولئك الأقلين يقولون: البلاغ شرط في التحريم الذي هو سبب الذم والعقاب وغيرهما من الأمور. فعدمه ينفي." (٢)

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ١٧٩/٦

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٢٠٦/٦

"الوجه الرابع: أن التحليل المشروط في العقد لا يتم بين المسلمين لا سيما على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه، فإنه حينئذ يشهد به الشهود فيظهر للناس فينكرون ذلك ويحولون بين الرجل وبين هذا النكاح، كما لو أراد أن يتزوج بامرأة يقول هي أخته أو بنته أو ربيبته فإنه متى أراد أن ينكح نكاحا فاسدا وأظهر فساده لم يتم له ذلك، فلما لعن المحلل زجرا عن ذلك علم أنه من الأمور التي تخفى على العامة كالسرقة والزنا وغير ذلك.

يبين ذلك: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – لم ينقل عنه أنه لعن من نكح نكاحا محرما إلا المحلل والمحلل له، مع أن سائر الأنكحة المحرمة مثل نكاح ذوات المحارم ونحوهن مثل نكاح المحلل وأغلظ، وذلك والله أعلم؛ لأن القصد بإظهار اللعن بيان العقوبة لتنزجر النفوس بذلك، وسائر الأنكحة المحرمة لا يتمكن مريدها من فعلها؛ لأن شاهدي العقد والولي وغيرهم يطلعون على السبب المحرم، فلا يمكنونه بخلاف المحلل فإن السبب المحرم في حقه باطن، ثم تلك المناكح قد ظهر تحريمها فلا يشتبه حالها، بخلاف نكاح المحلل فإنه قد يشتبه حاله على كثير من الناس؛ لأن صورته صورة النكاح الصحيح، وهذا يبين أنه إنما قصد باللعنة من أسر التحليل، ثم يكون هذا تنبيها على من أظهره.

فإن قيل: فقد لعن آكل الربا وموكله ولعن بائع الخمر ومبتاعها. قيل: البيع لا يفتقر إلى إشهاد وإعلان فتقع هذه العقود من غير ظهور بين المسلمين، كما تقع الفاحشة والسرقة. ولهذا لعن الشاهدين إذا علما أنه ربا، فإنهما قد يستشهدان على دين مؤجل ولا يشعران أنه ربا، ولا يتم مقصود المربي غالبا إلا بالإشهاد على الدين، ولهذا لم يذكر في بيع الخمر الشاهدين؛ لأن بيعها لا يكون غالبا إلى أجل.

يحقق هذا أنه لم يلعن من عقد بيعا محرما إلا في الخمر والربا؛ لأن شاهدي النوعين هما اللذان يقع فيهما الاحتيال والتأويل بأن يبيع الرجل عصيره لمن يتخذه خمرا، متأولا أني لم أبع الخمر، وبأن يربي بصورة البيع متأولا أني بائع لا مرب، وهما اللذان **يقع الشر فيهما** أكثر من غيرهما، فظهر أنه – صلى الله عليه وسلم – إنما لعن العقود ثلاثة." (١)

"كانت العادة أن المستعير له إنما هو المطلق لم يلزم من ذلك أن تكون المرأة قد شارطته، فإن المرأة مشبهة بالشاة والشاة لا تستعير، وإنما يستعار لها، ولهذا لعن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المحلل والمحلل له، وهما المستعير والمستعار، فعلم أن هذه الاستعارة إنما صدرت منهما والله أعلم.

[المسلك الثاني سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المحلل فقال لا إلا نكاح رغبة]

المسلك الثاني: ما روى أبو إسحاق الجوزجاني ثنا ابن مريم، أنبأنا إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة، عن داود بن حصين، عن عكرمة عن ابن عباس، قال: «سئل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن المحلل، فقال: لا إلا نكاح رغبة لا نكاح دلسة ولا استهزاء بكتاب الله ثم يذوق العسيلة» ورواه ابن شاهين في غرائب السنن، والدلسة من التدليس، وهو الكتمان والتغطية للعيوب، والمدالسة المخادعة، يقال فلان لا يدالسك، أي لا يخادعك، ولا يخفي عليك الشيء فكأنه يأتيك في الظلام، والدلس بالتحريك الظلمة، وذلك لا من قصد التحليل فقد دلس مقصوده الذي يبطل العقد،

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٦/٢٣٦

وكتم النية الردية بمنزلة المخادع المدالس الذي يكتم الشر ويظهر الخير.

وإسناد هذا الحديث جيد إلا إبراهيم بن إسماعيل فإنه قد اختلف فيه فقال يحيى بن معين في رواية الدارمي هو صالح، وقال الإمام أحمد في رواية أبي طالب هو ثقة، من أهل الذمة، وقال محمد بن سعد كان مصليا عابدا صام ستين سنة، وقال ابن معين في رواية الدوري ليس بشيء، وقال البخاري منكر الحديث، وقال النسائي ضعيف، وقال أبو أحمد بن عدي هو صالح في باب الرواية، ونكتب حديثه على ضعفه، وهذا الذي قاله ابن عدي عدل من القول فإن في الرجل ضعفا لا محالة، وضعفه إنما هو من جهة الحفظ وعدم الإتقان لا من جهة التهمة، وله عدة أحاديث بهذا الإسناد، روى منها الترمذي وابن ماجه، فمثل هذا يكتب حديثه للاعتبار به، وقد ج اء حديث مرسل يوافق هذا.

قال أبو بكر بن أبي شيبة: ثنا حميد بن عبد الرحمن عن موسى بن أبي الفرات عن عمرو بن دينار أنه سئل عن رجل طلق امرأته؛ فجاء رجل من أهل القرية بغير." (١)

"ونحو ذلك من النصوص، ولزمكم أن كل من لم يؤمن بالله فإنه لم يكن قادرا على الإيمان، وكل من ترك طاعة الله فإنه لم يكن مستطيعا لها فإن ضم ضام هذا إلى قوله تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ [التغابن: ١٦] ، وقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم» تركب من هذين أن كل كافر وفاجر، فإنه قد اتقى الله ما استطاع، وأنه قد أتى فيما أمر به بما استطاع إذ لم يستطع غير ما فعل، وأنتم لا تلتزمون ذلك فهو لازم قولكم إذا لم تجعلوا الاستطاعة نوعين.

وقول القدرية الذين يجعلون استطاعة العبد صالحة للنوعين ولا يثبتون الاستطاعة التي هي مناط الأمر والنهي أقرب إلى الكتاب والسنة والشريعة من قولكم أنه لا استطاعة إلا للفاعل وإن لم يفعل فعلا، فلا استطاعة له عليه وكل من تدبر القولين بغير هوى علم أن كلا منهما وإن كان فيه من خلاف السنة ما فيه، فقولكم أكثر خلافا للسنة.

وكذلك المعتزلة قالوا: إن الله لم يخلق أفعال العباد بل العبد هو الذي يحدث أفعاله فضلوا بقولهم إن الله لم يخلق أفعال العباد، وقلتم أنتم إن العبد لا يفعل أفعاله بل هي فعل الله تعالى، ولكن هي كسب للعبد، ولم تفرقوا بين الكسب والفعل بفرق معقول وادعيتم العلم الضروري بأن كون العبد فاعلا بعد أن لم يكن فاعلا أمر محدث ممكن، فلا بد له من محدث واجب، وهذا حق أصبتم فيه دون المعتزلة. لكن من المعتزلة من ادعى العلم الضروري بأن العبد يحدث أفعاله وهذا أيضا حق أصابوا فيه دونكم، ولهذا كان أهل السنة والجماعة على أن العبد فاعل لأفعاله حقيقة والله خلق الفاعل فاعلا كما قال الله تعالى: ﴿إن الإنسان خلق هلوعا﴾ [المعارج: ١٩] ﴿إذا مسه الشر جزوعا﴾ [المعارج: ٢٠] ﴿وإذا مسه الخير منوعا﴾ [المعارج: ٢١] وليس كونه قادرا مريدا فاعلا بألزم له من كونه طويلا قصيرا والله خلقه على هذه الصفة،

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٢٤٠/٦

فليس م ا ذكره الله في كتابه من أن العباد يفعلون ويصنعون بمناف أن يكون الله خلقهم على هذه الصفة. وكون العبد فاعلا لما جعل الله فيه من القدرة هو كسائر ما خلقه الله بقوة فيه." (١)

"المتقدمين، وجحدوا عذاب القبر وأن الكفار في قبورهم يعذبون، وقد أجمع على ذلك الصحابة والتابعون، ودانوا بخلق القرآن نظيرا لقول إخوانهم من المشركين الذين قالوا: ﴿إن هذا إلا قول البشر﴾ [المدثر: ٢٥] ، فزعموا أن القرآن كقول البشر؛ وأثبتوا أن العباد **يخلقون الشر نظيرا** لقول المجوس الذين يثبتون خالقين: أحدهما يخلق الخير، والآخر يخلق الشر.

وزعمت القدرية أن الله يخلق الخير وأن الشيطان يخلق الشر، وزعموا أن الله شاء ما لا يكون خلافا لما أجمع عليه المسلمون من أن ما شاء الله كان وما لا يشاء لا يكون، وردا لقول الله: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾ [الإنسان: ٣٠] ، فأخبر أنا لا نشاء شيئا، إلا وقد شاء أن نشاءه، ولقوله: ﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا﴾ [البقرة: ٢٥٣] ، ولقوله: ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾ [السجدة: ١٣] ، ولقوله تعالى: ﴿فعال لما يريد﴾ [البروج: ١٦] ، ولقوله مخبرا عن شعيب أ نه قال: ﴿وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا﴾ [الأعراف: ٨٩] () .

ولهذا سماهم رسول الله

مجوس هذه الأمة، لأنهم دانوا بديانة المجوس، وضاهوا قولهم، وزعموا أن للخير والشر خالقين كما زعمت المجوس، وأنه يكون **من الشر ما** لا يشاؤه الله كما قالت المجوس ذلك؛ وزعموا أنهم يملكون الضر والنفع لأنفسهم ردا لقول الله: ﴿قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله﴾ [الأعراف: ١٨٨] ، وانحرافا عن القرآن وعما أجمع المسلمون عليه.

وزعموا أنهم ينفردون بالقدرة على أعمالهم دون ربهم، وأثبتوا لأنفسهم غنى عن الله ووصفوا أنفسهم بالقدرة على ما لم يصفوا الله بالقدرة عليه، كما أثبتت المجوس للشيطان من القدرة **على الشر ما** لم يثبتوه لله عز وجل.." (٢)

"

ليس في السنة إفراط ولا تفريط

وتفسير هذا ما ثبت في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت» فالتكلم بالخير خير من السكوت عنه، والصمت **عن الشر خير** من التكلم به، فأما الصمت الدائم فبدعة منهي عنها، وكذلك الامتناع عن أكل الخبز واللحم وشرب الماء، فذلك من البدع المذمومة أيضا، كما ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا قائما في الشمس، فقال: ما هذا؟ فقالوا: أبوإسرائيل نذر أن يقوم في الشمس، ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مروه

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٦٤١/٦

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٦٥٤/٦

فليجلس، وليستظل، وليتكلم، وليتم صومه» .

وثبت في الصحيحين عن أنس أن رجالا سألوا عن عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكأنهم تقالوها.

فقالوا: وأينا مثل." [١]

"٣٨- سؤالهم عن علة السر (١) أوقعت ... أوائلهم (٢) في شبهة الثنوية (٣)

---

(١) في ط وعقود وهـ: الشر.

(٢) في ط وعقود وب وج: رؤوسهم.

(٣) في عقود وب وج: المثنوية، وفي و: وثنية.." [٢]

"٤١- وإن **مبادي الشر في** كل أمة ... ذوي ملة (١) ميمونة نبوية

٤٢- بخوضهموا في ذاكم صار شركهم ... وجاء دروس البينات بفترة (٢)

---

(١١) في أ: أمة، وفي ج:

فإن **مبادي الشر في** كل فرقة ... ذوي ملة مخذولة ثنوية

وفي هـ:. . . . . دوى من رضوخ لاتباع لشبهة

(١٢) في الدرة البهية: وجاء رؤوس البينات بقترة، وكذا في ج ود.." [٣]

"٨١- وقول **حليف الشر** (١) : إني مقدر ... علي كقول الذئب (٢) : هذي طبيعتي

٨٢- وتقديره للفعل يجلب نقمة (٣) ... كتقديره الأشياء (٤) طرا بعلة

---

(١) في عقود: الشعر.

(٢) في ب وعقود: الذيب.

(٣) في الدرة: نعمة.

(٤) في ط وب وج، وهـ: الآثار.." [٤]

"[البقرة: ٤٣، ٨٣، ١١٠، والنساء: ٧٦، ويونس: ٨٧، والحج: ٧٨، والنور: ٥٦، والروم: ٣١، والمجادلة: ١٣، والمزمل: ٣١] .

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ابن تيمية ص/٦١

(٢) القصيدة التائية في القدر ابن تيمية ص/١٣٦

(٣) القصيدة التائية في القدر ابن تيمية ص/١٤٨

(٤) القصيدة التائية في القدر ابن تيمية ص/١٧٨

وقال تعالى: ﴿إن الإنسان خلق هلوعا – إذا **مسه الشر جزوعا** – وإذا مسه الخير منوعا – إلا المصلين﴾ [المعارج: ١٩ – ٢٢] [المعارج] ، وقال تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون – الذين هم في صلاتهم خاشعون – والذين هم عن اللغو معرضون – والذين هم للزكاة فاعلون – والذين هم لفروجهم حافظون – إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين – فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون – والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون – والذين هم على صلواتهم يحافظون﴾ [المؤمنون: ١ – ٩] [المؤمنون] .

وقال تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ [البقرة: ٤٥] [البقرة] ، وقال تعالى: ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا﴾ [مريم: ٥٩] [مريم] ، وقال تعالى : ﴿فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا﴾ [النساء: ١٠٣] [النساء: ١٠٣] ، وقال تعالى: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾ [البقرة: ٢٣٨] [البقرة] ، وسيأتي بيان الدلالة في هذه الآيات.

وقد أخرج البخاري ومسلم في الصحيحين، وأخرج أصحاب السنن – أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه – وأصحاب المسانيد كمسند أحمد وغير ذلك من أصول الإسلام، عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد، فدخل رجل ثم جاء فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم، فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: ارجع فصل فإنك لم تصل، فرجع الرجل فصلى كما كان صلى ثم سلم عليه، فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: وعليك السلام، ثم قال: ارجع فصل فإنك لم تصل، حتى فعل ذلك ثلاث مرات، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق ما أحسن غير هذا، فعلمني، قال: إذا قمت إلى الصلاة." (١)

"فيسمونه رقبة ورأسا ووجها ونحو ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿فتحرير رقبة﴾ [المجادلة: ٣] [المجادلة: ٣] ، ولو جاز وجود الصلاة بدون التسبيح لكان الأمر بالتسبيح لا يصلح أن يكون أمرا بالصلاة، فإن اللفظ حينئذ لا يكون دالا على معناه ولا على ما يستلزم معناه.

وأيضا: فإن الله عز وجل ذم عموم الإنسان واستثنى إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون، [كما] قال تعالى: ﴿إن الإنسان خلق هلوعا – إذا **مسه الشر جزوعا** – وإذا مسه الخير منوعا – إلا المصلين – الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ [المعارج: ١٩ – ٢٣] [المعارج] والسلف من الصحابة ومن بعدهم قد فسروا الدائم على الصلاة بالمحافظ على أوقاتها، وبالدائم على أفعالها بالإقبال عليها، والآية تعم هذا وهذا، فإنه قال: ﴿على صلاتهم دائمون﴾ [المعارج: ٢٣] والدائم على الفعل هو المديم له الذي يفعله دائما، فإذا كان هذا فيما يفعل في الأوقات المتفرقة: هو أن يفعله كل يوم بحيث لا يفعله تارة ويتركه أخرى، وسمي ذلك دواما عليه، فالدوام على الفعل الواحد المتصل أولى أن يكون دواما وأن تتناول الآية ذلك، وذلك يدل على وجوب إدامة أفعالها؛ لأن الله عز وجل ذم عموم الإنسان واستثنى المداوم على هذه الصفة، فتارك إدامة أفعالها يكون مذموما من الشارع، والشارع لا يذم إلا على ترك واجب أو فعل محرم.

---

(١) القواعد النورانية ابن تيمية ص/٤٩

وأيضا: فإنه سبحانه وتعالى قال: ﴿إلا المصلين – الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ [المعارج: ٢٢ – ٢٣] ، فدل ذلك على أن المصلي قد يكون دائما على صلاته وقد لا يكون دائما عليها، وأن المصلي الذي ليس بدائم مذموم، وهذا يوجب ذم من لا يديم أفعاله المتصلة والمنفصلة، وإذا." (١)

"ساجدا ولكان الراغم أنفه – وهو الذي لصق أنفه بالرغام وهو التراب – ساجدا، لا سيما عند المنازع الذي يقول: يحصل السجود بوضع الأنف دون الجبهة من غير طمأنينة، فيكون نقر الأرض بالأنف سجودا، ومعلوم أن هذا ليس من لغة القوم، كما أنه ليس من لغتهم تسمية نقرة الغراب ونحوها سجودا، ولو كان كذلك لكان يقال للذي يضع وجهه على الأرض ليمص شيئا على الأرض أو يعضه أو ينقله ونحو ذلك: ساجدا.

وأيضا: فإن الله أوجب المحافظة والإدامة على الصلاة، وذم إضاعتها والسهو عنها، فقال في أول سورة المؤمنون: ﴿قد أفلح المؤمنون – الذين هم في صلاتهم خاشعون – والذين هم عن اللغو معرضون – والذين هم للزكاة فاعلون – والذين هم لفروجهم حافظون – إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين – فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون – والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون – والذين هم على صلواتهم يحافظون﴾ [المؤمنون: ١ – ٩] وقد سبق بيان أن هذه الخصال واجبة.

وكذلك في سورة سأل سائل قال: ﴿إن الإنسان خلق هلوعا – إذا **مسه الشر جزوعا** – وإذا مسه الخير منوعا – إلا المصلين – الذين هم على صلاتهم دائمون – والذين في أموالهم حق معلوم – للسائل والمحروم – والذين يصدقون بيوم الدين – والذين هم من عذاب ربهم مشفقون – إن عذاب ربهم غير مأمون – والذين هم لفروجهم حافظون – إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين – فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون – والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون – والذين هم بشهاداتهم قائمون – والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾ [المعارج: ١٩ – ٣٤] فذم الإنسان كله إلا ما استثناه، فمن لم يكن متصفا بما استثناه كان مذموما، كما في قوله تعالى: ﴿والعصر – إن الإنسان لفي خسر – إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ [العصر: ١ – ٣]." (٢)

"مخالف لأصول أحمد يرده القرآن، وترده سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أكثر المعاهدين، فإنه لم يوقت معهم وقتا. فأما من كان عهده موقتا فلم يبح له نقضه بدليل قوله: ﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين﴾ [التوبة: ٤] [التوبة] ، وقال: ﴿إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين﴾ [التوبة: ٧] [التوبة] ، وقال: ﴿وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء﴾ [الأنفال: ٥٨] [الأنفال] ، فإنما أباح النبذ عند ظهور أمارات الخيانة، لأن المحذور من جهتهم، وقال تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾ [الصف: ٢] [الصف] الآية، وجاء أيضا في صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري: " إن في القرآن الذي نسخت تلاوته سورة كانت ك " براءة ": " يا أيها

---

(١) القواعد النورانية ابن تيمية ص/٧٢

(٢) القواعد النورانية ابن تيمية ص/٨٨

الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة ". وقال تعالى: ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ [المؤمنون: ٨] في سورتي المؤمنون والمعارج. وهذا من صفة المستثنين من الهلع المذموم بقوله: ﴿إن الإنسان خلق هلوعا – إذا **مسه الشر جزوعا** – وإذا مسه الخير منوعا – إلا المصلين – الذين هم على صلاتهم دائمون – والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم – والذين يصدقون بيوم الدين – والذين هم من عذاب ربهم مشفقون – إن عذاب ربهم غير مأمون – والذين هم لفروجهم حافظون – إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين – فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون – والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ [المؤمنون: ١٩ – ٨] [المعارج] ، هذا يقتضي وجوب ذلك؛ لأنه لم يستثن من المذموم إلا من اتصف بجميع ذلك. ولهذا لم يذكر فيها إلا ما هو." (١)

"وإما أن يذكروا الشروط التي يبايعون عليها، ثم يقولون: بايعناك على ذلك، كما بايعت الأنصار النبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة. فلما أحدث الحجاج ما أحدث من [الفسق] كان من جملته أن حلف الناس على بيعتهم لعبد الملك بن مروان بالطلاق والعتاق واليمين بالله وصدقة المال. فهذه الأيمان الأربعة هي كانت أيمان البيعة القديمة المبتدعة. ثم أحدث المستحلفون عن الأمراء والملوك وغيرهم أيمانا كثيرة أكثر من ذلك، وقد تختلف فيها عاداتهم. ومن أحدث ذلك فعليه إثم ما ترتب على هذه الأيمان من الشر.

[المقدمة الثانية الأيمان يحلف بها تارة بصيغة القسم وتارة بصيغة الجزاء]

المقدمة الثانية: أن [هذه الأيمان يحلف بها تارة بصيغة القسم وتارة بصيغة الجزاء] ، لا يتصور أن تخرج اليمين عن هاتين الصيغتين. فالأول كقوله: والله لا أفعل كذا، أو الطلاق يلزمني لا أفعل كذا، أو علي الحرام لا أفعل كذا، أو علي الحج لا أفعل كذا. والثاني: كقوله: إن فعلت كذا فأنا يهودي أو نصراني أو بريء من الإسلام، أو إن فعلت كذا فامرأتي طالق، [أو إن فعلت كذا فامرأتي حرام، أو فهي علي كظهر أمي] ، أو إن فعلت كذا فعلي الحج، أو فمالي صدقة. ولهذا عقد الفقهاء لمسائل الأيمان بابين، أحدهما: باب تعليق الطلاق بالشروط، فيذكرون فيه الحلف بصيغة الجزاء، كإن وإذا ومتى وما أشبه ذلك، وإن دخل فيه صيغة القسم ضمنا وتبعا. والباب الثاني: باب جامع الأيمان مما يشترك فيه اليمين بالله والطلاق والعتاق وغير ذلك. فيذكرون فيه الحلف بصيغة القسم، وإن دخلت صيغة الجزاء ضمنا وتبعا.." (٢)

"الجعد عن ثوبان. ويكون بينهما من المودة والرحمة ما امتن الله به في كتابه بقوله: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ [الروم: ٢١] [الروم: ٢١] ، فيكون ألم الفراق أشد عليهما من الموت أحيانا، وأشد من ذهاب المال، وأشد من فراق الأوطان، خصوصا إن كان بقلب كل واحد منهما حب وعلاقة من صاحبه، أو كان بينهما أطفال يضيعون بالفراق ويفسد حالهم، ثم يفضي ذلك إلى القطيعة بين أقاربهما، **ووقوع الشر**

---

(١) القواعد النورانية ابن تيمية ص/٢٦٨

(٢) القواعد النورانية ابن تيمية ص/٣٠٦

لما زالت نعمة المصاهرة التي امتن الله بها في قوله: ﴿فجعله نسبا وصهرا﴾ [الفرقان: ٥٤] [الفرقان: ٥٤] ، ومعلوم أن هذا من الحرج الداخل في عموم قوله تعالى: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ [الحج: ٧٨] [الحج: ٧٨] ، ومن العسر المنفي بقوله: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ [البقرة: ١٨٥] [البقرة: ١٨٥] .

وأيضا: فلو كان المحلوف عليه بالطلاق فعل بر وإحسان من صدقة وعتاقة وتعليم علم وصلة رحم وجهاد في سبيل الله، وإصلاح بين الناس، ونحو ذلك من الأعمال الصالحة التي يحبها الله ويرضاها، فإنه لما عليه من الضرر العظيم في الطلاق لا يفعل ذلك، بل ولا يؤمر به شرعا؛ لأنه قد يكون الفساد الناشئ من الطلاق أعظم من الصلاح الحاصل من هذه الأعمال، وهذه المفسدة هي التي أزالها الله بقوله: ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم﴾ [البقرة: ٢٢٤] [البقرة: ١٢٤] ، وأزالها النبي – صلى الله عليه وسلم – بقوله: " «لأن يلج أحدكم بيمينه في أهله آثم عند الله من أن يأتي الكفارة التي فرض الله» ".

فإن قيل: فهو الذي أوقع نفسه في أحد هذه المضرات الثلاث، فما كان ينبغي له أن يحلف.." [(١)]

"٤– دلالة الأمة إلى الخير وتبشيرهم بالثواب المعد إن فعلوه، وتحذيرهم **من الشر وإنذارهم** بالعقاب المعد إن اقترفوه.

قال تعالى: ﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما﴾ [النساء، ١٦٥] .

٥– إصلاح الناس بالقدوة الطيبة، والأسوة الحسنة في الأقوال والأعمال.

قال تعالى: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين﴾ [الأنعام، ٩٠] .

وقال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ [الأحزاب، ٢١] .

٦– إقامة شرع الله بين العباد وتطبيقه.

قال تعالى: ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون﴾ [المائدة، ٤٩] .

٧– شهادة الرسل على أممهم يوم القيامة بأنهم قد بلغوهم البلاغ المبين.

قال تعالى: ﴿ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ [النحل، ٨٩] .

وقال تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ [البقرة، ١٤٣] .

فهذه بعض وظائف المرسلين، التي تزيدهم شرفا إلى شرفهم، وفضلا إلى فضلهم، ويكفيهم فخرا أنهم يبلغون عن رب

---

(١) القواعد النورانية ابن تيمية ص/٣٦١

العالمين.
فسبحان من خصهم بهذه الرتبة العلية، ومنحهم هذه الوظيفة السنية، واصطفاهم واختارهم من بين سائر عباده، ليقوموا بهذه الخدمة المرضية.." (١)

"ودرجة من قلد المتكلمين، فيصير هؤلاء إما منافقين، وإما في قلوبهم مرض. ويظن الظان أنه ليس في الأمر على نبوة الأنبياء براهين قطعية، ولا يعلم أن هذا إنما هو لجهل هؤلاء وأصولهم الفاسدة التي بنوا عليها الاستدلال، وقدحهم في الإلهية، وأنهم لم ينزهوا الرب عن فعل شيء من الشر، ولا أثبتوا له حكمة ولا عدلا ... وهم في الأصل إنما قصدوا الرد على القدرية الذين قالوا: إن الله لم يشأ كل شيء، ولم يخلق أفعال العباد، وهو مقصود صحيح، لكن ظنوا أن هذا لا يتم إلا بجحد حكمته وعدله ورحمته، فغلطوا في ذلك ... "١.
إذا: فالأمر الخاص الذي ألف شيخ الإسلام – رحمه الله – لأجله كتاب النبوات كما مر – هو مناقشة الأشاعرة مناقشة تفصيلية مستفيضة، وذلك من خلال مناقشة شيخهم الباقلاني في كتابه ((البيان)) الذي هو عمدة مذهب الأشاعرة في النبوات.
يقول شيخ الإسلام – رحمه الله – عن القاضي أبي بكر: (وفي كلامه في هذا الباب٢ من الاضطراب ما يطول وصفه، وهو رأس هؤلاء الذين اتبعوه؛ كالقاضي أبي يعلى، وأبي المعالي، والرازي، والآمدي، وغيرهم) ٣.
وقال أيضا – عن الأشاعرة –: (وجوزوا من جهة العقل ما ذكره القاضي أبو بكر: أن يكون الرسول فاعلا الكبائر، إلا أنه لا بد أن يكون عالما بمرسله ... فلم يعتمد القاضي أبو بكر وأمثاله في تنزيه الأنبياء لا على دليل عقلي، ولا سمعي في الكتاب والسنة؛ فإن العقل عنده لا يمنع أن

---

١ النبوات ص ١١٤٥-١١٥٠.
٢ يعني في الفرق بين المعجزات والسحر.
٣ النبوات ص ٩٦٠.." (٢)

"كالفارابي١، وغيره أن يجعلوا ذلك من جنس المنامات المعتادة. ولما أراد طائفة؛ كأبي حامد٢، وغيره أن يقرروا إمكان النبوة على أصلهم، احتجوا بأن مبدأ الطب، ومبدأ النجوم، ونحو ذلك، كان من الأنبياء؛ لكون المعارف المعتادة لا تنهض بذلك. وهذا إنما يدل على اختصاص من أتى بذلك بنوع من العلم. وهذا لا ينكره عاقل.
وعلى هذا بنى ابن سينا أمر النبوة؛ أنها من قوى النفس، وقوى النفوس متفاوتة٣.

---

١ هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان التركي الحكيم. صاحب التصانيف في المنطق والموسيقى وغيرهما. وهو

---

(١) النبوات لابن تيمية ابن تيمية ٢٩/١
(٢) النبوات لابن تيمية ابن تيمية ٩٩/١

أكبر فلاسفة المسلمين. وقد أتقن اللغة العربية. وكان مولده سنة ٢٥٩؟، ووفاته سنة ٢٩٩؟.
انظر: وفيات الأعيان ١٥٣/٥. وفهرست ابن النديم ص ٣٦٨. والبداية والنهاية ٣٢٤/١١.
وقال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والفلسفة التي ذهب إليها الفارابي، وابن سينا إنما هي فلسفة المشائين أتباع أرسطو ص١حب التعاليم". درء تعارض العقل والنقل١٥٧/١.
٢ هو الغزالي. وقد مر التعريف به.
٣ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وهذا القدر، فعله ابن سينا وأمثاله ممن رام الجمع بين ما جاءت به الأنبياء وبين فلسفة المشائين؛ أرسطو وأمثاله. ولهذا تكلموا في الآيات، وخوارق العادات، وجعلوا لها ثلاثة أسباب: القوى الفلكية، والقوى النفسانية، والطبيعية؛ إذ كانت هذه هي المؤثرات في العالم عندهم. وجعلوا ما للأنبياء وغير الأنبياء من المعجزات والكرامات، وما للسحرة من العجائب هو من قوى النفس. ولكن الفرق بينهما أن ذلك قصده الخير، وهذا قصده الشر. وهذا المذهب من أفسد مذاهب العقلاء ... فإنه مبني على إنكار الملائكة وإنكار الجن، وعلى أن الله لا يعلم الجزئيات، ولا يخلق بمشيئته وقدرته، ولا يقدر على تغيير العالم". الجواب الصحيح٢٤/٦. وانظر: درء تعارض العقل والنقل ٧٠/٥.." (١)

"عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد﴾ ١.

ولهذا لما سمع ورقة بن نوفل٢، والنجاشي٣، وغيرهما القرآن، قال ورقة بن نوفل: هذا هو الناموس٤ الذي كان يأتي موسى٥. وقال

---

١ سورة غافر، الآيتان ٣٠-٣١.
٢ هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي الأسدي، ابن عم خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه وسلم. كان قد كره عبادة الأوثان، وطلب الدين في الآفاق، وقرأ الكتب، وكانت خديجة رضي الله عنها تسأله عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم، فيقول: ما أراه إلا نبي هذه الأمة الذي بشر به موسى وعيسى.
انظر: الإصابة لابن حجر ٦٣٣/٣-٦٣٥.
٣ النجاشي لقب لكل من ملك الحبشة؛ مثل لقب قيصر لمن ملك الروم، وكسرى لمن ملك فارس.
والمراد بالنجاشي هنا: أصحمة. أسلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وأحسن إلى المسلمين الذين هاجروا إلى أرضه. وأخب١ره معهم ومع كفار قريش الذين طلبوا منه أن يسلم إليهم المسلمين مشهورة. توفي في بلده قبل فتح مكة، وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الغائب بالمدينة، وكبر عليه أربعا.
انظر: الإصابة لابن حجر ١٧/١.
٤ الناموس: صاحب السر؛ كما جزم به البخاري في أحاديث الأنبياء. وزعم ابن ظفر أن الناموس: صاحب سر الخير،

---

(١) النبوات لابن تيمية ابن تيمية ١٩٦/١

والجاسوس: صاحب سر الشر. والأول الصحيح الذي عليه الجمهور. وقد سوى بينهما رؤبة بن العجاج أحد فصحاء العرب.

والمراد بالناموس هنا: جبريل عليه السلام. وقوله: "على موسى"، ولم يقل على عيسى، مع كونه نصرانيا؛ لأن كتاب موسى عليه السلام مشتمل على أكثر الأحكام، بخلاف عيسى عليه السلام. وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم.

على أنه قد ورد بإسنادين؛ أحدهما حسن، والآخر ضعيف: ناموس عيسى. فعلى هذا: كان ورقة يقول تارة: ناموس عيسى، وتارة: ناموس موسى. انظر: فتح الباري ١/٣٥.

٥ رواه الإمام البخاري في صحيحه ١/٥، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. والإمام مسلم في صحيحه ١/١٣٩، ١٤٥، ١٦٠-١٦١.

وقد قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: "والقرآن أصل كالتوراة، وإن كان أعظم منها. ولهذا علماء النصارى يقرنون بين موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم، كما قال النجاشي ملك النصارى لما سمع القرآن: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة. وكذلك ورقة بن نوفل، وهو من أحبار نصارى العرب لما سمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم قال له: إنه يأتيك الناموس الذي يأتي موسى ... ولهذا يقرن سبحانه بين التوراة والقرآن ... ". الجواب الصحيح ١/١١٦-١١٨.." (١)

"عبد إلا ربه، ولا يخافن عبد [إلا] ١ ذنبه)) ٢؛ فالخوف الذي يحصل عند ذكره، هو بسبب [من] ٣ العبد، وإلا فذكر الرب نفسه يحصل الطمأنينة والأمن؛ فما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك؛ كما قال ذلك المريض الذي سئل: كيف تجدك؟ فقال: أرجو الله، وأخاف ذنوبي. فقال [النبي صلى الله عليه وسلم] ٤: "ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو، وأمنه مما يخاف" ٥.

ولم يقل بذكر الله توجل القلوب، كما قال: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ ٦، بل قال: ﴿إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ ٧، ثم قال: ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾ ٨. وإنما يتوكلون عليه لطمأنينتهم إلى كفايته، وأنه سبحانه حسب من توكل عليه؛ يهديه، وينصره،

---

١ ما بين المعقوفتين ليس في ((ط)) ، وهو في ((خ)) ، و ((م)) .

٢ سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن قول علي هذا: ما معناه؟ فأجاب رحمه الله: "هذا الكلام يؤثر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو من أحسن الكلام، وأبلغه، وأتمه؛ فإن الرجاء يكون للخير، والخوف يكون من الشر، والعبد إنما **يصيبه الشر بذنوبه**....." إلى آخر كلامه القيم رحمه الله تعالى. انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٨١٦١-١٨١.

٣ ما بين المعقوفتين ليس في ((ط)) ، وهو في ((خ)) ، و ((م)) .

---

(١) النبوات لابن تيمية ابن تيمية ١/٢٠٠

٤ ما بين المعقوفتين ليس في ((خ)) ، وهو في ((م)) ، و ((ط)) .

٥ جزء من حديث رواه الترمذي في جامعه ٣٣٠٢، كتاب الجنائز، رقم ٩٨٣، وقال: حديث غريب. وابن ماجه – من حديث أنس – في سننه ٢١٤٢٣، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له. وقال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب ٤١٦٣ : إسناده حسن. وقال عنه الشيخ الألباني: "رجاله ثقات، وفي سيار بن حاتم كلام لا يضر. فالسند حسن". مشكاة المصابيح ١٥٠٦.

٦ سورة الرعد، الآية ٢٨.

٧ سورة الأنفال، ،الآية ٢.

٨ سورة الأنفال، الآية ٢.." (١)

"الأنفس، ولقد جاءهم من ربهم الهدى. فكل فريق منهم قد أصل لنفسه أصل دين [صنعه] ١؛ إما برأيه وقياسه الذي يسميه عقليات؛ وإما بذوقه وهواه الذي يسميه ذوقيات٢؛ وإما بما يتأوله من القرآن، ويحرف فيه الكلم عن مواضعه، ويقول إنه إنما يتبع القرآن كالخوارج٣؛ وإما بما يدعيه في الحديث والسنة ويكون كذبا وضعيفا كما يدعيه الروافض٤؛ من

---

١ في ((م)) ، و ((ط)) : وضعه.

٢ قال صاحب التعريفات: "والذوق في معرفة الله عبارة عن نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه، يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن يتلقوا ذلك من كتاب أو غيره". التعريفات ص ٤٤.

وانظر: أيضا تعريف الذوق في الرسالة القشيرية ١٢٧١. وانظر: شرح الأصفهانية ٢٥١٦-٥١٧.

٣ المقصود أن الخوارج لا يأخذون بالسنة.

وكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجا. وأول من عرف بذلك، واشتهر به: الذين خرجوا على علي رضي الله عنه في حروراء، وقاتلهم. وهم فرق كثيرة يقولون بتخليد صاحب الكبيرة، ويجمعهم القول بتكفير علي بن أبي طالب، وعثمان، والحكمين، وأصحاب الجمل، ومن رضي بالتحكيم وصوب الحكمين أو أحدهما. ويجمعهم أيضا القول بالخروج على الإمام إذا كان جائرا.

انظر: الملل والنحل ١١٤. والفرق بين الفرق ص ٧٢، ٧٣. والمقالات ١١٦٧. وانظر أيضا: منهاج السنة النبوية ٣٤٦١.

٤ قال شيخ الإسلام رحمه الله: "وإنما سموا رافضة، وصاروا رافضة لما خرج زيد بن علي بن الحسين بالكوفة في خلافة هشام، فسألته الشيعة عن أبي بكر وعمر، فترحم عليهما، فرفضه قوم، فقال: رفضتموني، رفضتموني. فسموا رافضة. وتولاه قوم فسموا زيدية؛ لانتسابهم إليه. ومن حينئذ انقسمت الشيعة إلى رافضة إمامية، وزيدية. وكلما ازدادوا في البدعة، ازدادوا

---

(١) النبوات لابن تيمية ابن تيمية ٣٧٩/١

في الشر. فالزيدية خير من الرافضة، أعلم، وأصدق، وأزهد، وأشجع".

منهاج السنة النبوية ٢٩٦. وانظر: المصدر نفسه ٣٤٧١. ومجموع الفتاوى ١٣٣٥-٣٦.

وهم يغلون في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويكفرون أكثر الصحابة، إلا عددا يسيرا.

وقد أخبر شيخ الإسلام رحمه الله أن "أصل الرفض من المنافقين والزنادقة؛ فإنه ابتدعه ابن سبأ الزنديق، وأظهر الغلو في علي بدعوى الإمامة والنص، وادعى العصمة له". مجموع الفتاوى ٤٤٣٥، ٢٨٤٨٣.

وانظر: في تعريف الرافضة: المقالات للأشعري ١٨٩. واعتقاد فرق المسلمين والمشركين للرازي ص ٥٢. والملل والنحل ١١٥٥. والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص ٣٦. وشرح حديث النزول لابن تيمية ص ٤٢٧. وبغية المرتاد ص ٣٤١.." (١)

"واحدا منهم من الأمور المشتركة إذ كانوا مقيمين، أو مسافرين؛ ان يخرج مثلما يخرجه الواحد منهم. فكره هذا، وفر إلى بلد، فألزمه أهلها بأن ينفق عليهم ويخدمهم، وإلا قتلوه وما أمكنه الهرب منهم.

فمن فر من حكم الله ورسوله أمرا وخبرا، [أو] ١ ارتد عن الإسلام، أو بعض شرائعه خوفا من محذور في عقله، أو عمله، أو دينه، أو دنياه، كان ما يصيبه **من الشر أضعاف** ما ظنه شرا في اتباع الرسول. قال تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما انزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ ٢.

---

١ في ((خ)) : و. وما أثبت من ((م)) ، و ((ط)) .

٢ سورة النساء، الآيات ٥٩-٦٥.." (٢)

"ولم يفرقوا١ بين النبي والساحر إلا بأن هذا بر، وهذا فاجر. والقاضي أبو بكر٢ وأمثاله يجعلون هذا الفرق سمعيا٣.

والفرق الذي لا بد منه عندهم: الاستدلال بها، والتحدي بالمثل٤.

وكل من هؤلاء٥، وهؤلاء٦ أدخلوا مع الأنبياء من ليس [بنبي] ٧، ولم يعرفوا خصائص الأنبياء، ولا خصائص آياتهم؛ فلزمهم جعل من ليس

---

(١) النبوات لابن تيمية ابن تيمية ٤٢١/١

(٢) النبوات لابن تيمية ابن تيمية ٤٣٩/١

١ أي المتفلسفة. وانظر رد شيخ الإسلام على مقولتهم هذه في: كتاب الصفدية ١/١٣٥، ١٤٧. والجواب الصحيح ٦/٤٠٠-٤٠١، ٤٩٦، ٥٠٠؛ حيث رد عليهم شيخ الإسلام رحمه الله من وجهين.

وقد قال عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وجعلوا ما للأنبياء وغير الأنبياء من المعجزات والكرامات وما للسحرة من العجائب، هو من قوى النفس. لكن الفرق بينهما أن ذلك قصده الخير، وهذا قصده الشر. وهذا المذهب من أفسد مذاهب العقلاء...... فإنه مبني على إنكار الملائكة، وإنكار الجن، وعلى أن الله لا يعلم الجزئيات، ولا يخلق بمشيئته وقدرته، ولا يقدر على تغيير العالم. ثم إن هؤلاء لا يقرون من المعجزات إلا بما جرى على هذا الأصل وأمكن أن يقال فيه هذا؛ مثل نزول المطر، وتسخير السباع، وإمراض الغير، وقتله، ونحو ذلك. وأما قلب العصا حية، وإحياء الموتى، وإخراج الناقة من الهضبة، وانشقاق القمر، وأمثال ذلك، فلا يقرون به ... ". الجواب الصحيح ٦/٢٤-٢٥.

٢ الباقلاني.

٣ انظر: البيان للباقلاني ص ٣٨-٤١. وانظر: منهاج السنة النبوية ٢/٤١٥. والجواب الصحيح ٦/٤٠٠-٤٠١.

٤ انظر: البيان للباقلاني ص ٤٦-٤٧، ٩٤.

٥ الأشاعرة.

٦ المتفلسفة.

٧ ما بين المعقوفتين ملحق بهامش ((خ)) .." [(١)]

"التخويف١؛ كانتثار الكواكب، والظلمة الشديدة، وتصلى للزلزلة، نص عليه٢، كما جاء الأثر بذلك٣.

فهذه الآيات أخص من مطلق الآيات، وقد قال تعالى: ﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين﴾ ٤، وقال صلى الله عليه وسلم: "ثلاث آيات يتعلمهن [من القرآن] ٥ خير له من ثلاث خلفات سمان"٦.

١ قال شيخ الإسلام رحمه الله عن الشمس والقمر: وقوله: "يخوف الله بهما عباده" كقوله: ﴿وما نرسل بالآيات إلا تخويفا﴾ [سورة الإسراء، الآية ٥٩] . ولهذا كانت الصلوات مشروعة عند الآيات عموما، مثل تناثر الكواكب، والزلزلة، وغير ذلك. والتخويف إنما يكون بما هو سبب للشر المخوف؛ كالزلزلة والريح العاصف، وإلا فما وجوده كعدمه لا يحصل به تخويف. فعلم أن الكسوف سبب للشر، ثم قد يكون عنه شر. ثم القول فيه كالقول في سائر الأسباب: هل هو سبب؟ كما عليه جمهور الأمة، أو هو مجرد اقتران عادة كما يقوله الجهمية. وهو صلى الله عليه وسلم أخبر عند أسباب الشر بما يدفعها من العبادات التي تقوي ما انعقد سببه من الخير، وتدفع أو تضعف ما انعقد سببه من الشر كما قال: "إن الدعاء والبلاء ليلتقيان فيعتلجان بين السماء والأرض". والفلاسفة تعترف بهذا، لكن هل ذلك بناء على أن الله يدفع ذلك بقدرته وحكمته، أو بناء على أن القوى النفسانية تؤثر؟ هذا مبني على أصولهم في هذا الباب". منهاج

(١) النبوات لابن تيمية ابن تيمية ١/٥٠٦

السنة النبوية ٥٤٤٥- ٤٤٦.

٢ نقل عبد الله بن أحمد بن حنبل أن أباه إذا كانت ريح، أو ظلمة، أو أمر يفزع الناس منه، فزع إلى الصلاة.

انظر مسائل الإمام أحمد برواية ابنه عبد الله ٢٤٤٧، تحقيق د علي بن سليمان المهنا، ط الأولى، مكتبة الدار. وانظر فتح الباري لابن حجر ١٦٠٦.

٣ لعله يشير إلى الحديث الذي تقدم ذكره قريبا في ح (٥) من الصفحة السابقة.

٤ سورة الأنعام، الآية ٤.

٥ ما بين المعقوفتين ساقط من ((م)) ، و ((ط)) .

٦ الحديث مروي عن أبي هريرة رضي الله عنه، بلفظ: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خلفات عظام سمان؟ " قلنا: نعم. قال: "فثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم في صلاته خير له من ثلاث خلفات عظام سمان".

الحديث رواه مسلم في صحيحه ١٥٥٢، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه. والدارمي في سننه ٢٥٢٣، كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن. وابن ماجه في سننه ٢١٢٤٣، كتاب الأدب، باب ثواب القرآن. وأحمد في مسنده ٢٣٩٧، ٤٦٦، ٤٩٧.." [(١)]

"لفظ السيما

وأما السيما: فهي علامة بنفسها، لم يقصدها؛ مثل سيما المؤمنين، وسيما المنافقين؛ قال تعالى في المؤمنين: ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ ١، وقال في المنافقين: ﴿ [فلعرفتهم] ٢ بسيماهم﴾ ٣،

وقال: ﴿عتل بعد ذلك زنيم﴾ ٤؛ قيل: له زنمة **من الشر يعرف** بهاه.

ومنه: سيما المؤمنين يوم القيامة؛ التي بها يعرفهم نبيهم؛ وهو أنهم [غر] ٦ محجلون من آثار الوضوء٧؛ فهذه علامة وآية، لكنها من النوع الأول، لم يقصد المسلمون أن يتوضؤوا ليعرفوا بالوضوء، لكن من اللوازم لهم الوضوء للصلاة، وقد جعل الله أثر ذلك نورا في وجوههم وأيديهم، [وليس هذا لغيرهم؛ فإن هذا الوضوء] ٨ لم يكن لغيرهم. والحديث الذي

---

١ سورة الفتح، الآية ٢٩.

٢ في ((خ)) : فلتعرفهم.

٣ سورة محمد، الآية ٣٠.

٤ سورة القلم، الآية ١٣.

٥ وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما؛ رواه عنه سعيد بن جبير. انظر: زاد المسير لابن الجوزي ٨٣٣٣.

٦ في ((خ)) : غير. وما أثبت من ((م)) ، و ((ط)) .

---

(١) النبوات لابن تيمية ابن تيمية ٧٣٦/٢

٧ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته، فليفعل". رواه الإمام البخاري في صحيحه ١٦٣، كتاب الوضوء، باب فضل الوضوء، والغر المحجلون من آثار الوضوء.

٨ في ((خ)) : وليس هذا لغيرهم، فإن هذا لغيرهم، فإن هذا الوضوء. وما أثبت من ((م)) ، و ((ط)) .." [1]

"وقال تعالى: ﴿ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين﴾ ١.

وكذلك ما ذكره من قول العفريت له: ﴿أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك﴾ ٢.

فهذه الطاعة من التسخير: بغير اختيارهم في مثل هذه الأعمال الظاهرة العظيمة، ليس مما فعلته بأحد من الإنس، وكان ذلك بغير أن يفعل شيئا، مما يهوونه؛ من العزائم، والأقسام، والطلاسم الشركية٣؛ كما يزعم الكفار أن سليمان سخرهم بهذا، فنزهه الله من ذلك٤، بقوله: ﴿واتبعوا ما

---

١ سورة سبأ، الآيات ١٢-١٤.

٢ سورة النمل، الآية ٣٩.

٣ تقدم التعريف بها، انظر ص ٢٧٠ من هذا الكتاب.

٤ روى الطبري رحمه الله بسنده إلى ابن إسحاق قال: "عمدت الشياطين حين عرفت موت سليمان بن داود عليهما السلام، فكتبوا أصناف السحر....، ثم دفنوه تحت كرسيه، فاستخرجته بعد ذلك بقايا بني إسرائيل حين أحدثوا ما أحدثوا، فلما عثروا عليه قالوا: ما كان سليمان بن داود إلا بهذا. فأفشوا السحر في الناس، وتعلموه، وعلموه، فليس في أحد أكثر منه في اليهود. فلما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما نزل عليه من الله سليمان بن داود، وعده فيمن عده من المرسلين، قال من كان بالمدينة من يهود: ألا تعجبون لمحمد - صلى الله عليه وسلم - يزعم أن سليمان بن داود كان نبيا، والله ما كان إلا ساحرا. فأنزل الله في ذلك من قولهم على محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ... ﴾ الآية.

تفسير الطبري ٤٤٦١. وانظر: أسباب النزول للواحدي ص ٢١-٢٢. وتفسير ابن كثير ١١٣٢-١٣٦.

وقد فصل شيخ الإسلام رحمه الله القول في هذه المسألة في موضع آخر، بعد أن ذكر الطلاسم الشركية، والعزائم، والأقسام التي يستخدمها الجن، فقال: "والذين يستخدمون الجن بهذه الأمور يزعم كثير منهم أن سليمان كان يستخدم الجن بها، فإنه قد ذكر غير واحد من علماء السلف أن سليمان لما مات كتبت الشياطين كتب سحر وكفر وجعلتها

---

(١) النبوات لابن تيمية ابن تيمية ٧٦٥/٢

تحت كرسيه، وقالوا: كان سليمان يستخدم الجن بهذه، فطعن طائفة من أهل الكتاب في سليمان بهذا، وآخرون قالوا: لولا أن هذا حق جائز لما فعله سليمان. فضل الفريقان؛ هؤلاء بقدحهم في سليمان، وهؤلاء باتباعهم السحر، فأنزل الله تعالى في ذلك قوله تعالى: ﴿ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم..﴾ إلى قوله: ﴿ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير ل و كانوا يعلمون﴾ . بين سبحانه أن هذا لا يضر ولا ينفع، إذ كان النفع هو الخير الخالص أو الراجح، والضرر **هو الشر الخالص** أو الراجح، وشر هذا إما خالص، وإما راجح) . مجموع الفتاوى ١٩٤٢.." (١)

"فصل الاستدلال بالحكمة

والاستدلال بالحكمة١: أن يعرف أولا حكمته٢، ثم يعرف أن من

---

١ مسألة الحكمة: من أعظم المسائل التي خاض فيها المبتدعة في تعليل أفعال الله وأحكامه وصفاته. وقد ذكر الشيخ رحمه الله أبياته المعروفة لمن سأله عن القدر، يشير فيها إلى أنها أصل حجة أهل الضلال في الخوض في هذه المسائل. يقول:

وأصل ضلال الخلق في كل فرقة ... هو الخوض في فعل الإله بعلة

فإنهمو لم يفهموا حكمة له ... فصاروا على نوع من الجاهلية

فإن جميع الكون أوجب فعله ... مشيئة رب الخلق باري الخليقة

مجموع الفتاوى ٨٢٤٦.

٢ الحكمة من صفات الله الذاتية؛ مثلها مثل الإرادة والمشيئة والكلام، فيقال في الإرادة: إن الله سبحانه وتعالى لم يزل مريدا بإرادات متعاقبة، فنوع الإرادة قديم، وأما إرادة الشيء المعين فإنما يريده في وقته. وهو سبحانه يقدر الأشياء ويكتبها، ثم بعد ذلك يخلقها، فهو إذا قدرها ع‍لم ما سيفعله، وأراد فعله في الوقت المستقبل، لكن لم يرد فعله في تلك الحال، فإذا جاء وقته أراد فعله. فالأول عزم، والثاني قصد.

وكذلك الحكمة: صفة ذاتية، لم يزل الله حكيما، فإن كان الفعل المفضي للحكمة حادث النوع، كانت الحكمة كذلك، وإن قدر أنه قام به كلام، أو فعل متعلق بمشيئته، وأنه لم يزل كذلك، كانت الحكمة كذلك، فيكون النوع قديما، وإن كانت آحاده حادثة.

وقد أجمع المسلمون على أن الله موصوف بالحكمة، لكن تنازعوا في تفسير ذلك:

فقال الأشاعرة والجهمية: الحكمة ترجع إلى علمه بأفعال العباد وإيقاعها على الوجه الذي أراده. ولم يثبتوا إلا العلم والإرادة والقدرة. وهم قد أطلقوا ألفاظها، ولكنهم لا يعنون بها معناها، بل يطلقونها لأجل مجيئها في القرآن.

وهم يثبتون أنه مريد، وينكرون أن تكون له حكمة يريدها، وأنه لم يخلق شيئا لشيء، وأنكروا الأسباب والطبائع والقوى

---

(١) النبوات لابن تيمية ابن تيمية ٨٤٣/٢

الموجودة في خلق الله و أمره والحكم المقصودة بذلك.

وقال أهل السنة: بل هو حكيم في خلقه وأمره. والحكمة ليست مطلق المشيئة، إذ لو كان كذلك، لكان كل مريد حكيما. ومعلوم أن الإرادة تنقسم إلى محمودة ومذمومة، بل الحكمة تتضمن ما في خلقه وأمره من العواقب المحمودة، والغايات المحبوبة.

والله سبحانه حكيم رحيم، وقد أخبر أنه لم يخلق المخلوقات إلا بحكمة، كما قال في قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا﴾ . والله سبحانه له في كل ما يخلقه حكمة يحبها ويرضاها، وهو سبحانه أحسن كل شيء خلقه، وأتقن كل ما صنع، فما وقع **من الشر الموجود** في المخلوقات، فقد وجد لأجل تلك الحكمة المطلوبة المحبوبة المرضية، فهو من الله حسن جميل، وهو سبحانه محمود عليه، وله الحمد عل كل حال، وإن كان شرا بالنسبة إلى بعض الأشخاص. فهو تعالى لم يزل عليما، فعالا لما يريد، وأفعاله تعالى وإبداعه لمبتدعاته تابعة لحكمته، التي هي وضع الأشياء مواضعها، وتنزيل الأمور منازلها، فلم يخلق شيئا عبثا. فالحكمة فعله بعض الأشياء دون بعض، لاشتمال المفعول على ما يصلح أن يكون مرادا للحكيم.

فالله سبحانه وتعالى يفعل لحكمة يحبها ويحصل بها محبوبه، فإنه لا يزال مراده الذي يحبه يحصل بفعله، وهو غني عن كل ما سواه، ورحمته لعبده، وإحسانه إليهم هو مما يحبه، وهو سبحانه إذا أمر العباد ونهاهم: أمرهم بما يحبه ويرضاه لهم، وهو يحبهم ويرضى عنهم إذا فعلوه؛ قال تعالى: ﴿إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم﴾ [سورة الزمر ٧] .

لكن فرق بين ما يريد هو أن يخلقه لما يحصل من الحكمة التي يحبها، فهذا يفعله سبحانه، ولا بد من وجوده، فإنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وبين ما يريد من العباد أن يفعلوه، ويحبه إذا فعلوه، ويأمرهم به من غير مشيئة منه أن يخلقه؛ فإن المشيئة متعلقة بفعله، والأمر متعلق بفعل عبده المأمور، فالإرادة منه تارة تكون بمعنى المشيئة، وتارة تكون بمعنى المحبة. فهو سبحانه محمود على كل حال، له الملك وله الحمد في الدنيا والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون.

انظر المصادر الآتية: مجموع الفتاوى ١٦١٣٠، ٢٩٧، ٣٠٣،، ١٧٩٥، ٩٩. ومجموعة الرسائل والمسائل ٥٢٤٢. ومنهاج السنة النبوية ١٤٤،، ٣١٦٨-١٧٧، ٢٠٧-٢٠٩، ٤٥. وبيان تلبيس الجهمية ١٢١٥. وكتاب الصفدية ١١٤٧. وشرح الأصفهانية ١٣٦٥-٣٦٨. ودرء تعارض العقل والنقل ٧٤٧٦-٤٧٧.." [(١)]

"كلامهم١، فصار طالب العلم والإيمان والهدى من عندهم، - لا سيما إذا اعتقد أنهم أنصار الإسلام، [ونظاره] ٢، والقائمون ببراهينه وأدلته - إذا عرف حقيقة ما عندهم، لم يجد ما ذكروه يدل على ثبوت نبوة الأنبياء، بل وجده يقدح في الأنبياء، ويورث الشك فيها أو الطعن، وأنها حجة تقدح في الأنبياء، و [تورث] ٣ الشك فيها، أو الطعن فيها، وأنها حجة لمكذب الأنبياء أعظم مما هي حجة لمصدق الأنبياء، فانسد طريق الإيمان والعلم، وانفتح طريق النفاق والجهل٤، لا سيما على من لم يعرف إلا ما قالوه.

---

(١) النبوات لابن تيمية ابن تيمية ٢/٩٠٤

---

١ قال شيخ الإسلام رحمه الله يخاطب المتكلمين، ويبين لهم ضعف أجوبتهم مع الفلاسفة، وينصحهم أن لا يدخلوا معهم في مناظرات لا ينتصرون فيها: "ومن العجيب أن المتكلمين المناظرين لهؤلاء وأمثالهم من أهل الكفر إذا أوردوا سؤالا ... لا يكون المجيب متمكنا من ذلك علما وبيانا، ولا ينقطع بذلك الخصم، ولا يهتدي لنقص قوى إدراكه، أو سوء قصده، أو لاحتياج تحقيق ذلك إلى مقدمات متعددة وزمان طويل، وتقرير لتلك المقدمات بجواب ما ترد بها من ممانعة ومعارضة. فيتركوا أن يبدؤوهم من أول الأمر ببيان فساد هذه الحجة، وبيان تناقضهم، وأن قائلها يلزمه إذا قال بها أعظم مما أنكره. فإذا تبين له فسادها وللمتكلمين معه، حصل دفع **هذا الشر وبطلان** هذا القول وهذه الحجة. وهو المقصود في هذا المقام، ثم بيان الحق وتكميله مقامه آخر". بيان تلبيس الجهمية ١١٧١. وانظر: المصدر نفسه ١٨. والرد على المنطقيين ص ٢٧٣-٢٧٤.

٢ في ((خ)) : نظائره. وما أثبت من ((م)) ، و ((ط)) .

٣ في ((خ)) : يورث. وما أثبت من ((م)) ، و ((ط)) .

٤ يقول شيخ الإسلام رحمه الله عن هؤلاء الذي يوردون الشبهات ولا يستطيعون الرد عليها: "ومما يعجب منه أن بعض المنكرين لمجادلة الكفار بناء على ظهور دلائل النبوة، نجده هو ومن يعظمه من شيوخه الذي يعتمد في أصول الدين على نظرهم ومناظرتهم، ويزعمون أنهم قرروا دلائل النبوة، قد أوردوا من الشبهات والشكوك والمطاعن على دلائل النبوة ما يبلغ نحو ثمانين سؤالا، وأجابوا عنه بأجوبة لا تصلح أن تكون جوابا في المسائل الظنية، بل هي إلى تقرير شبه الطاعنين أقرب منها إلى تقرير أصول الدين. وهم كما مثلهم الغزالي وغيره بمن يضرب شجرة ضربا يزلزلها به، وهو يزعم أنه يريد أن يثبتها. وكثير من أئمة هؤلاء مضطرب في الإيمان بالنبوة اضطرابا ليس هذا موضع بسطه. وهم مع ذلك يدعون أنه قد ظهر عن أهل الكتاب ما لم يظهر عند شيوخ هؤلاء النظار، وينهون عن إظهار آيات الله وبراهينه التي هي غاية مطالب شيوخهم، وهم لم يعطوها حقها، إما عجزا، وإما تفريطا". الجواب الصحيح ١٢٤٣-٢٤٤.." [1]

"والذي يفهم ما قالوه، لا يكون إلا فاضلا، قد قطع درجة الفقهاء، ودرجة من قلد المتكلمين، فيصير هؤلاء؛ إما منافقين؛ وإما في قلوبهم مرض، ويظن الظان أنه ليس في الأمر على نبوة الأنبياء براهين قطعية، ولا يعلم أن هذا إنما هو لجهل هؤلاء وأصولهم الفاسدة التي بنوا عليها الاستدلال وقدحهم في الإلهية، وأنهم لم ينزهوا الرب عن فعل شيء من الشر، ولا أثبتوا له حكمة ولا عدلا، فكان ما جهلوه من آيات الأنبياء؛ إذ كان العلم بآيات الله، وما قصه لخلقه من الدلائل والبراهين، مستلزما لثبوت علمه وحكمته ورحمته وعدله، فإذا انتفى اللازم انتفى الملزوم.

وهم في الأصل إنما قصدوا الرد على القدرية الذين قالوا: إن الله لم يشأ كل شيء، ولم يخلق أفعال العباد١. وهو مقصود صحيح، لكن ظنوا أن هذا لا يتم إلا بجحد حكمته، وعدله، ورحمته، فغلطوا في ذلك.

المعتزلة غلطوا من جهات كثيرة

---

(١) النبوات لابن تيمية ابن تيمية ٩٣٨/٢

كما أن المعتزلة أيضا غلطوا مِن جهات كثيرة، وظنوا أنه لا تثبت حكمته، وعدله، ورحمته، إن لم يجحد خلقه لكل شيء، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ويجحد اتصافه بالكلام، والإرادة، وغير ذلك من أقوال المعتزلة٢، التي هي من أقوال هؤلاء؛ فإن هؤلاء٣ في الصفات

---

١ انظر: درء تعارض العقل والنقل ٨٤٦٩، ٤٧١، ٤٧٦.

٢ وقد أورد شيخ الإسلام رحمه الله في كتابه منهاج السنة النبوية قول كل من الجهمية والمعتزلة في هذه المسائل. انظر: المنهاج ٣١٩٤-١٩٧.

٣ يعني الأشاعرة.." [1]

"ضعف، فشرهم فيه على أهل الصوم قليل، بخلاف أهل [الشراب] ١، وأهل الظلمات؛ فإن الشياطين هنالك محالهم، وهم يحبون الظلمة، ويكرهون النور، ولهذا ينتشرون بالليل؛ كما جاء في الحديث الصحيح٢، ولهذا أمر الله بالتعوذ من شر غاسق إذا وقب٣.

وخوارق الجن؛ كالإخبار ببعض الأمور الغائبة؛ وكالتصرفات الموافقة لأغراض

بعض الإنس: كثيرة، [معروفة في جميع الأمم؛ فقد كانت في

---

١ في ((خ)) : السراب. وما أثبت من ((م)) ، و ((ط)) .

٢ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا استجنح الليل أو كان جنح الليل فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم، وأغلق بابك، واذكر اسم الله، وأطفئ مصباحك، واذكر اسم الله، وأوك سقاءك، واذكر اسم الله، وخمر إناءك، واذكر اسم الله، ولو تعرض عليه شيئا". صحيح البخاري ٣١١٩٥، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده. وأحمد في مسنده٣٣١٩.

٣ قال تعالى: ﴿قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب﴾ سورة الفلق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فإن الغاسق قد فسر بالليل، كقوله: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل﴾ وهذا قول أكثر المفسرين وأهل اللغة.... والليل مظلم تنتشر فيه شياطين الإنس والجن ما لا تنتشر بالنهار، ويجري فيه من أنواع الشر ما لا يجري بالنهار؛ من أنواع الكفر والفسوق والعصيان، والسحر، والسرقة، والخيانة، والفواحش، وغير ذلك. فالشر دائما مقرون بالظلمة. ولهذا إنما جعله الله لسكون الآدميين وراحتهم، لكن شياطين الإنس والجن تفعل فيه من الشر ما لا يمكنها فعله بالنهار، ويتوسلون بالقمر ويدعونه، والقمر وعبادته. وأبو معشر البلخي له مصحف القمر يذكر فيه من الكفريات والسحريات ما يناسب الاستعاذة منه". دقائق التفسير ٦٤٩٧.." [2]

---

(١) النبوات لابن تيمية ابن تيمية ٩٣٩/٢

(٢) النبوات لابن تيمية ابن تيمية ١٠٢٨/٢

"الله به نبيه والمؤمنين يوم بدر، ويوم حنين، كان هذا من أعلام صدقه، وأنه صادق على الله في دعوى النبوة؛ فإنها لا تؤيد الكذب، لكن الشياطين تؤيد الكذاب، والملائكة تؤيد الصدق.

التأييد من الملائكة بحسب الإيمان

والتأييد بحسب الإيمان١، فمن كان أقوى من غيره، كان جنده من الملائكة أقوى، وإن كان إيمانه ضعيفا كانت ملائكته بحسب ذلك؛ كملك الإنسان وشيطانه؛ فإنه قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما منكم من أحد إلا وكل به قرينه من الملائكة، وقرينه من الجن. قالوا: وبك يا رسول الله. قال: وبي، لكن الله أعانني عليه فأسلم"٢. وفي حديث آخر: "فلا يأمرني إلا بخير"٣.

وهو في صحيح مسلم من وجهين٤؛ من حديث ابن مسعود؛ ومن حديث عائشة.

وقال ابن مسعود: "إن للقلب لمة٥ من الملك، ولمة من الشيطان.

---

١ انظر ما سبق في هذا الكتاب، ص ١٧١-١٧٢، ١٩٥، ٥٣٧-٥٣٨.

٢ رواه الدارمي في سننه ٢٣٩٦، كتاب الرقاق، باب: ما من أحد إلا ومعه قرينه من الجن. وفي آخره: قال: قال أبو محمد: من الناس من يقول: أسلم: استسلم. أقول ذلك.

٣ رواه الإمام أحمد في المسند ١٣٨٥.

٤ رواه مسلم في صحيحه ٤٢١٦٧-٢١٦٨، كتاب صفات المنافقين، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه، من حديث ابن مسعود، ومن حديث عائشة رضي الله عنهما.

٥ قال ابن الأثير: "اللمة: الهمة، الخطرة تقع في القلب، أو إلمام الملك، أو الشيطان به، والقرب منه. فما كان من خطرات الخير فهو من الملك، وما كان من **خطرات الشر فهو** من الشيطان". النهاية في غريب الحديث ٤٢٧٣. وقال في القاموس: "والهمة بالكسر - ويفتح: ما هم به من أمر ليفعل". القاموس المحيط ص ١٥١٢.." [(١)]

"وتتابعت بها الأخبار، وأنكروا شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم للمذنبين، ودفعوا الروايات في ذلك عن السلف المتقدمين، وجحدوا عذاب القبر، وأن الكفار في قبورهم يعذبون، وقد أجمع على ذلك الصحابة والتابعون، ودانوا بخلق القرآن، نظيرا لقول إخوانهم من المشركين الذين قالوا: ﴿إن هذا إلا قول البشر (٢٥) ﴾ [المدثر: ٢٥] [فزعموا أن القرآن كقول البشر] وأثبتوا أن العباد يخلقون الشر، نظيرا لقول المجوس الذين أثبتوا خالقين: أحدهما يخلق الخير [والآخر يخلق الشر، وزعمت القدرية أن الله عز وجل يخلق الخير] والشيطان يخلق الشر، وزعموا أن الله يشاء ما لا يكون، ويكون ما لا يشاء، خلافا لما أجمع عليه المسلمون، من أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وردا لقوله عز وجل ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾ [التكوير: ٢٩] فأخبر أنا لا نشاء شيئا [إلا] وقد شاء الله أن نشاءه، ولقوله

---

(١) النبوات لابن تيمية ابن تيمية ١٠٦٢/٢

﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا﴾ [البقرة: ٢٥٣] ولقوله: ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾ [السجدة: ١٣] ولقوله تعالى: ﴿فعال لما يريد (١٦) ﴾ [البروج: ١٦] ولقوله تعالى مخبرا عن نبيه «شعيب» أنه قال:." (١)

"﴿وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما﴾ [الأعراف: ٨٩] ولهذا سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مجوس هذه الأمة، لأنهم دانوا بديانة المجوس، وضاهوا أقاويلهم، وزعموا أن للخير والشر خالقين، كما زعمت المجوس ذلك، وأنه يكون من الشرور ما لا يشاء الله، كما قالت المجوس، و [زعموا] أنهم يملكون الضر والنفع لأنفسهم دون الله، ردا لقول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم، ﴿قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله﴾ [الأعراف: ١٨٨] وإعراضا عن القرآن، وعما أجمع عليه [أهل] الإسلام، وزعموا أنهم ينفردون بالقدرة على أعمالهم دون ربهم، فأثبتوا لأنفسهم الغنى عن الله، ووصفوا أنفسهم بالقدرة على ما لم يصفوا الله بالقدرة عليه، كما أثبت المجوس للشيطان من القدرة **على الشر ما** لم يثبتوه لله تعالى. فكانوا مجوس هذه الأمة، إذ دانوا بديانة المجوس، وتمسكوا بأقاويلهم، ومالوا إلى أضاليلهم، وقنطوا الناس من رحمة الله تعالى، وأيسوهم من روحه، وحكموا على العصاة بالنار والخلود فيها، خلافا لقوله تعالى: ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء: ١١٦] وزعموا أن من دخل النار." (٢)

"بعض رعيته عصوه، فعمد إلى ذلك الملك فقتله، أو عزله عن الملك بالكلية، وقال إنما فعلت ذلك إجلالا لقدره، لئلا يعصيه بعض رعيته.

ويحكى عن بعض الحمقى؛ أنه رأى ذبابا وقع على وجه مخدومه؛ فأخذ المداس فضرب به وجه مخدومه، ليطير عنه الذباب.

ومثل من كان له ميراث من أبيه، غصب بعض الناس شيئا منه، فقصد بعض الحكام أو بعض الشهود **[دفع] الشر عن** ذلك الوارث، ودفع تضرره بالغصب، فأثبت أنه ليس ابنه، وأنه لا يستحق شيئا من الميراث، وقال: إنه بهذا الطريق امتنع أن يكون مغصوبا، وزال تضرره بالغصب.

أو رجل كان له عقار عظيم، من مساكن وبساتين وغيرها، وله منافع عظيمة وحقوق كثيرة، قد غصبه بعض الناس بعضها، وهو متألم لذلك، فقام قوم من الحكام والشهود والأعوان، ليزيلوا عنه، فسعوا في أخذ ذلك العقار منه بالكلية، وإخراجه من ملكه ويده بلا فائدة حصلت له أصلا، وقالوا هذا العقار إذا كان له، فلا بد أن يؤخذ منه هذا الجزء اليسير فيتألم،." (٣)

"يدخلوا معهم في جوابه وحله، وقد لا يكون المجيب متمكنا من ذلك علما وبيانا، ولا ينقطع بذلك الخصم، ولا يهتدي لنقص قوى إدراكه أو سوء قصده، أو لاحتياج تحقيق ذلك إلى مقدمات متعددة وزمان طويل، وتقرير لتلك المقدمات بجواب ما ترد بها من ممانعة ومعارضة. فيتركوا أن يبدؤوهم من أول الأمر ببيان فساد هذه الحجة، وبيان

---

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ابن تيمية ١٠٤/١

(٢) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ابن تيمية ١٠٥/١

(٣) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ابن تيمية ٤٩٠/١

تناقضهم، وأن قائلها يلزمه إذا قال بها أعظم مما أنكره، فإذا تبين له فسادها وللمتكلمين معه: حصل دفع **هذا الشر وبطلان** هذا القول وهذه الحجة، وهو المقصود في هذا المقام، ثم بيان الحق وتكميله مقام آخر.

ومثال ذلك مثال من قدم العدو بلاده، فأخذ يبني ويغرس، ويعمر ما ينتفع به لنفسه، ويدفع به عدوه، قبل دفع العدو عن بلاده، فجعل كلما عمر شيئا خربه العدو، وهو غير متمكن من العمارة الثانية، فإذا كان قادرا من أول الأمر على دفع العدو كان ذلك أولى، وإن حصل له في ذلك نوع مشقة، فهي أخف من كل مشقة يلتزمها مع بقاء العدو ببلاده. والحجج الباطلة هي عدو الحق، فهي عدو في قلب الناظر بنفسه لطلب الحق، وقلبه كبلاده، وهي أيضا عدو له مع المناظر الذي يناظره، وسواء كان معاونا أو مغالبا؛ ولهذا ناظر إبراهيم الخليل بمثل هذه المناظرة المتضمنة قياس الأولى، وإلزام الخصم على قوله، أعظم مما ألزمه هو على قول خصمه، كما قال: ﴿وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم." [1]

"البشر وأثبتوا أن العباد **يخلقون الشر نظيرا** لقول المجوس الذين أثبتوا خالقين أحدهما يخلق الخير والآخر **يخلق الشر وزعمت** القدرية أن الله يخلق الخير وأن الشيطان **يخلق الشر وزعموا** أن الله تعالى يشاء ما لايكون ويكون ما لايشاء خلافا لما أجمع عليه المسلمون من أن الله ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وردا لقول الله تعالى وما تشاؤون إلا أن يشاء الله [الإنسان ٣٠] فأخبر الله أنا لانشاء شيئا إلا قد شاء الله أن نشاءه ولقوله ولو شاء الله ما اقتتلوا [البقرة ٢٥٣] وقوله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها [السجدة ١٣] وقوله تعالى فعال لما يريد ﴿١٦﴾ [البروج ١٦] ولقوله سبحانه وتعالى خبرا عن شعيب أنه قال وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله [الأعراف ٨٩] ولهذا سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مجوس هذه الأمة لأنهم دانوا بديانة المجوس وضاهوا." [2]

"قولهم وزعموا أن للخير والشر خالقين كما زعمت المجوس وأنه يكون **من الشر ما** لايشاء الله كما قالت المجوس ذلك وزعموا أنهم يملكون الضر والنفع لأنفسهم ردا لقول الله تعالى قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله [الأعراف ١٨٨] وانحرافا عن القرآن وعما أجمع المسلمون عليه وزعموا أنهم ينفردون بالقدرة على أعمالهم دون ربهم عز وجل فأثبتوا لأنفسهم غنى عن الله عز وجل ووصفوا أنفسهم بالقدرة على ما لم يصفوا الله بالقدرة عليه كما أثبت المجوس للشيطان من القدرة **على الشر ما** لم يثبتوه لله تعالى فكانوا مجوس هذه الأمة إذ دانوا بديانة المجوس وتمسكوا بأقوالهم ومالوا إلى أضاليلهم وقنطوا الناس من رحمة الله وأيسوهم من روح الله سبحانه وتعالى وحكموا." [3]

"الوجه الرابع عشر أنه لو كان الحجاب لغير جسم بطل ما ذكروه وإن كان لا يكون لجسم فقد تقدم أنه ليس في العقل ولا في الشرع ما ينفي الجسم وأن إطلاق القول بأن الله عز وجل ليس بجسم ولا جوهر بدعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها بل ذلك أعظم ابتداعا من القول بأنه جسم وجوهر وإذا كان هذا النفي بدعة باطلة لم يكن ذلك معارضا لما ثبت

---

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ابن تيمية ١/٤٩٢

(٢) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ابن تيمية ٢/٥٨٨

(٣) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ابن تيمية ٢/٥٨٩

بالكتاب والسنة وهذه الكلمة هي قول الجهمية المعطلة لما جاء به الكتاب والسنة ولما علم بضرورة العقل والنظر المعطلة في الحقيقة للرب المعبود ومعرفته وعبادته هي **أساس الشر والردة** والنفاق وإن كانت قد نفقت على طوائف من أهل الإيمان لم يعلموا ما قصدوا بها الذين." (١)

"يعاقبون على ذلك بأن يجعل في قلوبهم دواعي إلى الفسق الذي يستحقون به العذاب فهذا أمر المترفين بأن يفسقوا فيها وحينئذ يحق عليهم القول فيدمرها تدميرا فقوله تعالى وإذا أردنا أن نهلك قرية [الإسراء ١٦] دل على أن هذا الأمر أريد به إهلاكهم وأمر التكليف ليس كذلك وقوله تعالى أمرنا مترفيها دل على أنه ليس أمرا عاما وأمر التكليف ليس كذلك فالأمر بالإيمان والعمل الصالح عام لا يختص بالمترفين على أن مقصود الآية إنا لا نهلكهم إلا بذنوبهم كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (١٥) [الإسراء ١٥] فإذا أردنا إهلاكهم لم نهلكهم إلا بذنب بل يلهمهم فجورهم فيستحقون بذلك العذاب فقد تبين في نفس الآية أنه لم يرد أمر التكليف والتشريع الذي أرسل به الرسل فإنه لا يأمر أحدا بفسق ولا معصية وقد دل القرآن في غير موضع على أنه إنما يأمر بالأعمال الحسنة لا يأمر بالشر بل ينهى عن **أنواع الشر وما** يسمى فسقا ويذم ذلك ويتوعد عليه كما قال تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي [النحل ٩٠]." (٢)

"رسولا شاهدا عليكم [المزمل ١٥] والكوني وقوله أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا (٨٣) [مريم ٨٣] وبسط هذا له موضع آخر وأما الآية الأخرى فقوله تعالى نسوا الله فنسيهم [التوبة ٦٧] وقوله تعالى قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى (١٢٦) [طه ١٢٦] وقوله تعالى وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا [الجاثية ٣٤] لا يقتضي أنه لا يعلم أحوالهم بل الأمر كما قال السلف أنهم نسوا في الخير **دون الشر كما** روى ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس نسوا الله تركوا أنفسهم فنسيهم يقول تركهم من كرامته وثوابه وفي تفسير." (٣)

"سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال نسوا من كل خير ولم ينسوا **من الشر وهو** كما قالوا فإنه من المعلوم أنهم إذا عذبوا فهو الخالق لعذابهم وبمشيئته يكون والمشيئة مستلزمة للعلم فلا يشاء إلا ما علمه بل قدر ذلك وكتبه قبل أن يكون وهو عالم به وبكل شيء بعدما يكون كما أخبر في غير موضع أنه يعلم أحوال العبد واستعمال النسيان في مثل ذلك لا يستلزم عدم العلم." (٤)

"يذكر به المؤمنون من الجزاء بالحسنى بل ينسى فلا يذكر هذا الذكر وإن كان معلوما لله لا يجوز أن يكون مجهولا له وهو كما قال قتادة نسوا من الخير لم ينسوا **من الشر ومما** يبين هذا قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث

---

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ابن تيمية ١٢٧/٨

(٢) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ابن تيمية ٤٢٥/٨

(٣) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ابن تيمية ٤٢٩/٨

(٤) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ابن تيمية ٤٣٠/٨

الصحيح من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم فهذا الذكر هو جزاء ذكره وهو عالم به سواء ذكره أو لم يذكره ومن لم يذكر الله بل أعرض عن ذكره فإن الله." (١)

"قال الخلال: أخبرنا أبو بكر المروزي، قال: سمعت بعض المشيخة يقول: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: أنكر سفيان الثوري جبر وقال: الله جبل العباد.

قال المروزي: أظنه أراد قول النبي صلي الله عليه وسلم لأشج عبد القيس، يعني قوله الذي في صحيح مسلم: «إن فيك لخلقين يحبهما الله: الحلم والأناة.

فقال: أخلقين تخلقت بهما، أم خلقين جبلت عليهما؟ فقال: بل خلقين جبلت عليهما.

فقال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله» .

ولهذا احتج البخاري وغيره علي خلق أفعال العباد بقوله تعالى ﴿إن الإنسان خلق هلوعا * إذا **مسه الشر جزوعا** * وإذا مسه الخير منوعا﴾ [المعراج: ١٩-٢١] فأخبر تعالي أنه خلق الإنسان علي هذه الصفة.." (٢)

"بهذا التفسير، ولا يقدر على ذلك إلا الله تعالى، فإنه هو الذي جعل الراضي راضيا، والمحب محبا، والكاره كارها.

وقد يراد بالجبر نفس جعل العبد فاعلا، ونفس خلقه متصفا بهذه الصفات، كما في قوله تعالى: ﴿إن الإنسان خلق هلوعا * إذا **مسه الشر جزوعا** * وإذا مسه الخير منوعا﴾ [المعارج: ١٩-٢٠] .

فالجبر بهذا التفسير حق، ومنه قول محمد بن كعب القرظي في تفسير اسمه الجبار قال: هو الذي جبر العباد على ما أراد.

ومنه قول علي رضي الله عنه في الأثر المشهور عنه في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم داحي المدحوات، فاطر المسموكات، جبار القولب على فطراتها: شقيها وسعيدها فالأئمة منعت من إطلاق القول بإثبات لفظ الجبر أو نفيه بدعة يتناول حقا باطلا.

مثال ثالث: اللفظ بالقرآن

وكذلك مسألة اللفظ، فإنه لما كان السلف والأئمة متفقين على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وقد علم المسلمون أن القرآن بلغه جبريل عن الله إلي محمد صلى الله عليه وسلم وبلغه محمد إلي الخلق، وأن الكلام إذا بلغه المبلغ عن قائله لم يخرج عن كونه كلام المبلغ عنه، بل هو كلام لمن قاله مبتدئا، لا كلام من بلغه عنه مؤديا.." (٣)

"وقال تعالى ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم﴾ فصلت ٣٦.

وفي الصحيحين عن سليمان بن صردج قال ك استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم فجعل أحدهما يغضب

---

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ابن تيمية ٤٣٣/٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل ابن تيمية ٦٨/١

(٣) درء تعارض العقل والنقل ابن تيمية ٢٥٦/١

ويحمر وجهه فقال النبي صلى الله عليه وسلم «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا عنه أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فأمر الله تعالى العبد أن يستعيذ من الشيطان عند القراءة وعند الغضب ليصرف عنه شره عند وجود سبب الخير وهو القراءة ليصرف عنه ما يمنع الخير وعند وجود **سبب الشر ليمنع** ذلك السبب الذي يحدثه عند ذلك» .

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من قلب من قلوب العباد إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أن يقيمه أقامة وإن شاء أن يزيغه أزاغه.." (١)

"قديم واحد فالكلابية والأشعرية أثبتوا ذواتا قديمة قائمة بذات الباري تعالى منها ذات توجب أن يكون عالما ولولاها لم يكن عالما وذات توجب كونه قادرا ولولاها لم يكن قادرا وذات توجب كونه حيا ولولاها لم يكن حيا وكذلك القول في السمع والبصر والإرادة.

وأثبتت كلامه قديما وقالوا هذه المعاني لا هي الله ولا غيره ولا بعضه وكل منها ليس هو الآخر ولا غيره ولا بعضه وقالوا لو لم يكن في ذات الباري تعالى وحده لكان غير قادر ولا عالم ولا حي وعندنا أن الله تعالى قادر عالم حي لذاته ونعني بذلك أن ذاته متميزة عن سائر الذوات تمييزا يجب معه أن يعلم الأشياء ويقدر على ما لا نهاية له ويحيا ولا يحتاج إلى معنى به يقدر وإلى معنى به يعلم وإلى معنى به يحيا ولو لم يكن في الوجود إلا ذات الله تعالى فقط لكان عندنا عالما حيا قادرا سميعا بصيرا.

قال فإن قالوا لله علم وقدرة وحياة قيل لهم إن أردتم بذلك أنه قادر عالم حي فنعم لله علم بكل شيء وقدرة على كل شيء مما لا نهاية له بمعنى أنه عالم قادر حي وإن أردتم بالعلم ذاتا كان بها عالما ولولاها ما كان عالما تسمونها علما وأردتم بالقدرة ذاتا بالعلم قادرا تسمونها قدرة وأردتم بالحياة ذاتا بها كان حيا تسمونها حياة فالله تعالى مستغن عن ذلك.

قال وذهبت الثنوية إلى إثبات قديمين لا يقوم أحدهما بذات الآخر نور وظلمة ونسبوا الخير كله إلى النور **ونسبوا الشر كله** إلى." (٢)

"مقضيا * ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧١-٧٢] ، بيان فيه نعمة الله على المتقين: أنهم مع الورود والعبور عليها وسقوط غيرهم فيها نجوا منها، والنجاة **من الشر لا** تستلزم حصوله، بل تستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه أعداؤه ليهلكوه ولم يتمكنوا منه، يقال: نجاه الله منهم.

ولهذا قال تعالى: ﴿ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم﴾ [الأنبياء: ٧٦] .

ومعلوم أن نوحا لم يغرق ثم خلص.

بل نجي من الغرق الذي أهلك الله به غيره.

كما قال: ﴿فأنجيناه وأصحاب السفينة﴾ [العنكبوت: ١٥] .

وكذلك قوله عن لوط: ﴿ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث﴾ [الأنبياء: ٧٤] .

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ابن تيمية ٣/٣١٢

(٢) درء تعارض العقل والنقل ابن تيمية ٥/٣٧

ومعلوم أن لوطا لم يصبه العذاب الذي أصابهم من الحجارة والقلب وطمس الأبصار.

وكذلك قوله: ﴿ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ﴾ [هود: ٥٨] ، وقوله: ﴿فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ﴾ [هود: ٦٦] .." [١]

"وأمثال ذلك يبين سبحانه أنه نجى عباده المؤمنين من العذاب الذي أصاب غيرهم، وكانوا معرضين له، لولا ما خصهم الله من أسباب النجاة - لأصابهم ما أصاب أولئك.

فلفظ (النجاة من الشر) يقتضي انعقاد سبب الشر، لا نفس حصوله في المنجى.

فقوله تعالى: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ [مريم: ٧٢] ، لا يقتضي أنهم كانوا معذبين ثم نجوا، لكن يقتضي أنهم كانوا معرضين للعذاب الذي انعقد سببه، وهذا هو الورود.

فقوله صلى الله عليه وسلم: «لن يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة» ، لا ينافي هذا الورود، فإن مجرد الورود ليس بعذاب، بل هو تعريض للعذاب، وهو إنما نفى الدخول الذي هو العذاب، لم ينف التقريب من العذاب، ولا انعقاد سببه، ولا الدخول على سطح مكان العذاب.

ومع هذا لما اشتبه ذلك على امرأته، سألته عن ذلك، وذكرت ما يعارض خبره في فهمها، ولم تسكت، وقد كان يفعل الأمر فيسألونه: هل هو بوحي فيجب طاعته؟ أو هو رأي يمكن معارضته برأي أصلح منه؟ ويشيرون عليه في الرأي برأي آخر، فيقبل منهم ويوافقهم، كما سأله الحباب بن المنذر لما نزل ببدر فقال: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل الذي نزلته: أهو منزل أنزلكه الله، فليس لنا أن نتعداه، أم هو الرأي." [٢]

"الناس ثلاث طوائف: طائفة شكت لما رأت **وجود الشر والضرر** في العالم.

وطائفة قالت بالأصلين وهم الثنوية.

والطائفة الثالثة عللوا ما انخرم بعلل لم تشف غليل العقل - كما فعلت المعتزلة - فلما لم يستقم لهم التعليل، جنحوا وقالوا: خفي علينا وجه الحكمة فيما عرض في العالم من الفساد، فسلموا لمن استحق التسليم، وهو الصانع.

قال: (وهذه طائفة أهل الحديث) وهذا بناء على إثبات الحكمة والغاية والتعليل من حيث الجملة، والاعتراف بجهلة من جهة التفصيل، وذكر أن هذا منتهى كل عالم محق، وهذا مبلغ علم من انتهى إلى هنا.

ولابن عقيل أنواع من الكلام، فإنه كان من أذكياء العالم، كثير الفكر والنظر في كلام الناس، فتارة يسلك مسلك نفاة الصفات الخبرية، وينكر على من يسميها صفات، ويقول: إنما هي إضافات، موافقة للمعتزلة، كما فعله في كتابه ذم التشبيه وإثبات التنزيه وغيره من كتبه، واتبعه على ذلك أبو الفرج بن الجوزي في كتابه كف التشبيه بكف التنزيه) في كتابه منهاج الوصول، وتارة يثبت." [٣]

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ابن تيمية ٧/٥٠

(٢) درء تعارض العقل والنقل ابن تيمية ٧/٥١

(٣) درء تعارض العقل والنقل ابن تيمية ٨/٦٠

"ومشركو العرب كانوا خيرا في التوحيد من هؤلاء، فإن هؤلاء غايتهم أن يثبتوا أسبابا لبعض الموجودات.

لكن الأسباب لا تستقل، بل تفتقر إلى مشارك، وانتفاء معارض، وقد يثبتون أسبابا وعللا لا حقيقة لها، كالعقول التي يزعمون أنها أبدعت ما سواها.

وأما المجوس الثنوية فهم أشهر الناس قولا بإلهين، لكن القوم متفقون على أن الإله الخير المحمود هو النور الفاعل للخيرات، وأما الظلمة -التي هي فاعل الشرور- فلهم فيها قولان: أحدهما: أنه محدث حدث عن فكرة رديئة من النور. وعلى هذا فتكون الظلمة مفعولا للنور.

لكنهم جهال أرادوا تنزيه الرب عن فعل شر معين، فجعلوه فاعلا لأصل الشر، ووصفوه بالفكرة الرديئة التي هي من أعظم النقائص، وجعلوها سببا لحدوث أصل الشر.

والقول الآخر قولهم: إن الظلمة قديمة كالنور.

فهؤلاء أثبتوا قديمين، لكن لم يجعلوها متماثلين ولا مشتركين في الفعل، بل يمدحون أحدهما ويذمون الآخر.

ولذلك من قال من الملاحدة كمحمد بن زكريا الرازي الطبيب." (١)

"ومنها: أن ما ذكره من المقدمة الأولى اللزومية مما ينازعهم فيه كثير من الناس.

ومنها: أن كون تلك اللوازم نقصا مما ينازع فيه كثير من الناس.

ومنها: أنه يستفصل عن الحدود المذكورة في المقدمتين، فإنها ألفاظ مجملة، وحينئذ فلا بد من منع الملزوم، أو انتفاء اللازم، فإما أن لا يسلم ما ذكروه عن اللزوم، وإما أن لا يسلم ما ذكروه من انتفاء اللازم.

ومنها: بيان أن لوازم العلم كلها كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه.

ومنها: أن ما ذكره مبني على وجوب ثبوت الكلام للرب تعالى وتنزيهه عن النقص، وهذا حق كما قررناه في غير موضع، وبينا أن الكمال الممكن وجوده، الذي لا نقص فيه بوجه، يجب إثباته لله تعالى، وأن العلم من أعظم الكمالات الذي لا نقص فيه بوجه، وقد وجد العلم في الوجود، فثبوته له أولى من ثبوته لغيره، وأن العلم من حيث هو علم لا يستلزم نقصا أصلا، ولكن النفوس الظالمة إذا علمت بعض الأشياء فقد تستعين بالعلم على الظلم، والنفوس الجاهلة به إذا عرفت بعض الحقائق، فقد يضرها معرفة تلك الحقائق، فيحصل الضرر لما في النفوس من الشر.

أما المقدس المنزه عن كل عيب، فعلمه من تمام كماله، وهو مما يحمد به ويثنى به عليه، لا يستلزم الذم والنقص بوجه من الوجوه، فكيف إذا علم وجود العالم وامتناع وجوده بدون العلم وامتناع كونه فاعلا لشيء إلا مع علمه به؟ إلى غير ذلك من الدلائل البرهانية المثبتة لوجوب كونه تعالى عليما بكل شيء.." (٢)

"وقال معاوية لابن عباس أنت على ملة علي فقال لا على ملة علي ولا على ملة عثمان أنا على ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ابن تيمية ٣٤٦/٩

(٢) درء تعارض العقل والنقل ابن تيمية ٤١٤/٩

وكانت الشيعة أصحاب علي يقدمون عليه أبا بكر وعمر وإنما كان النزاع في تقدمه على عثمان ولم يكن حينئذ يسمى أحد لا إماميا ولا رافضا وإنما سموا رافضة وصاروا رافضة لما خرج زيد بن علي بن الحسين بالكوفة في خلافة هشام فسألته الشيعة عن أبي بكر وعمر فترحم عليهم فرفضه قوم فقال رفضتموني رفضتموني فسموا رافضة وتولاه قوم فسموا زيدية لانتسابهم إليه ومن حينئذ انقسمت الشيعة إلى رافضة إمامية وزيدية وكلما زادوا في البدعة زادوا **في الشر فالزيدية** خير من الرافضة أعلم وأصدق وأزهد وأشجع

ثم بعد أبي بكر عمر بن الخطاب وهو الذي لم تكن تأخذه في الله لومة لائم وكان أزهد الناس باتفاق الخلق كما قيل فيه رحم الله عمر لقد تركه الحق ماله من صديق

فصل

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى

هذه تفسير آيات أشكلت حتى لا يوجد في طائفة من كتب التفسير إلا ما هو خطأ

منها قوله تعالى ﴿وعبد الطاغوت﴾ والصواب عطفه على قوله ﴿من لعنه الله﴾ فعل ماض معطوف على ما قبله من الأفعال الماضية لكن المتقدمة الفاعل الله مظهرا أو مضمرا وهذا الفعل اسم من عبد الطاغوت وهو الضمير في عبد ولم يعد حرف من لأن هذه الأفعال لصنف واحد وهم اليهود والله أعلم

فصل في بطلان الاستدلال بالمتشابه

قال تعالى ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون﴾." (١)

"وتارة يخدم هؤلاء لهؤلاء في أغراضهم وهؤلاء لهؤلاء في أغراضهم فالجن تأتيه بما يريد من صورة أو مال أو قتل عدوه والإنس تطيع الجن فتارة يسجد له وتارة لما يأمره بالسجود له وتارة يمكنه من نفسه فيفعل به الفاحشة وكذلك الجينات منهن من يريد من الإنس الذي يخدمنه ما يريد نساء الإنس من الرجال وهذا كثير في رجال الجن ونسائهم فكثير من رجالهم ينال من نساء الإنس ما يناله الإنسي وقد يفعل ذلك بالذكران

وصرع الجن للإنس هو لأسباب ثلاثة

تارة يكون الجني يحب المصروع ليتمتع به وهذا الصرع يكون أرفق من غيره وأسهل

وتارة يكون الإنسي آذاهم إذا بال عليهم أو صب عليهم ماء حارا أو يكون قتل بعضهم أو غير ذلك من أنواع الأذى هذا أشد الصرع وكثيرا ما يقتلون المصروع

وتارة يكون بطريق العبث به كما يعبث سفهاء الإنس بأبناء السبيل

ومن استمتاع الإنس والجن استخدامهم في الإخبار بالأمور الغائبة كما يخبر الكهان فإن في الإنس من له غرض في هذا لما يحصل به من الرياسة والمال وغير ذلك فإن كان القوم كفارا كما كانت العرب لم تبال بأن يقال أنه كاهن كما

---

(١) دقائق التفسير ابن تيمية ٦٤/٢

كان العرب كهانا وقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وفيها كهان وكان المنافقون يطلبون التحاكم إلى الكهان وكان أبو ابرق الأسلمي أحد الكهان قبل أن يسلم وإن كان القوم مسلمين لم يظهر أنه كاهن بل يجعل ذلك من باب الكرامات وهو من جنس الكهان فإنه لا يخدم الإنسي بهذه الأخبار إلا لما يستمتع به من الإنسي بأن يطيعه الإنسي في بعض ما يريده إما في شرك وإما في فاحشة وإما في أكل حرام وإما في قتل بغير حق فالشياطين لهم غرض فيما نهى الله عنه من الكفر والفسوق والعصيان ولهم لذة **في الشر والفتن** يحبون ذلك وإن لم يكن فيه منفعة لهم وهم يقومون بأمر السارق أن يسرق ويذهب إلى أهل المال فيقولون فلان سرق متاعكم ولهذا يقال القوة الملكية والبهيمية والسبعية والشيطانية فإن الملكية فيها العلم النافع والعمل الصالح والبهيمية فيها الشهوات كالأكل والشرب والسبعية فيها الغضب وهو دفع المؤذي وأما الشيطانة فشر محض ليس فيها جلب منفعة ولا دفع مضرة

والفلاسفة ونحوهم ممن لا يعرف الجن والشياطين لا يعرفون هذه وإنما يعرفون الشهوة والغضب والشهوة والغضب خلقا لمصلحة ومنفعة لكن المذموم هو العدوان فيهما وأما الشيطان فيأمر بالشر الذي لا منفعة فيه ويحب ذلك كما فعل إبليس بآدم لما وسوس له وكما امتنع من السجود له فالحسد يأمر به الشيطان والحاسد لا ينتفع بزوال النعمة عن المحسود." (١)

"إلى الحواريين وكلمهم ووصاهم وهذا مذكور في أناجيلهم وكلها تشهد بذلك وذاك الذي جاء كان شيطانا قال أنا المسيح ولم يكن هو المسيح نفسه ويجوز أن يشتبه مثل هذا على الحواريين كما اشتبه على كثير من شيوخ المسلمين ولكن ما أخبرهم المسيح قبل أن يرفع بتبليغه فهو الحق الذي يجب عليهم تبليغه ولم يرفع حتى بلغ رسالات ربه فلا حاجة إلى مجيئه بعد أن رفع إلى السماء

وأصحاب الحلاج لما قتل كان يأتيهم من يقول أن الحلاج فيرونه في صورته عيانا وكذلك شيخ بمصر يقال له الدسوقي بعد أن مات كان يأتي أصحابه من جهته رسائل وكتب مكتوبة وأراني صادق من أصحابه الكتاب الذي أرسله فرأيته بخط الجن وقد رأيت خط الجن غير مرة وفيه كلام من كلام الجن وذاك المعتقد يعتقد أن الشيخ حي وكان يقول انتقل ثم مات وكذلك شيخ آخر كان بالمشرق وكان له خوارق من الجن وقيل كان بعد هذا يأتي خواص أصحابه في صورته فيعتقدون أنه هو وهكذا الذين كانوا يعتقدون بقاء علي أو بقاء محمد بن الحنفية قد كان يأتي إلى بعض أصحابهم جني في صورته وكذا منتظر الرافضة قد يراه أحدهم أحيانا ويكون المرئي جنيا جنيا فهذا باب واسع واقع كثيرا وكلما كان القوم أجهل كان عندهم أكثر ففي المشركين أكثر مما في النصارى وهو في النصارى كما هو في الداخلين في الإسلام وهذه الأمور يسلم بسببها ناس ويتوب بسببها ناس يكونون أضل من أصحابها فينتقلون بسببها إلى ما هو خير مما كان عليه كالشيخ الذي فيه كذب وفجور من الإنس قد يأتيه قوم كفار فيدعوهم إلى الإسلام فيسلمون ويصيرون خيرا مما كانوا وإن كان قصد ذلك الرجل فاسدا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم وهذا كان كالحجج والأدلة التي يذكرها كثير من أهل الكلام والرأي فإنه ينقطع بها كثير من أهل الباطل

---

(١) دقائق التفسير ابن تيمية ٢/١٣٧

ويقوى بها قلوب كثير من أهل الحق وإن كانت في نفسها باطلة فغيرها أبطل منها والخير والشر درجات فينتفع بها أقوام ينتقلون مما كانوا عليه إلى ما هو خير منه وقد ذهب كثير من مبتدعة المسلمين من الرافضة والجهمية وغيرهم إلى بلاد الكفار فأسلم على يديه خلق كثير وانتفعوا بذلك وصاروا مسلمين مبتدعين وهو خير من أن يكونوا كفارا وكذلك بعض الملوك قد يغزو غزوا يظلم فيه المسلمين والكفار ويكون آثما بذلك ومع هذا فيحصل به نفع خلق كثير كانوا كفارا فصاروا مسلمين وذاك كان شرا بالنسبة إلى القائم بالواجب وأما بالنسبة إلى الكفار فهو خير وكذلك كثير من الأحاديث الضعيفة في الترغيب والترهيب والفضائل والأحكام والقصص قد يسمعها أقوام فينتقلون بها إلى خير مما كانوا عليه وإن كانت كذبا وهذا كالرجل يسلم رغبة في الدنيا ورهبة من السيف ثم إذا أسلم وطال مكثه بين المسلمين دخل الإيمان في قلبه فنفس ذلك الكفر الذي كان عليه وانتهاره ودخوله في حكم المسلمين خير من أن يبقى كافرا فانتقل إلى خير مما كان عليه **وخف الشر الذي** كان فيه ثم." (١)

"والسنة في هذا وغيره هي في الرافضة أكثر منها في أهل السنة فما يوجد في أهل السنة **من الشر ففي** الرافضة أكثر منه وما يوجد في الرافضة من الخبر ففي أهل السنة أكثر منه

وهذا حال أهل الكتاب مع المسلمين فما يوجد في المسلمين شر إلا وفي أهل الكتاب أكثر منه ولا يوجد في أهل الكتاب خير إلا وفي المسلمين أعظم منه

ولهذا يذكر سبحانه وتعالى مناظرة الكفار من المشركين وأهل الكتاب بالعدل فإذا ذكروا عيبا في المسلمين لم يبرئهم منه لكن يبين أن عيوب الكفار أعظم

كما قال تعالى ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير﴾ ثم قال ﴿وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل﴾ سورة البقرة ٢١٧ وهذه الآية نزلت لأن سرية من المسلمين ذكر أنهم قتلوا ابن الحضرمي في آخر يوم من رجب فعابهم المشركون بذلك فأنزل الله هذه الآية." (٢)

"من البيان والتعجيز ما لا يعلمه إلا الله وفيها من المواعظ والحكم والترغيب والترهيب ما لا يقدر قدره إلا الله والمقصود هنا هو الكلام على قوله ﴿أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه﴾ حيث سأل السائل عن تفسيرها وذكر ما في التفاسير من كثرة الاختلاف فيها وأن ذلك الاختلاف يزيد الطالب عمى عن معرفة المراد الذي يحصل به الهدى والرشاد فإن الله تعالى إنما نزل القرآن ليهتدي به لا ليختلف فيه والهدى إنما يكون إذا عرفت معانيه فإذا حصل الاختلاف المضاد لتلك المعاني التي لا يمكن الجمع بينه وبينها ولم يعرف الحق ولم تفهم الآية ومعناها ولم يحصل به الهدى والعلم الذي هو المراد بإنزال الكتاب

قال أبو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن عثمان بن عثمان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا

---

(١) دقائق التفسير ابن تيمية ٢/١٤٣

(٢) دقائق التفسير ابن تيمية ٢/١٥٣

إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيه، من العلم والعمل قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا

وقال الحسن البصري ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يعلم في ماذا نزلت وماذا عنى بها وقد قال تعالى ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ وتدبر الكلام إنما ينتفع به إذا فهم وقال ﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾

فالرسل تبين للناس ما أنزل إليهم من ربهم وعليهم أن يبلغوا الناس البلاغ المبين والمطلوب من الناس أن يعقلوا ما بلغه الرسل والعقل يتضمن العلم والعمل فمن عرف الخير والشر فلم يتبع الخير **ويحذر الشر لم** يكن عاقلا ولهذا لا يعد عاقلا إلا من فعل ما ينفعه واجتنب ما يضره فالمجنون الذي لا يفرق بين هذا وهذا قد يلقي نفسه في المهالك وقد يفر مما ينفعه

فصل

قال تعالى ﴿خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء﴾ سورة هود ٧ وأخبر أنه ﴿استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾ سورة فصلت ١١

وقد ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان." (١)

"يشهدون القدر فقط فيكون عندهم من الاستعانة والتوكل والصبر ما ليس عند أولئك لكنهم لا يلتزمون أمر الله ورسوله واتباع شريعته وملازمة ما جاء به الكتاب والسنة من الدين فهؤلاء يستعينون الله ولا يعبدونه والذين من قبلهم يريدون أن يعبدوه ولا يستعينوه والمؤمن يعبده ويستعينه

والقسم الرابع شر الأقسام وهو من لا يعبده ولا يستعينه فلا هو مع الشريعة الأمرية ولا من القدر الكوني وانقسامهم إلى هذه الأقسام هو فيما يكون قبل وقوع المقدور من توكل واستعانة ونحو ذلك وما يكون بعده من صبر ورضا ونحو ذلك فهم في التقوى وهي طاعة الأمر الديني والصبر على ما يقدر عليه من القدر الكوني أربعة أقسام

أحدها أهل التقوى والصبر وهم الذين أنعم الله عليهم من أهل السعادة في الدنيا والآخرة

والثاني الذين لهم نوع من التقوى بلا صبر مثل الذين يمتثلون ما عليهم من الصلاة ونحوها ويتركون المحرمات لكن إذا أصيب أحدهم في بدنه بمرض ونحوه أو في ماله أو في عرض أو ابتلي بعدو يخيفه عظم جزعه وظهر هلعه

والثالث قوم له نوع من الصبر بلا تقوى مثل الفجار الذين يصبرون على ما يصيبهم في مثل أهوائهم كاللصوص والقطاع الذين يصبرون على الآلام في مثل ما يطلبونه من الغصب وأخذ الحرام والكتاب وأهل الديوان الذين يصبرون على ذلك في طلب ما يحصل لهم من الأموال بالخيانة وغيرها وكذلك طلاب الرئاسة والعلو على غيرهم يصبرون من ذلك على أنواع من الأذى التي لا يصبر عليها أكثر الناس وكذلك أهل المحبة للصور المحرمة من أهل العشق وغيرهم يصبرون في مثل ما يهوونه من المحرمات على أنواع من الأذى والآلام وهؤلاء هم الذين يريدون علوا في الأرض أو فسادا من طلاب

---

(١) دقائق التفسير ابن تيمية ٢٢٧/٢

الرئاسة والعلو على الخلق ومن طلاب الأموال بالبغي والعدوان والاستمتاع بالصور المحرمة نظرا أو مباشرة وغير ذلك يصبرون على على أنواع من المكروهات ولكن ليس لهم تقوى فيما تركوه من المأمور وفعلوه من المحظور وكذلك قد يصبر الرجل على ما يصيبه من المصائب كالمرض والفقر وغير ذلك ولا يكون فيه تقوى إذا قدر

وأما القسم الرابع فهو شر الأقسام لا يتقون إذا قدروا ولا يصبرون إذا ابتلوا بل هم كما قال الله تعالى ﴿إن الإنسان خلق هلوعا إذا **مسه الشر جزوعا** وإذا مسه الخير منوعا﴾." (١)

"قيل لولا دعاؤكم إياه وقيل لولا دعاؤه إياكم فإن المصدر يضاف إلى الفاعل تارة وإلى المفعول تارة ولكن إضافته إلى الفاعل أقوى لأنه لا بد له من فاعل فلهذا كان هذا أقوى القولين أي ما يعبأ بكم لولا أنكم تدعونه فتعبدونه وتسألونه ﴿فقد كذبتم فسوف يكون لزاما﴾ أي عذاب لازم للمكذبين

ولفظ الصلاة في اللغة أصله الدعاء وسميت الصلاة دعاء لتضمنها معنى الدعاء وهو العبادة والمسألة

وقد فسر قوله تعالى ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ بالوجهين قيل اعبدوني وامتثلوا أمري أستجب لكم كما قال تعالى ﴿ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي يستجيب لهم وهو معروف في اللغة يقال استجابه واستجاب له كما قال الشاعر

... وداع دعايا من يجيب إلى الندى ... فلم يستجبه عند ذاك مجيب ...

وقيل سلوني أعطكم

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسالني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له فذكر أولا لفظ الدعاء ثم ذكر السؤال والاستغفار والمستغفر سائل كما أن السائل داع لكن ذكر السائل **لدفع الشر بعد** السائل الطالب للخير وذكرهما جميعا بعد ذكر الداعي الذي تناولهما وغيرهما فهو من باب عطف الخاص على العام

وقال تعالى ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾

وكل سائل راغب راهب فهو عابد للمسؤول ولك عابد له فهو أيضا راغب وراهب يرجو رحمته ويخاف عذابه فكل عابد سائل وكل سائل عابد فأحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه ولكن إذا جمع بينهما فإنه يراد بالسائل الذي يطلب جلب المنفعة ودفع المضرة بصيغ السؤال والطلب ويراد بالعابد من يطلب ذلك بامتثال الأمر وإن لم يكن في ذلك صيغ سؤال

والعابد الذي يريد وجه الله والنظر إليه هو أيضا راج خائف راغب راهب يرغب في حصول مراده ويرهب من فواته قال تعالى ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا﴾ وقال تعالى ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم

---

(١) دقائق التفسير ابن تيمية ٢/٢٩٨

خوفا وطمعا﴾ ولا يتصور أن يخلو داع لله دعاء عبادة أو دعاء مسألة من الرغب والرهب من الخوف والطمع وما يذكر عن بعض الشيوخ أنه جعل الخوف والرجاء من مقامات العامة فهذا قد يفسر." (١)

"ووصف الحاجة والافتقار هو سؤال بالحال وهو أبلغ من جهة العلم والبيان

وذلك أظهر من جهة القصد والإرادة فلهذا كان غالب الدعاء من القسم الثاني لأن الطالب السائل يتصور مقصوده ومراده فيطلبه ويسأله فهو سؤال بالمطابقة والقصد الأول وتصريح به باللفظ وإن لم يكن فيه وصف لحال السائل والمسؤول فإن تضمن وصف حالهما كان أكمل من النوعين فإنه يتضمن الخبر والعلم المقتضى للسؤال والإجابة ويتضمن القصد والطلب الذي هو نفس السؤال فيتضمن السؤال والمقتضى له والإجابة كقول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لما قال له علمني دعاء أدعو به في صلاتي فقال قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم أخرجاه في الصحيحين

فهذا فيه وصف العبد لحال نفسه المقتضي حاجته إلى المغفرة وفيه وصف ربه الذي يوجب أنه لا يقدر على هذا المطلوب غيره وفيه التصريح بسؤال العبد لمطلوبه وفيه بيان المقتضى للإجابة وهو وصف الرب بالمغفرة والرحمة فهذا ونحوه أكمل أنواع الطلب

وكثير من الأدعية يتضمن بعض ذلك كقول موسى عليه السلام ﴿أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين﴾ فهذا طلب ووصف للمولى بما يقتضي الإجابة وقوله ﴿رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي﴾ فيه وصف حال النفس والطلب وقوله ﴿إني لما أنزلت إلي من خير فقير﴾ فيه الوصف المتضمن للسؤال بالحال فهذه أنواع لكل نوع منها خاصة يبقى أن يقال فصاحب الحوت ومن أشبهه لماذا ناسب حالهم صيغة الوصف والخبر دون صيغة الطلب

فيقال لأن المقام مقام اعتراف بأن ما أصابني **من الشر كان** بذنبي **فأصل الشر هو** الذنب والمقصود دفع الضر والاستغفار جاء بالقصد الثاني فلم يذكر صيغة طلب كشف الضر لاستشعاره أنه مسيء ظالم وهو الذي أدخل الضر على نفسه فناسب حاله أن يذكر ما يرفع سببه من الاعتراف بظلمه ولم يذكر صيغة طلب المغفرة لأنه مقصود للعبد المكروب بالقصد الثاني بخلاف كشف الكرب فإنه مقصود له في حال وجوده بالقصد الأول إذ النفس بطبعها تطلب ما هي محتاجة إليه من زوال الضرر الحاصل من الحال قبل طلبها زوال ما تخاف وجوده من الضرر في المستقبل بالقصد الثاني والمقصود الأول في هذا المقام هو المغفرة وطلب كشف الضر فهذا مقدم في قصده وإرادته وأبلغ ما ينال به رفع سببه فجاء بما يحصل مقصوده." (٢)

"بسم الله الرحمن الرحيم

سورة غافر

فصل

---

(١) دقائق التفسير ابن تيمية ٣٥٩/٢

(٢) دقائق التفسير ابن تيمية ٣٦٣/٢

قوله تعالى ﴿ادعوني أستجب لكم﴾

سئل شيخ الإسلام فقيل له

قوله إذا جف القلم بما هو كائن فما معنى قوله ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ وإن كان الدعاء أيضا مما هو كائن فما فائدة الأمر به ولا بد من وقوعه

فيقال الدعاء في اقتضائه الإجابة كسائر الأعمال الصالحة في اقتضائها الإثابة وكسائر الأسباب في اقتضائه المسببات ومن قال إن الدعاء علامة ودلالة محضة على حصول المطلوب المسؤول ليس بسبب أو هو عبادة محضة لا أثر له في حصول المطلوب وجودا ولا عدما بل ما يحصل بالدعاء يحصل بدونه فهما قولان ضعيفان فإن الله علق الإجابة به تعليق المسبب بالسبب كقوله ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه بها إحدى خصال ثلاث إما أن يعجل له دعوته وإما أن يدخر له من الخير مثلها وإما أن يصرف عنه **من الشر مثلها** قالوا يا رسول الله إذا نكثر قال الله أكثر فعلق العطايا بالدعاء تعليق الوعد والجزاء بالعمل المأمور به وقال عمر بن الخطاب إني لا أحمل هم الإجابة وإنما أحمل هم الدعاء فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه وأمثال ذلك كثير

وأيضا فالواقع المشهود يدل على ذلك وبينه كما يدل على ذلك مثله في سائر أسباب وقد أخبر سبحانه من ذلك ما أخبر به في مثل قوله ﴿ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون﴾ وقوله تعالى." (١)

"الرعد ١٣ ٢٩ فإنه يكون من جنفى السابقين الأولين الذين اتبعوه لما كان غريبا وهم أسعد الناس أما في الآخرة فهم أعلى الناس درجة بعد الانبياء عليهم السلام

وأما في الدنيا فقد قال تعالى ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ الانفال ٨ ٦٤ أي ان الله حسبك وحسب متبعك وقال تعالى ﴿إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين﴾ الأعراف ٧ ١٩٦ وقال تعالى ﴿أليس الله بكاف عبده﴾ الزمر ٣٩ ٣٦ وقال ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ الطلاق ٦٥ ٢ ٣ فالمسلم المتبع للرسول الله تعالى حسبه وكافيه وهو وليه حيث كان ومتى كان ولهذا يوجد المسلمون المتمسكون بالاسلام في بلاد الكفر لهم السعادة كلما كانوا أتم تمسكا بالاسلام فإن دخل عليهم شر كان بذنوبهم حتى ان المشركين وأهل الكتاب إذا رأوا المسلم القائم بالاسلام عظموه وأكرموه وأعفوه من ال أعمال التي يستعملون بها المنتسبين إلى ظاهر الاسلام من غير عمل بحقيقته لم يكرم

وكذلك كان المسلمون في أول الاسلام وفي كل وقت

فإنه لا بد أن يحصل للناس في الدنيا شر ولله على عباده نعم **لكن الشر الذي** يصيب المسلم أقل والنعم التي تصل إليه أكثر فكان المسلمون في أول الاسلام وان ابتلوا بأذى الكفار والخروج من الديار فالذي حصل للكفار الهلاك كان أعظم بكثير والذي كان يحصل للكفار من عز أو مال كان يحصل للمسلمين أكثر منه حتى من الاجانب

---

(١) دقائق التفسير ابن تيمية ٢/٥١٧

فرسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما كان المشركون يسعون في أذاه بكل طرق كان الله يدفع عنه ويعزه ويمنعه وينصره من حيث كان أعز قريش ما منهم الا من كان يحصل له من يؤذيه ويهينه من لا يمكنه دفعه إذ لكل كبير كبير يناظره ويناويه ويعاديه وهذه حال من." (١)

"فأكرمهما الله بما أكرمهما به من الإبتلاء، ليرفع درجاتهما.

وذلك من كرامتهما عليه لا من هوانهما عنده، كما أكرم حمزة عليا وجعفرا وعمر وعثمان وغيرهم بالشهادة.

* وفي المسند وغيره: عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها الحسين عن النبي (ص) أنه قال: (ما من مسلم يصاب بمصيبة فيذكر مصيبة، وإن قدمت، فيحدث لها استرجاعا (١) ، إلا أعطاء الله من الأجر مثل أجره يوم أصيب بها) .

فهذا الحديث رواه الحسين، وعنه بنته فاطمة التي شهدت مصرعه.

وقد علم الله أن مصيبة تذكر على طول زمان.

* فالمشروع إذا ذكرت المصيبة وأمثالها أن يقال: * (إنا لله وإنا إليه

راجعون) * (اللهم آجرنا في مصيبتنا واخلف لنا خيرا منها) .

قال تعالى: * (وبشر الصابرين.

الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون) * قال تعالى: * (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وألئك هم المهتدون) *.

* والكلام في أحوال الملوك على سبيل التفصيل: متعسر أو متعذر، لكن يعلم من حيث الجملة، وهم أنهم هم وغير هم من الناس ممن له حسنات وسيئات يدخلون بها في نصوص الوعد (٢) ، أو نصوص الوعيد (٣) .

* وتناول نصوص الوعد للشخص مشروط بأن يكون عمله خالصا لوجه

---

(١) الإستراجاع: أن يقول عند نزول المصيبة (إنا لله وإنا إليه راجعون) وقد قال (ص) : - (ليسترجع أحدكم في كل شئ حتى في شسع نعله فإنها من المصائب) رواه ابن السني في عمل (اليوم (والليلة) رقم ٣٥٤ وفي سند يحيى بن عبد الله التيمي لم يوثقه غير ابن حبان وباقي رجاله ثقات.

وقال تعالى: - (وبشر الصابرين، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون) البقرة (٢ / ١٥٥) و (٢ / ١٥٦) (٢) ، (٣) وعد: وأوعد تقال في الخير والشر أما الوعيد والإيعاد ففي الشر.

راجع المختار ص ٧٢٨ بتصرف.

(*)."(٢)

---

(١) دقائق التفسير ابن تيمية ١١٥/٣

(٢) رأس الحسين ابن تيمية ص/٢٠٢

"* فهؤلاء ونحوهم فيما شجر بينهم: إما أن يكون عمل أحدهم سعيا مشكورا أو ذنبا مغفورا، أو اجتهادا قد عفي لصاحبه عن الخطأ فيه، فلهذا كان من أصول أهل العلم: أنه لا يمكن أحد من الكلام في هؤلاء بكلام يقدح في عدالتهم وديانتهم، بل يعلم أنهم عدول مرضيون، رضي الله عنهم وأرضاهم – لا سيما والمنقول عنهم من العظائم كذب مفتري، مثلما كان طائفة من شيعة عثمان يتهمون عليا بأنه أمر بقتل عثمان، أو أعان عليه، وكان بعض من يقاتله يظن ذلك فيه، وكان ذلك من شبههم التي قاتلوه بها وهي شبهة باطلة.

وكان علي يحلف – وهو الصادق البار –: (إني ما قتلت عثمان، ولا أعنت على قتله) ويقول (اللهم شئت قتلة عثمان في البر والبحر والسهل والجبل) وكانوا يجعلون امتناعه من تسليم قتله عثمان من شبههم في قتاله.

وعلي لم يكن متمكنا من أن يعمل.

كل ما يريده من إقامة الحدود، ونحو ذلك، لكون الناس مختلفين ملتاث أمرهم، وعسكره وأمراء عسكره غير مطيعين له في كل ما كان يأمرهم به.

فإن التفرق والاختلاف يقوم فيه **من الشر والفساد** وتعطيل الأحكام ما يعلمه من يكون من العلم العارفين بما جاء من النصوص في فضل الجماعة والإسلام.

* ويزيد بن معاوية: قد أتى أمورا منكرة منها: وقعة الحرة، وقد جاء في الصحيح عن علي رضي الله عنه عن النبي (ص) قال: (المدينة حرم ما بين عاثر إلى كذا.

من أحدث فيها حدثا، أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا) وقال (من أراد أهل المدينة بسوء أماعه الله كما ينماع الملح في الماء) .

* ولهذا قيل للإمام أحمد: أتكتب الحديث عن يزيد؟ فقال: لا، ولا

كرامة أو ليس هو الذي فعل بأهل الحرة ما فعل؟.

وقيل له: إن قوما يقولون: إنا نحب يزيد: فقال: وهل يحب يزيد أحد يؤمن بالله واليوم الآخر؟ فقيل: فلماذا لا تلعنه؟ فقال: ومتى رأيت أباك يلعن أحدا.

انتهى.." (١)

"وهي: [أفعاله الاختيارية] ولا يكون معضولا عما يتركه فيبغضه ويكرهه ولا يريده وهي [تروكه الاختيارية] .

وأما [الأوزاعي] فإنه منع من اطلاق هذا اللفظ، وإن عنى به هذا المعنى حيث لم يكن له أصل في الكتاب والسنة؛ فيفضي إلى إطلاق لفظ مبتدع ظاهر في إرادة الباطل. وذلك لا يسوغ. وإن قيل: أنه أريد به معنى صحيح.

قال الخلال: أنبأنا المروذي قال سمعت بعض المشيخة يقول: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: أنكر سفيان الثوري الجبر، وقال: الله تعالى جبل العباد. قال المروذي: أظنه أراد قول النبي صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس يعني قوله الذي في صحيح مسلم " إن فيك لخلقين يحبهما الله الحلم والأناة. فقال: أخلقين تخلقت بهما، أم خلقين جبلت

---

(١) رأس الحسين ابن تيمية ص/٢٠٥

عليهما. فقال: بل خلقين جبلت عليهما فقال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله تعالى ". ولهذا احتج البخاري وغيره على خلق الأفعال بقوله تعالى: ﴿إن الإنسان خلق هلوعا إذا **مسه الشر جزوعا** وإذا مسه الخير منوعا﴾ [المعارج: ١٩: ٢١] فأخبر تعالى أنه خلق الإنسان على هذه الصفة.

وجواب الأوزاعي أقوم من جواب الزبيدي؛ لأن الزبيدي نفى الجبر، والأوزاعي منع إطلاقه، إذ هذا اللفظ يحتمل معنى صحيحا، فنفيه قد يقتضي نفي الحق والباطل، كما ذكر الخلال ما ذكره عبد الله بن أحمد في كتاب [السنة] فقال: ثنا محمد بن بكار ثنا أبو معشر." (١)

"شوكة يظهرون الشر، ولا أحد ينكر عليهم، وهذا من أعظم المفاسد.

الرابع: أن مثل هذا من شعائر المنافقين، وهو يطعن على من يظهر الأعمال المشروعة، قال الله تعالى: ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم﴾ [التوبة: ٧٩] . فإن النبي صلي الله عليه وسلم لما حض على الإنفاق عام تبوك جاء بعض الصحابة بصرة كادت يده تعجز من حملها، فقالوا: هذا مراء، وجاء بعضهم بصاع، فقالوا: لقد كان الله غنيا عن صاع فلان، فلمزوا هذا وهذا، فأنزل الله ذلك، وصار عبرة فيمن يلمز المؤمنين المطيعين لله ورسوله. والله أعلم.." (٢)

"أنه يستلزم أحد نوعي الإرادة كما سنبين إن شاء الله، والإنشاء يتضمن الأمر والنهي والإباحة، والله تعالى يوصف بأنه يأمر بالخير وينهى **عن الشر فهو** سبحانه لا يأمر بالفحشاء، وكذلك الإرادة قد نزه نفسه عن بعض أنواعها بقوله تعالى: وما الله يريد ظلما للعالمين «١».

وقوله: يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر «٢» فلهذا لم يجئ في أسمائه الحسنى المأثورة: المتكلم والمريد.

وأما ما يوصف به الرب من الكلام والإرادة، فقد دلت عليه أسماؤه الحسنى، وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الله تعالى متكلم بكلام قائم به وأن كلامه غير مخلوق «٣»، وأنه مريد بإرادة قائمة به، وأن إرادته ليست مخلوقة، وأنكروا على الجهمية «٤» من المعتزلة وغيرهم الذين قالوا: إن كلام الله مخلوق خلقه في غيره وإنه كلم موسى بكلام خلقه في الهواء.

واتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود ومعنى قولهم: منه بدأ أي هو المتكلم به لم يخلقه في غيره كما قالت الجهمية من المعتزلة وغيرهم أنه بدأ من بعض المخلوقات وأنه سبحانه لم يقم به كلام، ولم يرد السلف أنه كلام فارق ذاته فإن الكلام وغيره من الصفات لا تفارق الموصوف بل صفة المخلوق لا تفارقه وتنتقل إلى غيره فكيف تكون صفة الخالق تفارقه وتنتقل إلى غيره؟ ولهذا قال الإمام أحمد: كلام الله من الله ليس ببائن منه، ورد بذلك على الجهمية المعتزلة وغيرهم الذين يقولون كلام الله بائن منه خلقه في بعض الأجسام، ومعنى قول السلف: إليه يعود ما

---

(١) رسالة في أصول الدين ابن تيمية ص/٣٦

(٢) سجود التلاوة معانيه وأحكامه ابن تيمية ص/٩٨

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٣) فهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة، وانظر لمزيد من الفائدة شرح شيخنا محمد بن عثيمين رحمه الله تعالى على العقيدة الواسطية (٢/ ٩٣ وما بعدها).

(٤) الجهمية هي إحدى الفرق الكلامية التي تنتسب إلى الإسلام، قامت على البدع الكلامية والآراء المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة، متأثرة بعقائد وآراء اليهود والصابئة والمشركين والفلاسفة الضالين.

وأول من قال بهذه العقيدة وإليه تنسب هو الجهم بن صفوان الذي أخذها عن الجعد بن درهم الذي أخذها عن أبان بن سمعان اليهودي.

وتتلخص آراء الجهمية العقدية في إنكار جميع أسماء الله تعالى وصفاته وجعلها من باب المجاز، وفي القول بالإرجاء في فعل الإنسان، وأن القرآن مخلوق، بالإضافة إلى نفي عذاب القبر والصراط والميزان ورؤية الله تعالى، بالإضافة إلى قولهم أن الله تعالى في كل مكان ومع كل أحد بذاته، تعالى الله عما يقوله الظالمون الجاحدون علوا كبيرا.." [١]

"وغيرهم يوجبون النبوة على الله على طريقتهم في إيجاب ما يوجبونه عليه، والمتفلسفة قد يوجبون ذلك على طريقتهم فيما يجب وجوده في العالم وغيرهم يوجب ذلك لما علم من عادته في حكمته ورحمته وإعطائه الخلق ما يحتاجون إليه.

وبالجملة فيعلمون نوعها في العالم ثم يعلمون الواحد من الجنس بثبوت حقيقة النوع فيه، وهذه الطريقة يسلكها كثير من المتكلمة والمتصوفة والمتفلسفة والعامة غيرهم، لكن المتفلسفة كابن سينا وأمثاله أدركوا من النبوة بقدر ما أعطتهم موادهم الفلسفية التي علموا بها أن النبي يكون له كمال القوة العلمية وكمال قوة السمع والبصر وكمال قوة النفس بحيث يعلم ويسمع ويبصر ما يقصر غيره عنه، ويفعل في العالم بهمته ما يعجز غيره عنه، وهؤلاء يجعلون نفس النبوة ثلاثة أمور:

أحدها: أن تكون له قوة عقلية بل نسبة ينال بها العلم من غير تعلم.

الثاني: أن تكون له قوة خيالية يتخيل بها الحقائق العقلية موجودة خالية وثقة من أجناس منام النائم فيرى في نفسه ضوءا وذلك هو الرسالة عندهم ويسمع، ذلك هو كلام الله عندهم.

الثالث: أن تكون لنفسه قوة على أن تؤثر في العالم.

وهذه الأقوال الثلاثة تحصل لخلق كثير هم دون رتبة الصالحين فضلا عن النبوة، ولهذا كانت النبوة عندهم مكتسبة فصار كثير منهم يطلب أن يصير نبيا كما جرى للسهروردي المقتول «١» ولابن سبعين.

ولهذا كان ابن سبعين يقول: لقد زدت في حديث قال: «لا نبي بعد نبي عربي» وهؤلاء يجعلون النبوة إنما هي من جنس واحدة وقوة الناس في العلم والقدرة لكن يقول بينهما من الفصل بإرادة النبي الخير، وإرادة الساحر الشر، ويقولون: الملك

(١) شرح العقيدة الأصفهانية ابن تيمية ص/٣٢

والشيطان قوى لكن قوة الملك قوة صالحة وقوة الشيطان قوة فاسدة.

وأما من يقول الملائكة والجن هم جنس واحد لا فرق بينهما في الصفات

---

(١) هو شهاب الدين أبو حفص وأبو عبد الله عمر بن محمد بن عبد الله بن م؛مد بن عبد الله بن سعد بن حسين بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق القرشي التيمي البكري السهروردي الصوفي ثم البغدادي.

ولد سنة تسع وثلاثين وخمس مائة وتوفي سنة اثنتين وثلاثين وست مائة.

انظر ترجمته في السير (٢٢/ ٣٧٣) والبداية والنهاية (١٣/ ١٣٨ - ١٤٣) ووفيات الأعيان (٣/ ٤٤٦ - ٤٤٨).." (١)

"أطهر لكم﴾ وقوله: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ وقال: ﴿إنما المشركون نجس﴾ وقال: ﴿وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾ إلى غير ذلك من الآيات وإذا كان كذلك فالثوب نفسه يكتسب صفة حقيقية من لابسه أن كان صالحا أو فاسقا حتى يظهر ذلك فيه إذا قوي تاثير صاحبه فيه ويظهر ذلك في مواضع الخير **ومواضع الشر ولاجل** الارتباط الذي بين اللباس والمقعد وبين صاحبهما أمر بتطهيرهما من النجاسة وكانت طهارة الخفين طهارة للقدمين واستحب تكريم البقاع والثياب التي عملت فيها الصالحات حتى اعد سعد رضي الله عنه جبته التي شهد فيها بدرا كفنا واستوهب بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم منه بردة لتتخذها كفنا.

وهذا كثير فالأمر بتطهير عينه من الانجاس أمر بطهارة صاحبه بالضرورة.

والأشبه والله أعلم أن الآية تعم نوعي الطهارة وتشمل هذا كله فيكون م أمورا بتطهير الثياب المتضمنة تطهير البدن والنفس من كل ما يستقذر شرعا من الاعيان والاخلاق والاعمال لأن تطهيرها أن تجعل طاهرة ومتى اتصل بها وبصاحبها شيء من النجاسة لم تكن مطهرة على الإطلاق." (٢)

"والخبائث» ". رواه أبو داود وابن ماجه، وعن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " «لا يعجز أحدكم إذا دخل مرفقه أن يقول: اللهم إني أعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم» " رواه ابن ماجه. الحشوش جمع حش، وهي في الأصل البساتين كانوا يقضون الحاجة فيها. ثم سمي موضع قضاء الحاجة حشا، والمحتضرة التي تحضرها الشياطين، ولذلك أمر بذكر الله والاستعاذة قبل الدخول.

والخبث بسكون الباء قال أبو عبيد، وابن الأنباري، وغيرهما قالوا: " **وهو الشر والخبائث** الشياطين " فكأنه استعاذ من الشر، ومن أهل الشر، وقال الخطابي: " إنما هو الخبث جمع خبيث، والخبائث جمع خبيثة استعاذ." (٣)

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية ابن تيمية ص/١٥٧

(٢) شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الصلاة ابن تيمية ص/٤٠٧

(٣) شرح عمدة الفقه لابن تيمية - من كتاب الطهارة والحج ابن تيمية ١/١٣٨

"وذلك **أن الشر إما** أن يكون موجودا أو معدوما. فالمعدوم سواء كان عدم ذات أو عدم صفة من صفات كمالها أو فعل من أفعالها، مثل عدم الحياة، أو العلم، أو السمع أو البصر، أو الكلام، أو العقل، أو العمل الصالح على تنوع أصنافه، مثل معرفة الله ومحبته وعبادته والتوكل عله، والإنابة إليه، ورجائه وخشيته، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وغير ذلك من الأمور المحمودة الباطنة والظاهرة، من الأقوال والأفعال. فإن هذه الأمور كلها خيرات وحسنات وعدمها شر وسيئات، لكن هذا العدم ليس بشيء أصلا، حتى يكون له بارئ وفاعل فيضاف إلى الله، وإنما هو من لوازم النفس التى هى حقيقة الإنسان قبل أن تخلق وبعد أن خلقت، فإنها قبل أن تخلق عدم مستلزم لهذا العدم، وبعد أن خلقت وقد خلقت ضعيفة ناقصة فيها النقص والضعف والعجز، فإن هذه الأمور عدمية، فأضيف إلى النفس من باب إضافة عدم المعلول إلى عدم علته، وعدم مقتضيه، وقد تكون من باب إضافته إلى وجود منافيه من وجه آخر سنبينه إن شاء الله تعالى.

الشر لا ينسب إلى الله:

ونكتة الأمر: أن **هذا الشر والسيئات** العدمية، ليست موجودة حتى يكون الله خالقها، فإن الله خالق كل شيء. والمعدومات تنسب تارة إلى." (١)

"فصار قيام إحدى الصفات والأفعال به مانعا وصادا عن آخر. وإن كان ذلك خيرا لضيقه وعجزه، والضيق والعجز يعود إلى عدم قدرته، فعاد إلى العدم الذي هو منه، والعدم المحض ليس بشيء حتى يضاف إلى الله تعالى، وأما إن كان الشيء موجودا كالألم وسبب الألم، فينبغي أن يعرف **أن الشر الموجود** ليس شرا على الإطلاق، ولا شرا محضا، وإنما هو شر فى حق من تألم به، وقد تكون مصائب قوم عند قوم فوائد.

ولهذا جاء في الحديث الذي رويناه مسلسلا: " آمنت بالقدر خيره وشره، وحلوه ومره "، وفى الحديث الذى رواه أبو داود: " لو أنفقت ملء الأرض ذهبا لما قبله منك حتى تؤمن بالقدر خيره وشره، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك "، فالخير والشر هما بحسب العبد المضاف إليه كالحلو والمر." (٢)

"سواء، وذلك أن من لم يتألم بالشيء ليس في حقه شرا، ومن تنعم به فهو في حقه خير، كما كان النبى صلى الله عليه وسلم يعلم من قص عليه أخوه رؤيا أن يقول: " خيرا تلقاه وشرا توقاه، خيرا لنا وشرا لأعدائنا "، فإنه إذا أصاب العبد شر سر قلب عدوه، فهو خير لهذا وشر لهذا، ومن لم يكن له وليا ولا عدوا فليس في حقه لا خيرا ولا شرا، وليس فى مخلوقات الله ما يؤلم الخلق كلهم دائما، ولا ما يؤلم جمهورهم دائما، بل مخلوقاته إما منعمة لهم أو لجمهورهم فى أغلب الأوقات، كالشمس والعافية، فلم يكن في الموجودات التى خلقها الله ما هو شر مطلقا عاما.

فعلم **أن الشر المخلوق** الموجود شر مقيد خاص، وفيه وجه آخر هو به خير وحسن، وهو أغلب وجهيه، كما قال تعالى: ﴿أحسن كل شيء خلقه﴾ [السجدة: ٧] ،وقال تعالى: ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾ [النمل: ٨٨] ،وقال تعالى:

---

(١) قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة ابن تيمية ص/٧٣

(٢) قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة ابن تيمية ص/٧٥

﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ [الحجر: ٨٥] ، وقال: ﴿ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا﴾ [آل عمران: ١٩١]." [(١)]

"[لم تخلق الله شيئا إلا لحكمة] :

وقد علم المسلمون أن الله لم يخلق شيئا ما إلا لحكمة؛ فتلك الحكمة وجه حسنه وخيره، ولا يكون فى المخلوقات شر محض لا خير فيه، ولا فائدة فيه بوجه من الوجوه؛ وبهذا يظهر معنى قوله: " والشر ليس إليك "، **وكون الشر لم** يضف إلى الله وحده، بل إما بطريق العموم أو يضاف إلى السبب أو يحذف فاعله.

فهذا الشر الموجود الخاص المقيد سببه، إما عدم وإما وجود، فالعدم مثل عدم شرط أو جزء سبب؛ إذ لا يكون سببه عدما محضا؛ فإن العدم المحض لا يكون سببا تاما لوجود، ولكن يكون سبب الخير واللذة قد انعقد، ولا يحصل الشرط فيقع الألم، وذلك مثل عدم فعل الواجبات الذي هو سبب الذم والعقاب، ومثل عدم العلم الذي هو سبب ألم الجهل وعدم السمع والبصر والنطق الذي هو سبب الألم بالعمى والصمم والبكم، وعدم الصحة والقوة، الذي هو سبب الألم والمرض والضعف.." [(٢)]

"فهذه المواضع ونحوها **يكون الشر أيضا** مضافا إلى العدم المضاف إلى العبد، حتى يتحقق قول الخليل: ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ [الشعراء: ٨٠] ، فإن المرض وإن كان ألما موجودا فسببه ضعف القوة، وانتفاء الصحة الموجودة، وذلك عدم هو من الإنسان المعدوم بنفسه، ولا يتحقق قول الحق: ﴿وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ [النساء: ٧٩] ، وقوله: ﴿قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم﴾ [آل عمران: ١٦٥] ونحو ذلك فيما كان سببه عدم فعل الواجب، وكذلك قول الصحابى: وإن يكن خطأ فمنى ومن الشيطان.

يبين ذلك أن المحرمات جميعها من الكفر والفسوق والعصيان إنما يفعلها العبد لجهله أو لحاجته، فإنه إذا كان عالما بمضرتها وهو غنى عنها امتنع أن يفعلها، والجهل أصله عدم، والحاجة أصلها العدم.

فأصل وقوع السيئات منه عدم العلم والغنى؛ ولهذا يقول فى القرآن: ﴿ما كانوا يستطيعون السمع﴾ [هود: ٢٠] ، ﴿أفلم تكونوا." [(٣)]

"تعقلون﴾ .؟ [يس: ٦٢] ، ﴿إنهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون﴾ [الصافات: ٦٩،٧٠] ، إلى نحو هذه المعانى.

الشر الذي سببه الوجود:

وأما الموجود الذى هو **سبب الشر الموجود** الذى هو خاص كالآلام، مثل الأفعال المحرمة من الكفر الذى هو تكذيب أو استكبار، والفسوق الذى هو فعل المحرمات ونحو ذلك، فإن ذلك سبب الذم والعقاب، وكذلك تناول الأغذية

---

(١) قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة ابن تيمية ص/٧٦

(٢) قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة ابن تيمية ص/٧٧

(٣) قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة ابن تيمية ص/٧٨

الضارة، وكذلك الحركات الشديدة المورثة للألم، فهذا الوجود لا يكون وجودا تاما محضا؛ إذ الوجود التام المحض لا يورث إلا خيرا، كما قلنا: إن العدم المحض لا يقتضى وجودا، بل يكون وجودا ناقصا، إما فى السبب وإما فى المحل، كما يكون سبب التكذيب عدم معرفة الحق والإقرار به، وسبب عدم هذا العلم والقول عدم أسبابه، من النظر التام، والاستماع التام لآيات الحق وأعلامه.

وسبب عدم النظر والاستماع، إما عدم المقتضى فيكون عدما محضا، وإما وجود مانع من الكبر أو الحسد فى النفس ﴿إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾ [الحديد: ٢٣] ، وهو تصور باطل، وسببه عدم غنى النفس بالحق فتعتاض عنه بالخيال الباطل.

والحسد أيضا سببه عدم النعمة التى يصير بها مثل المحسود أو أفضل." (١)

"منه، فإن ذلك يوجب كراهة الحاسد لأن يكافئه المحسود، أو يتفضل عليه.

وكذلك الفسوق كالقتل والزنا وسائر القبائح إنما سببها حاجة النفس إلى الاشتفاء بالقتل والالتذاذ بالزنا، وإلا فمن حصل غرضه بلا قتل أو نال اللذة بلا زنا لا يفعل ذلك، والحاجة مصدرها العدم، وهذا يبين إذا تدبره الإنسان **أن الشر الموجود** إذا أضيف إلى عدم أو وجود فلابد أن يكون وجودا ناقصا، فتارة يضاف إلى عدم كمال السبب أو فوات الشرط، وتارة يضاف إلى وجود، ويعبر عنه تارة بالسبب الناقص والمحل الناقص، وسبب ذلك إما عدم شرط أو وجود مانع، والمانع لا يكون مانعا إلا لضعف المقتضى، وكل ما ذكرته واضح بين، إلا هذا الموضع ففيه غموض يتبين عند التأمل وله طرفان:

أحدهما: أن الموجود لا يكون سببه عدما محضا.

والثانى: أن الموجود لا يكون سببا للعدم المحض، وهذا معلوم بالبديهة أن الكائنات الموجودة لا تصدر إلا عن حق موجود.

ولهذا كان معلوما بالفطرة أنه لابد لكل مصنوع من صانع، كما قال تعالى: ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾ [الطور: ٣٥] ، يقول: أخلقوا من غير خالق خلقهم، أم هم خلقوا أنفسهم؟

ومن المتكلمين من استدل على هذا المطلوب بالقياس، وضرب." (٢)

"سببا لعدم أصلا، ولا مسببا عنه، ولا فاعلا له ولا مفعولا، أما كونه ليس مسببا عنه ولا مفعولا له فظاهر، وأما كونه ليس سببا له، فإن كان سببا لعدم محض فالعدم المحض لا يفتقر إلى سبب موجود، وإن كان لعدم فيه وجود فذاك الوجود لابد له من سبب، ولو كان سببه تاما وهو قابل لما دخل فيه عدم؛ فإنه إذا كان السبب تاما والمحل قابلا، وجب وجود المسبب، فحيث كان فيه عدم فلعدم ما فى السبب أو فى المحل فلا يكون وجودا محضا.

فظهر أن السبب حيث تخلف حكمه إن كان لفوات شرط فهو عدم، وإن كان لوجود مانع فإنما صار مانعا لضعف السبب، وهو أيضا عدم قوته وكماله، فظهر أن الوجود ليس سبب العدم المحض، وظهر بذلك القسمة الرباعية، وهى أن

---

(١) قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة ابن تيمية ص/٧٩

(٢) قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة ابن تيمية ص/٨٠

الوجود المحض لا يكون إلا خيرا.

يبين ذلك أن كل شر فى العالم لا يخرج عن قسمين: إما ألم وإما سبب الألم، وسبب الألم مثل الأفعال السيئة المقتضية للعذاب، والألم الموجود لا يكون إلا لنوع عدم، فكما يكون سببه تفرق الاتصال؛ وتفرق الاتصال هو عدم التأليف والاتصال الذى بينهما، **وهو الشر والفساد**.

وأما سبب الألم، فقد قررت فى قاعدة كبيرة: أن أصل." (١)

"الذنوب هو عدم الواجبات لا فعل المحرمات، وإن فعل المحرمات إنما وقع لعدم الواجبات، فصار أصل الذنوب عدم الواجبات، وأصل الألم عدم الصحة؛ ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يعلمهم فى خطبة الحاجة أن يقولوا: " ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا "، فيستعيذ من شر النفس الذى نشأ عنها من ذنوبها وخطاياها، ويستعيذ من سيئات الأعمال التى هى عقوباتها وآلامها؛ فإن قوله: " ومن سيئات أعمالنا " قد يراد به السيئات فى الأعمال، وقد يراد به العقوبات، فإن لفظ السيئات فى كتاب الله يراد به ما يسوء الإنسان من الشر، وقد يراد به الأعمال السيئة، قال تعالى: ﴿إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها﴾ [آل عمران: ١٢٠] ، وقال تعالى: ﴿وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون﴾ [الروم: ٣٦] .." (٢)

"ومعلوم أن شر النفس هو الأعمال السيئة، فتكون سيئات الأعمال **هى الشر والعقوبات** الحاصلة بها فيكون مستعيذا من نوعى السيئات؛ الأعمال السيئة وعقوباتها، كما فى الاستعاذة المأمور بها فى الصلاة: " أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال "، فأمرنا بالاستعاذة من العذاب عذاب الآخرة وعذاب البرزخ ومن سبب العذاب، ومن فتنة المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال. وذكر الفتنة الخاصة بعد الفتنة العامة فتنة المسيح الدجال فإنها أعظم الفتن، كما فى الحديث الصحيح: " ما من خلق آدم إلى قيام الساعة فتنة أعظم من فتنة المسيح الدجال "." (٣)

"بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا﴾ [الإسراء: ١١] ،وقال تعالى: ﴿ولو يعجل الله **للناس الشر استعجالهم** بالخير لقضي إليهم أجلهم﴾ [يونس: ١١] ، وقال تعالى عن المشركين: ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ [الأنفال: ٣٢] ،وقال: ﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم﴾ [الأنفال: ١٩] ،وقال: ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين﴾ [الأعراف: ٥٥] ، وقال: ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه﴾ الآية [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦] ،وقال: ﴿فمن حآجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ [آل

---

(١) قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة ابن تيمية ص/٨٣

(٢) قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة ابن تيمية ص/٨٤

(٣) قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة ابن تيمية ص/٨٥

عمران: ٦١] ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم لما دخل على أهل جابر فقال: " لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير؛ فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون "..". (١)

"القسم خاص ببعض العباد، وأما إجابة السائلين فعام، فإن الله يجيب دعوة المضطر ودعوة المظلوم وإن كان كافرا.

٣٦٨ – وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما من داع يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى خصال ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخر له من الخير مثلها، وإما أن يصرف عنه **من الشر مثلها**" قالوا: يا رسول الله إذن نكثر. قال: "الله أكثر" (١) .

---

(١) أخرجه أحمد (١٨/٣) حدثنا أبو عامر ثنا علي عن أبي المتوكل عن أبي سعيد الخدري مرفوعا. وعلي هذا هو علي بن علي الرفاعي كما في المستدرك (٤٩٣/١) وكشف الأستار (٤١/٤) .

لكن يشهد له حديث جابر – رضي الله عنه –.

"سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله ما سأل أو كف عنه من السوء مثله ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم". رواه الترمذي (٤٦٢/٥) ، ٤٩ – كتاب الدعوات، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، حديث (٣٣٨١) من طريق ابن لهيعة عن أبي الزبير، عن جابر – رضي الله عنه – وفي إسناده ابن لهيعة صدوق اختلط بعد احتراق كتبه. كما يشهد له حديث عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – نحو حديث جابر – رضي الله عنه – رواه أحمد (٣٢٩/٥) من طريق محمد بن يوسف الفريابي عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير عن عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – نحو حديث جابر. وفي إسناده عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، صدوق يخطئ، ورمي بالقدر وتغير بأخره.

قال الترمذي عقب حديث عبادة: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وفي نظري أن الحديث حسن لغيره بمجموع طرقه.

ويشهد لهذه الأحاديث ما رواه مالك في الموطأ (٢١٧/١) ، ١٥ –كتاب القرآن، ٨ – باب ما جاء في الدعاء، حديث ٣٦. عن زيد بن أسلم أنه كان يقول: ما من داع يدعو إلا كان بين إحدى ثلاث: إما أن يستجاب له، وإما أن يدخر له، وإما أن يكفر عنه.

قال ابن عبد البر مثل هذا يستحيل أن يكون رأيا واجتهادا، وإنما هو توقيف وهو خبر محفوظ عن النبي صلى الله عليه وسلم. الموطأ (٢١٧/١) .

وقوله "وهو خبر محفوظ" يشير به – والله أعلم – إلى الأحاديث الآنفة الذكر.." (٢)

---

(١) قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة ابن تيمية ص/٩٢

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ابن تيمية ص/١٢٤

"وقالت امرأة: صل علي يا رسول الله وعلى زوجي، فقال: صل الله عليك وعلى زوجك" (١) .

٨٥٥- فيكون مقصود السائل أي يا رسول الله إن لي دعاء أدعو به، أستجلب به الخير، واستدفع به الشر، فكم أجعل لك من الدعاء، قال: "ما شئت" فلما انتهى إلى قوله: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال له: "إذا تكفى همك ويغفر ذنبك" . (٢)

٨٥٦- وفي الرواية الأخرى " إذا يكفيك الله ما أهمك من أمر دنياك وآخرتك" (٣) ، وهذا غاية مايدعو به الإنسان من جلب الخيرات ودفع المضرات، فإن الدعاء فيه تحصيل المطلوب، واندفاع المرهوب، كما بسط ذلك في مواضعه.

٨٥٧- وقد ذكر علماء الإسلام وأئمة الدين الأدعية الشرعية،

= ٣٨١، ٣٨٣) . كلهم من طريق شعبة، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن أبي أوفي مرفوعا.

(١) أخرجه أبو داود (١٨٥/٢) ، ٢- الصلاة، ٣٦٣- باب الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم، حديث (١٥٣٣) . والنسائي في عمل اليوم والليلة، (ص٣١٩) . وأحمد (٣٠٣/٣، ٣٩٧-٣٩٨) . والدارمي (٢٨/١-٢٩) مقدمة، حديث (٤٦) . كلهم عن الأسود بن قيس، عن نبيح العنزي، عن جابر مرفوعا. وفي إسناده نبيح، قال الحافظ في التقريب: "مقبول". وقال الحافظ الذهبي في الكاشف: "ثقة". وقال الحافظ في تهذيب التهذيب (٤١٧/١٠) : قال أبو زرعة: ثقة، لم يرو عنه إلا الأسود بن قيس، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال العجلي: ثقة. وذكره علي بن المديني في جملة المجهولين الذين يروي عنهم الأسود بن قيس وزاد الحافظ أبو خالد الدالاني، وصحح الترمذي حديثه، وكذلك ابن خزيمة وابن حبان والحاكم. ويبدو أن حديثه حسن. والله أعلم.

(٢) جزءان من حديث أبي السابق.

(٣) جزءان من حديث ابي السابق.." [١]

"الوجه الرابع

...

الرابع: أن يشهد أنه إذا عفى وأحسن أورثه ذلك من سلامة القلب لإخوانه، ونقائه من الغش، والغل، وطلب الانتقام، وإرادة الشر، وحصل له من حلاوة العفو ما يزيد لذته ومنفعته عاجلا وآجلا على المنفعة الحاصلة له بالانتقام." [٢]

"والقسم الرابع من قدرته قاصرة وإرادته للحق قاصرة وفيه من إرادة الباطل ما الله به عليم فهؤلاء ضعفاء المجرمين ولكن قد يكون لهم من التأثير بقلوبهم نصيب وحظ مع أهل باطلهم كما يوجد في العلماء والعباد والزاهدين من المشركين وأهل الكتاب ومنافقي هذه الأمة ما فيه مضاهاة لعلماء المؤمنين وعبادهم وذلك أن الشيطان جعل لكل شيء من الخلق نظيرا في الباطل فإن **أصل الشر هو** الإشراك بالله كما أن أصل الخير هو الإخلاص لله

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ابن تيمية ص/٣١٥

(٢) قاعدة في الصبر ابن تيمية ص/٩٦

فإن الله سبحانه خلق الخلق ليعبدوه وحده لا يشركوا به شيئا وبذلك أرسل الرسل وبه أنزل الكتب كما قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ وقال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾

والعبادة تجمع كمال المحبة وكمال الذل فالعابد محب خاضع بخلاف من يحب من لا يخضع له بل يحبه ليتوسل به إلى محبوب آخر وبخلاف م ن يخضع لمن لا يحبه كما يخضع للظالم فإن كلا من هذين ليس عبادة محضة وإن كل." (١)

"وقد تنازع الناس فيما ينال الكافر في الدنيا من التنعم هل هو نعمة في حقه أم لا على قولين وكان أصل النزاع بينهم هو النزاع في القدرة

والقدرية الذين يقولون لم يرد الله لكل أحد إلا خيرا له بخلقه وأمره وإنما العبد هو الذي أراد **لنفسه الشر بمعصيته** وبترك طاعته التي يستعملها بدون مشيئة الله وقدرته أراد لنفسه الشر

وهؤلاء يقولون ما نعم به الكافر فهو نعمة تامة كما نعم به المؤمن سواء إذ عندهم ليس لله نعمة خص بها المؤمن دون الكافر أصلا بل هما في النعم الدينية سواء وهو ما بينه من أدلة الشرع والعقل وما خلقه من القدرة والألطاف ولكن أحدهما اهتدي بنفسه بغير نعمة أخري خاصة من الله والآخر ضل بنفسه من غير خذلان يخصه من الله وكذلك النعم الدنيوية هي في حقهما على السواء

والذين ناظروا هؤلاء من أهل الإثبات ربما زادوا في المناظرة نوعا من الباطل وإن كانوا في الأكثر على الحق فكثيرا ما ير د مناظر المبتدع باطلا عظيما بباطل دونه

تنازع الناس فيما ينال الكافر في الدنيا من التنعم هل هو نعمة في حقه أم لا

ولهذا كان أئمة السنة ينهون عن ذلك ويأمرون بالاقتصاد ولزوم السنة المحضة وأن لا يرد باطل بباطل." (٢)

"حال الإنسان عند السراء والضراء

...

وذلك أن الإنسان هو كما وصفه الله بقوله تعالى ﴿ولئن أذقنا الأنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤوس كفور. ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور﴾ وقال تعالى: ﴿إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير﴾

فأخبر أنه عند الضراء بعد السراء ييأس من زوالها في المستقبل ويكفر بما أنعم الله به عليه قبلها وعند النعماء بعد الضراء يأمن من عود الضراء في المستقبل وينسي ما كان فيه بقوله ﴿ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور﴾ على غيره يفخر عليهم بنعمة الله عليه

---

(١) قاعدة في المحبة ابن تيمية ص/٩٨

(٢) قاعدة في المحبة ابن تيمية ص/١٥٧

وقال تعالى: ﴿إن الأنسان خلق هلوعا. إذا **مسه الشر جزوعا**. وإذا مسه الخير منوعا﴾ فأخبر أنه جزوع **عند الشر لا** يصبر عليه منوع عند الخير يبخل به

وقال تعالى: ﴿إن الأنسان لظلوم كفار﴾ وقال تعالى: ﴿إن الأنسان لربه لكنود﴾ وقال تعالى: ﴿إنه كان ظلوما جهولا﴾ وق ا ل تعالى: ﴿وكان الأنسان قتورا﴾ وقال ﴿وإن **مسه الشر فيؤوس** قنوط﴾ وقال تعالى: ﴿فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الأنسان كفورا﴾." (١)

"وقال: "اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، وكل بدعة ضلالة".

وقال: "إنها ستكون أمور مشتبهات فعليكم بالتؤدة، فإنك أن تكون تابعا في الخير خير من أن تكون رأسا في الشر".

وقال: "إنكم اليوم على الفطرة، وستحدثون ويحدث لكم، فإذا رأيتم محدثا فعليكم بالهدي الأول ".

وقال: "عليكم بالطريق فلئن لزمتموه لقد سبقتم سبقا بعيدا، ولئن خالفتموه يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا"١.

وكتب الخليفة عمر بن عبد العزيز– رحمه الله– إلى بعض عماله: "أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره وإتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وترك ما أحدث المحدثون بعده فيما جرت به سنته وكفوا مؤنته، واعلم أنه لم يبتدع إنسان بدعة إلا قدم قبلها ما هو دليل عليها وعبرة فيها، فعليك

---

١ روى هده الآثار الخمسة عن ابن مسعود– رضي الله عنه– ابن بطة في الإنابة (١/٣٢١، ٣٢٤، ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٣٢).." (٢)

"ومن حماقتهم إقامة المأتم والنياحة على من قتل من سنين عديدة، ومن المعلوم أن المقتول وغيره من الموتى إذا فعل مثل ذلك بهم عقب موتهم كان ذلك مما حرمه الله ورسوله، فقد ثبت في الصحيح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: ... ((ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية)) (١) . وثبت في الصحيح عنه أنه برئ من الحالقة والصالقة والشاقة (٢) . فالحالقة لتي تحلق شعرها عند المصيبة، والصالقة التي ترفع صوتها عند المصيبة بالمصيبة والشاقة التي تشق ثيابها.

وفي الصحيح عنه أنه قال: ((من نيح عليه فإنه يعذب، بما نيح عليه)) (٣) . وفي الصحيح عنه أنه قال: ((إن النائحة إذا لم تتب قبل موتها فإنها تلبس يوم القيامة درعا من جرب، وسربالا من قطران)) (٤) .

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وهؤلاء يأتون من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعوى الجاهلية، وغير ذلك من المنكرات بعد الموت بسنين كثيرة ما لو فعلوه عقب موته لكان ذلك من أعظم المنكرات التي حرمها الله ورسوله، فكيف بعد هذه المدة الطويلة؟ .

ومن المعلوم أنه قد قتل من الأنبياء وغير الأنبياء ظلما وعدوانا من هو أفضل من الحسين، قتل أبوه ظلما، وهو أفضل

---

(١) قاعدة في المحبة ابن تيمية ص/١٧٢

(٢) قاعدة مختصرة في وجوب طاعة الله ورسوله وولاة الأمور ابن تيمية ص/٤

منه، وقتل عثمان بن عفان، وكان قتله أول الفتن العظيمة التي وقعت بعد موت النبي – صلى الله عليه وسلم –، وترتب عليه **من الشر والفساد** أضعاف ما ترتب على قتل الحسين.

وقتل غير هؤلاء ومات، وما فعل أحد من المسلمين ولا غيرهم مأتما ولا نياحة على ميت، ولا قتيل بعد مدة طويلة من قتله، إلا هؤلاء الحمقى

الذين لو كانوا من الطير لكانوا

---

(١) انظر البخاري ج٢ص٨٢. في أماكن متعددة ومسلم ج١ص٩٩.

(٢) البخاري ج٢ص٨١ ومواضع أخرى. ومسلم ج١ص١٠٠.

(٣) انظر مسلم ج٢ص٦٤٤ والبخاري ج٢ص٨٠. ...

(٤) انظره في مسلم ج ٢ ص ٦٤٤.." (١)

"فيقال لهذا المفتري: الذي جعل الصحابة الذين بايعوا أبا بكر ثلاثة أصناف أكثرهم طلبوا الدنيا وصنف قصروا في النظر، وصنف عجزوا عنه، **لأن الشر إما** أن يكون لفساد القصد. وإما أن يكون للجهل، والجهل إما أن يكون لتفريط في النظر، وإما أن يكون لعجز عنه.

وذكر أنه كان في الصحابة وغيرهم من قصر في النظر حين بايع أبا بكر، ولو نظر لعرف الحق، وهذا يؤاخذ على تفريطه، بترك النظر الواجب، وفيهم من عجز عن النظر، فقلد الجم الغفير، يشير بذلك إلى سبب مبايعة أبي بكر.

فيقال له هذا من الكذب الذي لا يعجز عنه أحد، والرافضة قوم بهت فلو طلب من هذا المفتري دليل على ذلك لم يكن له على ذلك دليل، والله تعال قد حرم القول بغير علم، فكيف إذا كان المعروف ضد ما قاله فلو لم نكن نحن عالمين بأحوال الصحابة لم يجز أن نشهد عليهم بما لا نعلم من فساد القصد، والجهل بالمستحق. قال تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾ (١) وقال تعالى: ﴿ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم﴾ (٢) فكيف إذا كنا نعلم أنهم كانوا أكمل هذه الأمة عقلا، وعلما، ودينا، كما قال

فيهم عبد الله بن مسعود: ((من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد كانوا والله أفضل هذه الأمة، وأبرها قلوبا، وأعمقها علما وأقلها تكلفا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم، في آثارهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم، ودينهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم)) (٣) . رواه غير واحد منهم ابن بطة، عن قتادة.

وروى هو وغيره بالأسانيد المعروفة إلى زر بنت حبيش، قال: قال عبد الله بن مسعود: ((إن الله تبارك وتعالى نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه، وابتعثه برسالته، ثم نظر في

---

(١) مختصر منهاج السنة ابن تيمية ص/٢٦

قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فوجد قلوب

---

(١) الآية ٣٦ من سورة الإسراء.

(٢) الآية ٦٦ من سورة آل عمران.

(٣) انظر المسند ج٥ ص٢١١ تحقيق أحمد شاكر، وقال الهيثمي: رواه أحمد والبزار، والطبراني في الكبير. مجمع الزوائد ج١ ص١٧٧." (١)

"دعا عليهم، فقال: اللهم إني سئمتهم وسئموني فأبدلني بهم خيرا منهم، وأبدلهم بي شرا مني، وقد كانوا يغشونه ويكاتبون من يحاربه، ويخونونه في الولايات، والأموال، هذا ولم يكونوا بعد صاروا رافضة، إنما سمعوا شيعة علي لما افترق الناس فرقتين، فرقة شايعت أولياء عثمان، وفرقة شايعت أولياء عليا رضي الله عنهما، فأولئك خيار الشيعة، وهم من شر الناس معاملة لعلي بن أبي طالب – رضي الله عنه –، وابنيه سبطي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وريحانته في الدنيا الحسن والحسين، وهم أعظم الناس قبولا للوم اللائم في الحق، وأسرع الناس إلى الفتنة، وأعجزهم عنها، يغرون من يظهرون نصره من أهل البيت، حتى إذا اطمأن إليهم ولامهم عليه اللائم، خذلوه وأسلموه وآثروا عليه الدنيا، ولهذا أشار عقلاء المسلمين ونصحاؤهم

على الحسين أن لا يذهب إليهم، مثل عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام وغيرهم، لعلمهم بأنهم يخذلونه، ولا ينصرونه، ولا يوفون له بما كتبوا به إليه، وكان الأمر كما رأى هؤلاء، ونفذ فيهم دعاء عمر بن الخطاب، ثم دعاء علي بن أبي طالب.

حتى سلط الله عليهم الحجاج بن يوسف، كان لا يقبل من محسنهم، ولا يتجاوز عن مسيئهم، ودب شرهم إلى من لم يكن منهم، حتى عم الشر، وهذه كتب المسلمين التي ذكر فيها زهاد الأمة ليس فيهم رافضي.

كيف والرافضي من جنس المنافقين، مذهبه التقية فهل هذا حال من لا تأخذه بالله لومة لائم، إنما هذه حال من نعته الله في كتابه بقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ (١) .

وهذه حال من قاتل المرتدين، وأولهم الصديق، ومن اتبعه إلى يوم القيامة، فهم الذين جاهدوا المرتدين، كأصحاب مسيلمة الكذاب، ومانعي الزكاة، وغيرهما وهم الذين فتحوا الأمصار، وغلبوا فارس والروم، وكانوا أزهد الناس، كما قال عبد الله بن مسعود

---

(١) مختصر منهاج السنة ابن تيمية ص/٩٥

(١) الآية ٥٤ من سورة المائدة.." (١)

"عباس: ألا أدلك علىأعلم أهل الأرض بوتر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم؟ فقال من؟ قال: عائشة رضي الله عنها، فأتها فاسألها ثم ائتني فأخبرني، بردها عليك، قال فانطلقت إليها فأتيت على حكيم بن أفلح فاستلحقته إليها فقال: ما أنا بقاربها لأني نهيتها أن تقول في هاتين الشيعتين شيئا فأبت فيهما لا مضيا.

قال: فأقسمت عليه فجاء فانطلقنا إلى عائشة رضى الله عنها وذكرا

الحديث (١) ، وقال معاوية لابن عباس أنت على ملة علي، فقال لا على ملة علي، ولا على ملة عثمان، أنا على ملة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم.

وكانت الشيعة أصحاب علي يقدمون عليه أبا بكر وعمر، وإنما كان النزاع في تقديمه على عثمان، ولم يكن حينئذ يسمى أحد لا إماميا ولا رافضيا وإنما سموا رافضة، وصاروا رافضة، لما خرج زيد بن علي بن الحسين بالكوفة، في خلافة هشام، فسألته الشيعة عن أبي بكر وعمر، فترحم عليهما فرفضه قوم، فقال رفضتموني رفضتموني. فسموا رافضة، وتولاه قوم فسموا زيدية، لانتسابهم إليه.

ومن حينئذ انقسمت الشيعة، إلى رافضة إمامية وزيدية، وكلما زادوا في البدعة زادوا في الشر، فالزيدية خير من الرافضة، أعلم وأصدق وأزهد، وأشجع.

ثم بعد أبي بكر، عمر بن الخطاب هو الذي لم تكن تأخذه في الله لومة لائم، وكان أزهد الناس باتفاق الخلق كما قيل فيه رحم الله عمر لقد تركه الحق ما له من صديق.

ونحن لا ندعي العصمة لكل صنف من أهل السنة، وإنما ندعي أنهم لا يتفقون على ضلالة، وأن كل مسألة اختلف فيها أهل السنة والجماعة والرافضة، فالصواب فيها مع أهل السنة.

وحيث تصيب الرافضة، فلا بد أن يوافقهم على الصواب بعض أهل السنة، وللروافض خطأ لا يوافقهم أحد عليه من أهل السنة، وليس للرافضة مسألة واحدة لا يوافقهم فيها أحد فانفردوا بها عن جميع أهل السنة والجماعة إلا وهم مخطئون فيها كإمامة الإثني عشر، وعصمتهم.

١) انظر مسلم ج٢ ص ٥١٢.." (٢)

"وهذه الشهادة بهذا وهذا هم فيها أتم من الرافضة من شهادتهم للعسكريين وأمثالهما بأنه من أطاعهم دخل الجنة.

فثبت أن إمام أهل السنة أكمل، وشهادتهم له ولهم إذا أطاعوه أكمل، ولا سواء.

ولكن قال الله تعالى: ﴿ءآلله خير أما يشركون﴾ (١) ، فعند المقابلة يذكر الخير المحض على الشر المحض، وإن

(١) مختصر منهاج السنة ابن تيمية ص/١٠١

(٢) مختصر منهاج السنة ابن تيمية ص/١٠٣

كان الشر المحض لا خير فيه.

وإن أرادوا بالإمام الإمام المقيد، فذاك لا يوجب أهل السنة طاعته، إن لم يكن ما أمر به موافقا لأمر الإمام المطلق رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم، وهم إذا أطاعوه فيما أمر الله بطاعته فيه، فإنما هم مطيعون لله ورسوله، فلا يضرهم توقفهم في الإمام المقيد: هل هو في الجنة أم لا؟ .

الوجه الثامن: أن يقال: إن الله قد ضمن السعادة لمن أطاعه وأطاع رسوله، وتوعد بالشقاء لمن لم يفعل ذلك، فمناط السعادة طاعة الله ورسوله. كما قال تعالى: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾ (٢) وأمثال ذلك.

وإذا كان كذلك والله تعالى يقول: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ (٣) فمن اجتهد في طاعة الله ورسوله بحسب استطاعته كان من أهل الجنة.

فقول الرافضة: لن يدخل الجنة إلا من كان إماميا، كقول اليهود والنصارى: ﴿لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى، تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين، بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (٤) .

ومن المعلوم أن المنتظر الذي يدعيه الرافضي لا يجب على أحد طاعته، فإنه لا يعلم له قول منقول عنه، فإذا من أطاع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم دخل الجنة وإن لم يؤمن بهذا الإمام، ومن آمن بهذا الإمام لم يدخل الجنة إلا إذا أطاع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، فطاعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم هي مدار السعادة وجودا وعدما، وهي الفارقة بين أهل الجنة والنار، ومحمد صلى لله تعالى عليه وسلم فرق بين الناس، والله سبحانه وتعالى قد دل الخلق على طاعته بما بينه لهم، فتبين أن أهل السنة جازمون بالسعادة والنجاة لمن كان من أهل السنة.

---

(١) الآية ٥٩ من سورة النمل.

(٢) الآية ٦٩ من سورة النساء.

(٣) الآية ٦٩ من سورة النساء.

(٤) الآيتان ١١١، ١١٢ من سورة البقرة.." (١)

"عند من يحضنه في بدنه، كأمه، وأم أمه، ونحوهما من أهل الحضانة، وأن يكون ماله عند من يحفظه: إما وصي أبيه إن كان له وصي، وإما غير الوصي: إما قريب، وإما نائب لدى السلطان، فإنه يتيم لموت أبيه.

والله تعالى يقول: ﴿وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا﴾ (١) . فهذا لا يجوز تسليم ماله إليه حتى يبلغ النكاح ويؤنس منه الرشد، كما ذكر الله

---

(١) مختصر منهاج السنة ابن تيمية ص/١٣٠

تعالى ذلك في كتابه، فكيف يكون من يستحق الحجر عليه في بدنه وماله إماما لجميع المسلمين معصوما، لا يكون أحدا مؤمنا إلا بالإيمان به؟!

ثم إن هذا باتفاق منهم: سواء قدر وجوده أو عدمه، لا ينتفعون به لا في دين ولا في دنيا، ولا علم أحدا شيئا، ولا يعرف له صفة من صفات الخير ولا الشر، فلم يحصل به شيء من مقاصد الإمامة ولا مصالحها، لا الخاصة ولا العامة، بل إن قدر وجوده فهو ضرر على أهل الأرض بلا نفع أصلا، فإن المؤمنين به لم ينتفعوا به، ولا حصل لهم به لطف ولا مصلحة، والمكذبون به يعذبون عندهم على تكذيبهم به، فهو شر محض لا خير فيه، وخلق مثل هذا ليس من فعل الحكيم العادل.

وإذا قالوا: إن الناس بسبب ظلمهم احتجب عنهم.

قيل: أولا: كان الظلم موجودا في زمن آبائه ولم يحتجبوا.

وقيل: ثانيا: فالمؤمنون به طبقوا الأرض فهلا اجتمع بهم في بعض الأوقات أو أرسل إليهم رسولا يعلمهم شيئا من العلم والدين؟!

وقيل: ثالثا: قد كان يمكنه أن يأوي إلى كثير من المواضع التي فيها شيعته، كجبال الشام التي كان فيها الرافضة عاصية، وغير ذلك من المواضع العاصية.

وقيل: رابعا: فإذا كان هو لا يمكنه أن يذكر شيئا من العلم والدين لأحد، لأجل هذا الخوف، لم يكن في وجوده لطف ولا مصلحة، فكان هذا مناقضا لما أثبتوه. بخلاف من أرسل من الأنبياء وكذب، فإنه بلغ الرسالة، وحصل لمن آمن به من اللطف والمصلحة ما هو من نعم الله عليه. وهذا المنتظر لم يحصل به لطائفته إلا الانتظار لمن لا يأتي، ودوام الحسرة

---

(١) الآية ٦ من سورة النساء.." (١)

"أولى وأحرى.

وأما قوله: ((إن المسلمين أجمعوا على قتل عثمان)) .

فجوابه من وجوه: أحدها: أن يقال: أولا: هذا من أظهر الكذب وأبينه؛ فإن جماهير المسلمين لم يأمروا بقتله، ولا شاركوا في قتله، ولا رضوا بقتله.

أما أولا: فلأن أكثر المسلمين لم يكونوا بالمدينة، بل كانوا بمكة واليمن والشام والكوفة والبصرة ومصر وخراسان، وأهل المدينة بعض المسلمين.

وأما ثانيا: فلأن خيار المسلمين لم يدخل واحد منهم في دم عثمان لا قتل ولا أمر بقتله، وإنما قتله طائفة من المفسدين في الأرض من أوباش القبائل وأهل الفتن، وكان علي – رضي الله عنه – يحلف دائما: ((إني ما قتلت عثمان ولا مالأت

---

(١) مختصر منهاج السنة ابن تيمية ص/١٥٢

على قتله)) ويقول: ((اللهم العن قتلة عثمان في البر والبحر والسهل والجبل)) . وغاية ما يقال: إنهم لن ينصروه حق النصرة، وأنه حصل نوع من الفتور والخذلان، حتى تمكن أولئك المفسدون. ولهم في ذلك تأويلات، وما كانوا يظنون أن الأمر يبلغ إلى ما بلغ، ولو علموا ذلك لسدوا الذريعة وحسموا مادة الفتنة.

الثاني: أن هؤلاء الرافضة في غاية التناقض والكذب؛ فإنه من المعلوم أن الناس أجمعوا على بيعة عثمان ما لم يجمعوا على قتله؛ فإنهم كلهم بايعوه في جميع الأرض. فإن جاز الاحتجاج بالإجماع الظاهر، فيجب أن تكون بيعته حقا لحصول الإجماع عليها. وإن لم يجز الاحتجاج به، بطلت حجتهم بالإجماع على قتله. لا سيما ومن المعلوم أنه لم يباشر قتله إلا طائفة قليلة. ثم إنهم ينكرون الإجماع على بيعته، ويقولون: إنما بايع أهل الحق منهم خوفا وكرها. ومعلوم أنهم لو اتفقوا كلهم على قتله، وقال قائل: كان أهل الحق كارهين لقتله لكن سكتوا خوفا وتقية على أنفسهم، لكان هذا أقرب إلى الحق، لأن العادة قد جرت بأن من يريد قتل الأئمة يخيف من ينازعه، بخلاف من يريد مبايعة الأئمة، فإنه لا يخيف المخالف، كما يخيف من يريد قتله، فإن المريدين للقتل أسرع **إلى الشر وسفك** الدماء وإخافة الناس من المريدين للمبايعة.

قدر أن جميع الناس ظهر منهم الأمر بقتله، فكيف وجمهورهم أنكروا قتله." (١)

"إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلا منافق يقدح في نبوته، أو جاهل لا يعلم العدل الذي بعث به – صلى الله عليه وسلم –.

وكذلك قوله: ((من آذاني في عترتي)) فإن إيذاء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حرام في عترته وأمته وسنته وغير ذلك.

(فصل)

قال الرافضي: ((فلينظر العاقل أي الفريقين أحق بالأمن: الذي نزه الله وملائكته وأنبياءه وأئمته؛ ونزه الشرع عن المسائل الردية، ومن يبطل الصلاة بإهمال الصلاة على أئمتهم، ويذكر أئمة غيرهم، أم الذي فعل ضد ذلك واعتقد خلافه؟)) .

والجواب أن يقال: ما ذكرتموه من التنزيه إنما هو تعطيل وتنقيض لله ولأنبيائه. بيان ذلك أن قول الجهمية نفاة الصفات يتضمن وصف الله تعالى بسلب صفات الكمال التي يشابه فيها الجمادات والمعدومات، فإذا قالوا: إنه لا تقوم به حياة ولا علم ولا قدرة، ولا كلام ولا مشيئة، ولا حب ولا بغض، ولا رضا ولا سخط، ولا يرى ولا يفعل بنفسه فعلا، ولا يقدر أن يتصرف بنفسه، كانوا قد شبهوه بالجمادات المنقوصات، وسلبوه صفات الكمال، فكان هذا تنقيصا وتعطيلا لا تنزيها، وإنما التنزيه أن ينزه عن النقائص المنافية لصفات الكمال، فينزه عن الموت والسنة والنوم، والعجز والجهل والحاجة، كما نزه نفسه في كتابه، فيجمع له بين إثبات صفات الكمال، ونفي النقائص المنافية للكمال، وينزه عن مماثلة شيء من المخلوقات له في شيء من صفاته، وينزه عن النقائص مطلقا، وينزه في صفات الكمال أن يكون له فيها مثل من الأمثال.

---

(١) مختصر منهاج السنة ابن تيمية ص/١٩٣

وأما الأنبياء فإنكم سلبتموهم ما أعطاهم الله من الكمال وعلو الدرجات، بحقيقة التوبة والاستغفار، والانتقال من كمال إلى ما هو أكمل منه، وكذبتم ما أخبر الله به من ذلك وحرفتم الكلم عن مواضعه، وظننتم أن انتقال الآدمي من الجهل إلى العلم، ومن الضلال إلى الهدى، ومن الغي إلى الرشاد، تنقصا، ولم تعلموا أن هذا من أعظم نعم الله و أعظم قدرته، حيث ينقل العباد من النقص إلى الكمال، وأنه قد يكون الذي **يذوق الشر والخير** ويعرفهما، يكون حبه للخير وبغضه للشر أعظم ممن لا يعرف إلا الخير. كما قال عمر بن." (١)

"الثابت، فيقول: هو عبد الله ورسوله، جاءنا بالبينات والهدى فآمنا به واتبعناه. ولو ذكر بدل الرسول من ذكره من الصحابة والأئمة والتابعين والعلماء لم ينفعه ذلك، ولا يمتحن في قبره بشخص غير الرسول.

والمقصود هنا أن ما يعتذر به عن علي فيما أنكر عليه يعتذر بأقوى منه عن عثمان، فإن عليا قاتل على الولاية، وقتل بسبب ذلك خلق كثير عظيم، ولم

يحصل في ولايته لا قتال للكفار، ولا فتح لبلادهم، ولا كان المسلمون في زيادة خير، وقد ولى من أقاربه من ولاه، فولاية الأقارب مشتركة، ونواب عثمان كانوا أطوع من نواب علي وأبعد عن الشر.

وأما الأموال التي تأول فيها عثمان، فكما تأول علي في الدماء. وأمر الدماء أخطر وأعظم.

ويقال: ثانيا: هذا النص الذي تدعونه، أنتم فيه مختلفون اختلافا يوجب العلم الضروري بأنه ليس عندكم ما يعتمد عليه فيه، بل كل قوم منكم يفترون ما شاءوا.

وأيضا فجماهير المسلمين يقولون: إنا نعلم علما يقينا، بل ضروريا، كذب هذا النص، بطرق كثيرة مبسوطة في مواضعها.

ويقال: ثالثا: إذا كان كذلك ظهرت حجة عثمان؛ فإن عثمان يقول: إن بني أمية كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يستعملهم في حياته، واستعملهم بعده من لا يتهم بقرابة: فيهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه. وعمر رضي الله عنه، ولا نعرف قبيلة من قبائل قريش فيها عمال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أكثر من بني عبد شمس، لأنهم كانوا كثيرين، وكان فيهم شرف وسؤدد، فاستعمل النبي - صلى الله عليه وسلم - في عزة الإسلام على أفضل الأرض مكة عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية، واستعمل على نجران أبا سفيان بن حرب بن أمية، واستعمل أيضا خالد بن سعيد بن العاص على صدقات بني مذحج وعلى صنعاء اليمن، فلم يزل عليها حتى مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، واستعمل عثمان بن سعيد بن العاص على تيماء وخيبر وقرى عرينة، واستعمل أبان بن سعيد بن العاص على بعض السرايا، ثم استعمله على البحرين فلم يزل عليها بعد العلاء بن الحضرمي حتى توفى النبي - صلى الله عليه وسلم -، واستعمل الوليد بن عقبة بن أبي معيط حتى أنزل الله فيه: ﴿إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة﴾ . (١)

---

(١) مختصر منهاج السنة ابن تيمية ص/٢٣٠

(١) الآية ٦ من سورة الحجرات.." [١]

"وتلعنونهم ويلعنونكم)) (١) .

وإنما ظهر الإحداث من معاوية في الفتنة لما قتل عثمان، ولما قتل عثمان كانت الفتنة شاملة لأكثر الناس، لم يختص بها معاوية، بل كان معاوية أطلب للسلامة من كثير منهم، وأبعد عن الشر من كثير منهم.

ومعاوية كان خيرا من الأشتر النخعي، ومن محمد بن أبي بكر، ومن عبيد الله بن عمر بن الخطاب، ومن أبي الأعور السلمي، ومن هاشم بن هاشم بن هاشم المرقال، ومن الأشعث بن قيس الكندي، ومن بسر بن أبي أرطاة، وغير هؤلاء من الذين كانوا معه ومع علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

وأما قوله: ((وولى عبد الله بن عامر البصرة، ففعل من المناكير ما فعل)) .

فالجواب: أن قتل عثمان والفتنة لم يكن سببها مروان وحده، بل اجتمعت أمور متعددة، من جملتها أمور تنكر من مروان. وعثمان رضي الله عنه كان قد كبر، وكانوا يفعلون أشياء لا يعلمونه بها، فلم يكن آمرا لهم بالأمور التي أنكرتموها عليه، بل كان يأمر بإبعادهم وعزلهم، فتارة يفعل ذلك، وتارة لا يفعل ذلك. وقد تقدم الجواب العام.

ولما قدم المفسدون الذين أرادوا قتل عثمان، وشكوا أمورا، أزالها كلها عثمان، حتى أنه أجابهم إلى عزل من يريدون عزله، وإلى أن مفاتيح بيت المال تعطى لمن يرتضونه، وأنه لا يعطي أحدا من المال إلا بمشورة الصحابة ورضاهم، ولم يبق لهم طلب. ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: ((مصصتموه كما يمص الثوب، ثم عمدتم إليه فقتلتموه)) .

وقد قيل: إنه زور عليه كتاب بقتلهم، وأنهم أخذوه في الطريق، فأنكر عثمان الكتاب، وهو الصادق. وأنهم اتهموا به مروان، وطلبوا تسليمه إليهم، فلم يسلمه.

(١) انظر صحيح مسلم ج٣ ص ١٤٨١، ١٤٨٢ والمسند ج٦ ص ٢٤ والترمذي ج٣ ص ٣٦٠ والدرامى ج٢ ص ٣٢٤.." [٢]

"الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة)) .

فيقال: هذا أيضا اختلاف في مسألة شرعية، وقد زال الخلاف فيها والخلاف في هذه دون الخلاف في ميراث الإخوة مع الجد، وميراث الجدة مع ابنها، وحجب الأم بالأخوين، وجعل الجد مع الأم كالأب، وأمثال ذلك من مسائل الفرائض التي تنازعوا فيها.

وقد تولى علي بعد ذلك، وصار فدك وغيرها تحت حكمه، ولم يعطها لأولاد فاطمة، ولا أخذ من زوجات النبي – صلى

(١) مختصر منهاج السنة ابن تيمية ص/٣٠٠

(٢) مختصر منهاج السنة ابن تيمية ص/٣٠٥

الله عليه وسلم -، ولا ولد العباس شيئا من ميراثه.

فلو كان ذلك ظلما وقدر على إزالته، لكان هذا أهون عليه من قتال معاوية وجيوشه. أفتراه يقاتل معاوية، مع ما جرى في ذلك **من الشر العظيم**، ولا يعطي هؤلاء قليلا من المال، وأمره أهون بكثير؟

وأما قوله: ((الخلاف السادس: في قتال مانعي الزكاة، قاتلهم أبو بكر، واجتهد عمر في أيام خلافته، فرد السبايا والأموال إليهم، وأطلق المحبوسين)) .

فهذا من الكذب الذي لا يخفى على من عرف أحوال المسلمين؛ فإن مانعي الزكاة اتفق أبو بكر وعمر على قتالهم، بعد أن راجعه عمر في ذلك.

كما في الصحيحين عن أبي هريرة أن عمر قال لأبي بكر: يا خليفة رسول الله، كيف تقاتل الناس، وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله)) ؟

فقال أبو بكر: ألم يقل إلا بحقها وحسابهم على الله؟ فإن الزكاة من حقها. والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لقاتلتهم على منعها. قال عمر: فو الله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق (١) .

فعمر وافق أبا بكر على قتال أهل الردة مانعي الزكاة، وكذلك سائر الصحابة. وأقر أولئك بالزكاة بعد امتناعهم منها، ولم تسب لهم ذرية، ولا حبس منهم أحد، ولا كان بالمدينة حبس لا على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ولا على عهد أبي بكر. فكيف يموت وهم في حبسه؟.

---

(١) انظر البخاري ج٩ ص ١٥، ومسلم ج١ ص ٥١.." (١)

"ودع ما يسمع وينقل عمن خلا، فلينظر كل عاقل فيما يحدث في زمانه، وما يقرب من زمانه من الفتن والشرور والفساد في الإسلام، فإنه يجد معظم ذلك من قبل الرافضة، وتجدهم أعظم الناس فتنا وشرا، وأنهم لا يقعدون عما يمكنهم من الفتن والشر وإيقاع الفساد بين الأمة.

ونحن نعرف بالعيان والتواتر العام وما كان في زماننا، من حين خرج جنكزخان ملك الترك الكفار، وما جرى في الإسلام من الشر. فلا يشك عاقل أن استيلاء الكفار المشركين، على بلاد الإسلام، وعلى أقارب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من بني هاشم، كذرية العباس وغيرهم، بالقتل وسفك الدماء، وسبي النساء واستحلال فروجهن، وسبي الصبيان واستعبادهم وإخراجهم عن دين الله إلى

الكفر، وقتل أهل العلم والدين من أهل القرآن والصلاة، وتعظيم بيوت الأصنام - التي يسمونها البذخانات والبيع والكنائس - على المساجد، ورفع المشركين وأهل الكتاب من النصارى وغيرهم على المسلمين، بحيث يكون المشركون وأهل

---

(١) مختصر منهاج السنة ابن تيمية ص/٣٢٣

الكتاب أعظم عزا، وأنفذ كلمة، وأكثر حرمة من المسلمين، إلى أمثال ذلك مما لا يشك عاقل أن هذا أضر على المسلمين من قتال بعضهم بعضا، وأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا رأى ما جرى على أمته من هذا، كان كراهته له، وغضبه منه، أعظم من كراهته لاثنين مسلمين تقاتلا على الملك، ولم يسب أحدهما حريم الآخر، ولا نفع كافرا، ولا أبطل شيئا من شرائع الإسلام المواترة، وشعائره الظاهرة.

ثم مع هذا الرافضة يعاونون أولئك الكفار، وينصرونهم على المسلمين، كما قد شاهده الناس، لما دخل هولاكو ملك الكفار الترك الشام سنة ثمان وخمسين وستمائة، فإن الرافضة الذين كانوا بالشام، بالمدائن والعواصم، من أهل حلب وما حولها، ومن أهل دمشق وما حولها، وغيرهم، كانوا من أعظم الناس أنصارا وأعوانا على إقامة ملكه، وتنفيذ أمره في زوال ملك المسلمين.

وهكذا يعرف الناس – عامة وخاصة – ما كان بالعراق لما قدم هولاكو إلى العراق، وقتل الخليفة، وسفك فيها من الدماء ما لا يحصيه إلا الله، فكان وزير الخليفة ابن العلقمي، والرافضة هم بطانته، الذين أعانوه على ذلك بأنواع كثيرة، باطنة وظاهرة، يطول وصفها.." (١)

"وهكذا ذكر أنهم كانوا مع جنكزخان، وقد رآهم المسلمون بسواحل الشام وغيرها، إذا اقتتل المسلمون والنصارى هواهم مع النصارى، ينصرونهم بحسب الإمكان، ويكرهون فتح مدائنهم، كما كرهوا فتح عكا وغيرها، ويختارون إدالتهم على المسلمين، حتى أنهم لما انكسر عسكر المسلمين سنة غازان، سنة تسع وتسعين وخمسمائة، وخلت الشام من جيش المسلمين، عاثوا في البلاد، وسعوا في أنواع من الفساد، من القتل وأخذ الأموال، وحمل راية الصليب، وتفضيل النصارى على المسلمين، وحمل السبي والأموال والسلاح من المسلمين إلى النصارى، أهل الحرب بقبرص وغيرها.

فهذا – وأمثاله – قد عاينه الناس، وتواتر عند من لم يعاينه. ولو ذكرت أنا ما سمعته ورأيته من آثار ذلك لطال الكتاب ،وعند غيري من أخبار ذلك وتفاصيله ما لا أعلمه.

فهذا أمر مشهود من معاونتهم للكفار على المسلمين، ومن اختيارهم لظهور الكفر وأهله على الإسلام وأهله. ولو قدر أن المسلمين ظلمة فسقة، ومظهرون لأنواع من البدع التي هي أعظم من سب علي وعثمان، لكان العاقل ينظر في خير الخيرين وشر الشرين.

ألا ترى أن أهل السنة وإن كانوا يقولون في الخوارج والروافض وغيرهما من أهل البدع ما يقولون، لكن لا يعاونون الكفار على دينهم، ولا يختارون ظهور الكفر وأهله على ظهور بدعة دون ذلك؟

والرافضة إذ تمكنوا لا يتقون. وانظر ما حصل لهم في دولة السلطان خدابندا، الذي صنف له هذا الكتاب، كيف ظهر فيهم من الشر، الذي لو دام وقوي أبطلوا به عامة شرائع الإسلام! لكن يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

وأما الخلفاء والصحابة فكل خير فيه المسلمون إلى يوم القيامة – من الإيمان والإسلام، والقرآن والعلم، والمعارف

---

(١) مختصر منهاج السنة ابن تيمية ص/٣٣٠

والعبادات، ودخول الجنة، والنجاة من النار، وانتصارهم على الكفار، وعلو كلمة الله – فإنما ببركة ما فعله الصحابة، الذين بلغوا الدين، وجاهدوا في سبيل الله.." (١)

"وكل مؤمن آمن بالله فللصحابة رضي الله عنهم عليه فضل إلى يوم القيامة، وكل خير فيه الشيعة وغيرهم فهو ببركة الصحابة. وخير الصحابة تبع لخير الخلفاء الراشدين، فهم كانوا أقوم بكل خير في الدين والدنيا من سائر الصحابة، فكيف يكون هؤلاء منبع الشر، ويكون أولئك الرافضة منبع الخير؟!

ومعلوم أن الرافضي يوالي أولئك الرافضة ويعادي الصحابة، فهل هذا إلا من شر من أعمى الله بصيرته؟ فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

(فصل)

قال الرافضي: ((الفصل الثالث: في الأدلة الدالة على إمامة أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم –. الأدلة في ذلك كثيرة لا تحصى، لكن نذكر المهم منها، وننظم أربعة مناهج: المنهج الأول: في الأدلة العقلية، وهي خمسة:

الأول: أن الإمام يجب أن يكون معصوما، ومتى كان ذلك كان الإمام هو عليا عليه السلام.

أما المقدمة الأولى: فلأن الإنسان مدني بالطبع، لا يمكن أن يعيش منفردا، لافتقاره في بقائه إلى ما يأكل ويشرب ويلبس ويسكن، ولا يمكن أن يفعلها بنفسه، بل يفتقر إلى مساعدة غيره، بحيث يفزع كل واحد منهم إلى ما يحتاج إليه صاحبه، حتى يتم قيام النوع. ولما كان الاجتماع في مظنة التغالب والتغابن، بأن كل واحد من الأشخاص قد يحتاج إلى ما في يد غيره، فتدعوه قوته الشهوانية إلى أخذه وقهره عليه وظلمه فيه، فيؤدي ذلك إلى وقوع الهرج والمرج وإثارة الفتن، فلا بد من نصب إمام معصوم يصدهم عن الظلم والتعدي، ويمنعهم عن التغالب والقهر، وينصف المظلوم من الظالم، ويوصل الحق إلى مستحقه، لا يجوز عليه الخطأ ولا السهو ولا المعصية، وإلا افتقر إلى إمام آخر، لأن العلة المحوجة إلى نصب الإمام هي جواز الخطأ على الأمة، فلو جاز الخطأ عليه لاحتاج إلى إمام آخر، فإن كان معصوما كان هو الإمام، وإلا لزم التسلسل.

أما المقدمة الثانية فظاهرة، لأن أبا بكر وعمر وعثمان لم يكونوا معصومين اتفاقا، وعلي." (٢)

"العقل أنه يجب على الله أن يخلق إماما معصوما؟

وهو إنما يخلقه ليحصل به مصالح عباده، وقد خلقه عاجزا لا يقدر على تلك المصالح، بل حصل به من الفساد ما لم يحصل إلا بوجوده.

وهذا يتبين بالوجه الرابع: وهو أنه لو لم يخلق هذا المعصوم، لم يكن يجري في الدنيا **من الشر أكثر** مما جرى، إذا كان وجوده لم يدفع شيئا من الشر، حتى يقال: وجوده دفع كذا. بل وجوده أوجب أن كذب به الجمهور، وعادوا شيعته،

---

(١) مختصر منهاج السنة ابن تيمية ص/٣٣١

(٢) مختصر منهاج السنة ابن تيمية ص/٣٣٢

وظلموه وظلموا أصحابه، وحصل من الشرور التي لا يعلمها إلا الله، بتقدير أن يكون معصوما.

فإنه بتقدير أن لا يكون علي رضي الله عنه معصوما، ولا بقية الاثني عشر ونحوهم، لا يكون ما وقع من تولية الثلاثة، وبني أمية، وبني العباس، فيه من الظلم والشر ما فيه، بتقدير كونهم أئمة معصومين. وبتقدير كونهم معصومين فما أزالوا **من الشر إلا** ما يزيله من ليس بمعصوم، فصار كونهم معصومين إنما حصل **به الشر لا** الخير.

فكيف يجوز على الحكيم أن يخلق شيئا ليحصل به الخير، وهو لم يحصل به **إلا الشر لا** الخير؟

وإذا قيل: **هذا الشر حصل** من ظلم الناس له.

قيل: فالحكيم الذي خلقه إذا كان خلقه لدفع ظلمهم، وهو يعلم أنه إذا خلقه زاد ظلمهم، لم يكن خلقه حكمة بل سفها، وصار هذا كتسليم إنسان ولده إلى من يأمره بإصلاحه، وهو يعلم أنه لا يطيعه بل يفسده. فهل يفعل هذا حكيم؟

الوجه الخامس: إذا كان الإنسان مدينا بالطبع، وإنما وجب نصب المعصوم ليزيل الظلم والشر عن أهل المدينة، فهل تقولون: إنه لم يزل في كل مدينة خلقها الله تعالى معصوم يدفع ظلم الناس أم لا؟

فإن قلتم بالأول، كان هذا مكابرة ظاهرة. فهل في بلاد الكفار من المشركين وأهل الكتاب معصوم؟ وهل كان في الشام عند معاوية معصوم؟

وإن قلتم: بل نقول: هو في كل مدينة واحد، وله نواب في سائر المدائن.

قيل: فكل معصوم له نواب في جميع مدائن الأرض أم في بعضها؟." (١)

"فإن قلتم: في الجميع، كان هذا مكابرة. وإن قلتم: في البعض دون البعض.

قيل: فما الفرق إذا كان ما ذكرتموه واجبا على الله، وجميع المدائن حاجتهم إلى المعصوم واحدة؟

الوجه السادس: أن يقال: هذا المعصوم يكون وحده معصوما؟ أو كل من نوابه معصوما؟ وهم لا يقولون بالثاني، والقول به مكابرة. فإن نواب النبي – صلى الله عليه وسلم – لم يكونوا معصومين، ولا نواب علي، بل كان في بعضهم **من الشر والمعصية** ما لم يكن مثله في نواب معاوية لأميرهم، فأين العصمة؟

وإن قلت: يشترط فيه وحده.

قيل: فالبلاد الغائبة عن الإمام، لا سيما إذا لم يكن المعصوم قادرا على قهر نوابه بل هو عاجز، ماذا ينتفعون بعصمة الإمام، وهم يصلون خلف غير معصوم، ويحكم بينهم غير معصوم، ويطيعون غير معصوم، ويأخذ أموالهم غير معصوم؟

فإن قيل: الأمور ترجع إلى المعصومين.

قيل: لو كان المعصوم قادرا ذا سلطان، كما كان عمر وعثمان ومعاوية وغيرهم، لم يتمكن أن يوصل إلى كل من رعيته العدل الواجب الذي يعلمه هو. وغاية ما يقدر عليه أن يولي أفضل من يقدر عليه، لكن إذا لم يجد إلا عاجزا أو ظالما، فكيف يمكنه تولية قادر عادل؟

فإن قالوا: إذا لم يخلق الله إلا هذا سقط عنه التكليف.

---

(١) مختصر منهاج السنة ابن تيمية ص/٣٣٩

قيل: فإذا لم يجب على الله أن يخلق قادرا عادلا مطلقا، بل أوجب على الإمام أن يفعل ما يقدر عليه، فكذلك الناس عليهم أن يولوا أصلح من خلقه الله تعالى، وإن كان فيه نقص: إما من قدرته، وإما من عدله.
وقد كان عمر رضي الله عنه يقول: ((اللهم إليك أشكو جلد الفاجر وعجز الثقة)) ، وما ساس العالم أحد مثل عمر، فكيف الظن بغيره؟
هذا إذا كان المتولي نفسه قادرا عادلا، فكيف إذا كان المعصوم عاجزا؟ ومن الذي يلزمها بطاعته حتى تطيعه؟ وإذا أظهر بعض نوابه طاعته حتى يوليه، ثم أخذ ما شاء من الأموال،." (١)
"وعثمان من يجري لهم أضعاف هذا، وأفضل من هذا
وهذا، وإن كان جرى على يد بعض الصالحين كان نعمة من الله وكرامة له، فقد يقع في مثل ذلك لمن ليس من الصالحين كثيرا.
وأما سائر ما فيها، مثل قوله: ((إن هذا الدير بني على طالب هذه الصخرة، ومخرج الماء من تحتها)) .
فليس هذا من دين المسلمين، وإنما تبنى الكنائس والديارات والصوامع على أسماء المقتدية بسير النصارى، فأما المسلمون فلا يبنون معابدهم - وهي المساجد التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه - إلا على اسم الله، لا على اسم مخلوق.
وما فيه من قول علي: ((ولكني وصي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -)) هو مما يبين أنه كذب على علي، وأن عليا لم يدع هذا قط لا في خلافة الثلاثة ولالا ليالي صفين.
(فصل)
قال الرافضي: ((الثامن: ما رواه الجمهور: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما خرج إلى بني المصطلق، حيث خرجوا عن الطريق، وأدركه الليل، بقرب واد وعر، فهبط جبريل وأخبره أن طائفة من كفار الجن قد استنبطوا الوادي يريدون كيده **وإيقاع الشر بأصحابه**، فدعا بعلي وعوذه، وأمره بنزول الوادي، فقتلهم)) .
والجواب: أن يقال: أولا: علي أجل قدرا من هذا، وإهلاك الجن موجود لمن هو دون علي، لكن هذا الحديث من الأحاديث المكذوبة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعلى علي عند أهل المعرفة بالحديث، ولم يجر في غزوة بني المصطلق شيء من هذا.
وقوله: ((إن هذا رواه الجمهور)) إن أريد بذلك أنه مروي بإسناد ثابت، أو في كتاب يعتمد على مجرد نقله، أو صححه من يرجع إلى تصحيحه فليس كذلك.
وإن أراد أن جمهور العلماء رووه، فهذا كذب. وإن أراد أنه رواه من لا يقوم بروايته حجة؛ فهذا لا يفيد.

---

(١) مختصر منهاج السنة ابن تيمية ص/٣٤٠

(فصل)

قال الرافضي: ((التاسع: رجوع الشمس له مرتين: إحداهما: في زمن النبي – صلى الله عليه وسلم –.." [1]

"وإن زغت فقوموني. ومن شأن الإمام تكميل الرعية، فكيف يطلب منهم الكمال؟)) .

والجواب من وجوه: أحدها: أن المأثور عنه أنه قال: ((إن لي شيطانا يعتريني)) يعني عند الغضب ((فإذا اعتراني فاجتنبوني لا أؤثر في أبشاركم)) . وقال: ((أطيعوني ما أطعت الله، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي

عليكم)) وهذا الذي قاله أبو بكر رضي الله عنه من أعظم ما يمدح به، كما سنبينه إن شاء الله تعالى.

الثاني: أن الشيطان الذي يعتريه قد فسر بأنه يعرض لابن آدم عند الغضب، فخاف عند الغضب أن يعتدي على أحد من الرعية، فأمرهم بمجانبته عند الغضب.

كما ثبت في الصحيح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: ((لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان)) (١) فنهى عن الحكم عند الغضب، وهذا هو الذي أراده أبو بكر: أراد أن لا يحكم وقت الغضب، وأمرهم أن لا يطلبوا منه حكما، أو يحملوه على حكم في هذه الحال. وهذا من طاعته لله ورسوله.

الثالث: أن يقال: الغضب يعتري بني آدم كلهم، حتى قال سيد ولد آدم: ((اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر، وإني اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه: أيما مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة)) . أخرجاه في الصحيحين عن أبي هريرة (٢) .

وأما قوله ((فإن استقمت فأعينوني، وإن زغت فقوموني)) فهذا من كمال عدله وتقواه، وواجب على كل إمام أن يقتدى به في ذلك، وواجب على الرعية أن تعامل الأئمة بذلك. فإن استقام الإمام أعانوه على طاعة الله تعالى، وإن زاغ وأخطأ بينوا له الصواب ودلوه عليه، وإن تعمد ظلما منعوه منه بحسب الإمكان، فإذا كان منقادا للحق، كأبي بكر فلا عذر لهم في ترك ذلك، وإن كان لا يمكن دفع الظلم إلا بما هو أعظم فسادا منه، لم **يدفعوا الشر القليل** بالشر الكثير.

---

(١) انظر البخاري ج٩ ص٦٥ ومسلم ج٣ ص ١٣٤٢- ١٣٤٣.

(٢) البخاري ج٨ ص ٧٧ - ومسلم ج٤ ص ٢٠٠٨.." [2]

"بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل الله ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد: فهذا سفر جديد ومؤلف نفيس ينشر لأول مرة، للعلامة القرآني والمجاهد المرابط١ الرباني، شيخ الإسلام

---

(١) مختصر منهاج السنة ابن تيمية ص/٤٨٠

(٢) مختصر منهاج السنة ابن تيمية ص/٤٨٩

والمسلمين أبي العباس أحمد بن تيمية رحمه الله، نقدمه للمجاهدين الصابرين المرابطين في كل مكان من ثغور الإسلام لا سيما بيت المقدس، الذي يمر بوقت عصيب تكالبت فيه كل **قوى الشر لمساعدة** أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود في مؤامراتهم لإحكام السيطرة عليه ولهدم الأقصى وبناء الهيكل المزعوم!! وهذا هو سر مقولتهم المشهورة التي رددها أساطينهم في عصرنا٢: "لا قيمة لإسرائيل بدون القدس ولا قيمة للقدس بدون الهيكل"!!

---

١ راجع: في رباط شيخ الإسلام بالثغور "العقود الدرية" لابن عبد الهادي ص (٢٩٠) .

٢ قالها ابن جوريون ورددها من بعده مرارا بيجن وجولدا مائير..." [(١)]

"ومن الأدلة على استحباب المجاورة

٣٦- قالوا: ولأن في المجاورة بها من تحصيل العبادات وتضعيفها ما لا يكون في بلد آخر؛ فإن الطواف بالبيت لا يمكن إلا بمكة وهو من أفضل الأعمال، ولآن الصلاة بها تضاعف هي وغيرها من الأعمال.

٣٧- وقد قال تعالى: ﴿وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود﴾ (الحج: من الآية٢٦) .

٣٨- روي: "أنه ينزل على البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة ستون للطائفين وأربعون للمصلين [وعشرون للناظرين] ١".

٣٩- ولهذا قال العلماء: إن الصلاة بمكة أفضل من الصلاة بالثغر مع قولهم: إن المرابطة بالثغر أفضل وتضاعف السيئات فيه وإذا كان المكان دواعي الخير فيه أقوى، **ودواعي الشر فيه** أضعف كان المقام فيه [أفضل] ٢ مما ليس كذلك.

---

١ ابن عدي في "الكامل في الضعفاء" (٦/٢٧٨) من طريق محمد بن معاوية النيسابوري ثنا محمد بن صفوان عن ابن جريح عن ابن عباس.

ومحمد بن معاوية النيسابوري، قال النسائي ليس بثقة متروك الحديث.

وقال ابن عدي عقب الحديث: "وهذا منكر وروى الأوزاعي عن عطاء عن ابن عباس هذا، ورواه عنه يوسف بن أبي السفر كاتب الأوزاعي وهو ضعيف" اهـ.

قلت: وهذه الرواية الثانية أوردها في "لسان الميزان" (٦/٣٢٢) في ترجمة يوسف بن أبي السفر، ويوسف هذا كذبة غير واحد، قال الدارقطني: متروك الحديث يكذب.

٢ ما بين المعقوفتين زيادة يستقيم بها السياق.." [(٢)]

"ذلك من المنكرات بعد موت الميت بسنين كثيرة ما لو فعلوه عقب موته لكان ذلك من أعظم المنكرات التي حرمها الله ورسوله، فكيف بعد هذه المدة الطويلة.

---

(١) مسألة فى المرابطة بالثغور أفضل أم المجاورة بمكة شرفها الله تعالى ابن تيمية ص/٥

(٢) مسألة فى المرابطة بالثغور أفضل أم المجاورة بمكة شرفها الله تعالى ابن تيمية ص/٢٩

ومن المعلوم أنه قد قتل من الأنبياء، وغير الأنبياء (١) ظلما وعدوانا من هو أفضل من الحسين قتل أبوه ظلما، وهو أفضل منه. وقتل عثمان بن عفان، وكان قتله أول الفتن العظيمة التي وقعت بعد موت النبي - صلى الله عليه وسلم -، وترتب عليه من الشر، والفساد أضعاف ما ترتب على قتل الحسين. وقتل غير هؤلاء ومات، وما فعل أحد - لا من المسلمين، ولا غيرهم - مأتما ولا نياحة على ميت، ولا قتيل بعد مدة طويلة من قتله إلا هؤلاء الحمقى الذين لو كانوا من الطير لكانوا رخما، ولو كانوا من البهائم لكانوا حمرا.

ومن ذلك أن بعضهم لا يوقد خشب الطرفاء (٢) ؛ لأنه بلغه أن دم الحسين، وقع على شجرة من الطرفاء، ومعلوم. أن تلك الشجرة بعينها لا يكره وقودها، ولو كان عليها من (٣) أي دم كان، فكيف بسائر الشجر الذي لم يصبه الدم؟ ! . وحماقاتهم يطول وصفها لا يحتاج إلى أن تنقل (٤) بإسناد، [ولكن ينبغي

---

(١) ن، م: من الأنبياء وغيرهم.

(٢) في اللسان: الطرفة شجرة وهي الطرف، والطرفاء جماعة الطرفة. وقال أبو حنيفة: الطرفاء من العضاه، وهدبه مثل هدب الأثل، وليس له خشب وإنما يخرج عصيا سمحة في السماء، وقد تتمحض بها الإبل إذا لم تجد حمضا غيره. وقال أبو عمرو: الطرفاء من الحمض.

(٣) من: ساقطة من (أ) ، (ب) .

(٤) أ: ومن حماقاتهم كما يطول وصفها لا يحتاج أن تنقل؛ ب: ومن حماقاتهم ما يطول وصفها ولا يحتاج أن تنقل.." (١)

"الحق، وصاروا يجعلون ذلك حجة على مخالفة الحق مقدرين أنه (١) لا حق عند الرسل وأتباعهم إلا ما يقوله هؤلاء المتكلمون، وصاروا بمنزلة من جاور بعض جهال المسلمين وفساقهم من المشركين وأهل الكتاب، فصار يورد (٢) بعض ما أولئك فيه من الجهل والظلم، ويجعل ذلك حجة على بطلان دين المسلمين مقدرا أن دين المسلمين هو ما أولئك عليه مع كونه هو أجهل، وأظلم منهم، كما يحتج طائفة (٣) من أهل الكتاب من اليهود والنصارى على القدح في دين المسلمين بما يجدون في بعضهم من الفواحش إما بنكاح التحليل، وإما (٤) غيره، وما يجدونه من الظلم، أو الكذب، أو الشرك، فإذا قوبلوا على وجه الإنصاف وجدوا الفواحش والظلم والكذب والشرك (٥) فيهم أضعاف ما يجدونه في المنتسبين إلى [دين] (٦) الإسلام، وإذا بين لهم حقيقة الإسلام تبين أنه ليس فيه شيء من تلك الفواحش، والظلم، والكذب، والشرك، فإنه ما من ملة إلا وقد دخل في بعض أهلها نوع **من الشر لكن** [الشر] (٧) الذي دخل في غير المسلمين أكثر مما دخل في المسلمين والخير الذي يوجد في المسلمين أكثر مما يوجد في غيرهم، وكذلك أهل السنة في الإسلام

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥٥/١

(١) ن، م: أن.

(٢) ن، م، أ: ورد. والمثبت من (ب) .

(٣) ن، م، أ: كما يحتج به طائفة. والمثبت من (ب) .

(٤) أ، ب: أو.

(٥) ن (فقط) : والشرك والكذب.

(٦) دين: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٧) الشر: ساقطة من (ن) ، (م) .." [1]

"ومنهم (١) من يفضل زيارة قبور شيوخهم على الحج، ومنهم من يجد عند قبر من يعظمه من الرقة والخشوع ما لا يجده في المساجد والبيوت، وغير ذلك مما يوجد في الشيعة.

ويروون أحاديث مكذوبة من جنس أكاذيب الرافضة، مثل قولهم: لو أحسن أحدكم ظنه بحجر نفعه الله به. وقولهم: إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور. وقولهم: قبر فلان هو الترياق المجرب.

ويروون عن بعض شيوخهم أنه قال لصاحبه: إذا كان لك حاجة فتعال إلى قبري واستغث بي، ونحو ذلك، فإن في المشايخ من يفعل بعد مماته كما كان يفعل في حياته. وقد يستغيث الشخص بواحد منهم، فيتمثل له الشيطان في صورته: إما حيا وإما ميتا، وربما قضى حاجته أو [قضى بعض حاجته] (٢) ، كما يجري نحو ذلك للنصارى مع شيوخهم، ولعباد الأصنام من العرب والهند والترك وغيرهم.

قيل: هذا كله مما نهى الله عنه ورسوله، وكل ما نهى الله عنه ورسوله فهو مذموم منهي عنه، سواء كان فاعله منتسبا إلى السنة أو إلى التشيع، ولكن الأمور المذمومة المخالفة للكتاب والسنة في هذا وغيره هي في الرافضة أكثر منها في أهل السنة، [فما يوجد في أهل السنة] (٣) **من الشر ففي** الرافضة أكثر منه، وما يوجد في الرافضة من الخير ففي أهل السنة أكثر منه.

---

(١) أ، ب: وفيهم.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) .

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) .." [2]

"هذا الخير من شر؟ قال: " نعم ". قلت: (١) فهل بعد **ذلك الشر من** خير؟ قال: " نعم، وفيه دخن ". قلت: وما دخنه؟ قال: " قوم يستنون بغير سنتي (٢) ، ويهتدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر ". فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: " نعم دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها ". فقلت: يا رسول الله صفهم لنا. " قال نعم،

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/٢١٤

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١/٤٨٣

قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ". قلت: يا رسول الله، فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: " تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ". قلت: فإن لم يكن [لهم] (٣) جماعة ولا إمام؟ قال: " فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك» " (٤) .

وفي لفظ [آخر] (٥) «قلت: [وهل] (٦) وراء ذلك الخير من (٧) شر؟ قال:

---

(١) ن، م: قال:

(٢) ن، م: بسنتي.

(٣) لهم: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٤) الحديث عن أبي حذيفة - رضي الله عنه - في صحيح مسلم ١٤٧٥/٣ - ١٤٧٦، وفيه: ويهدون بغير هديي (وفي شرح النووي ٢٣٦/١٢: يهتدون) ، والحديث أيضا في البخاري ١٩٩/٤ - ٢٠٠ (كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام) ، ٥١/٩ - ٥٢ (كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة) ؛ سنن ابن ماجه ١٣١٧/٢ (كتاب الفتن، باب العزلة) وجاء مختصرا. والدخن (شرح النووي ٢٣٦/١٢ - ٢٣٧) : " قال أبو عبيدة وغيره. . .: أصله أن تكون في لون الدابة كدورة إلى سواد. قالوا: والمراد هنا أن لا تصفو القلوب بعضها لبعض، ولا يزول خبثها، ولا ترجع إلى ما كانت عليه من الصفاء ".

(٥) آخر: زيادة في (أ) ، (ب) .

(٦) وهل: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٧) من: ساقطة من (أ) ، (ب) .." [1]

"" نعم ". قلت: كيف؟ قال: " يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس " (١) . قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: " تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع» " (٢) .

وهذا جاء مفسرا في حديث آخر عن حذيفة؛ قال عن الخير الثاني: " «صلح على دخن، وجماعة على أقذاء فيها، وقلوب لا ترجع إلى ما كانت عليه» (٣) ".

فكان الخير الأول النبوة (٤) وخلافة النبوة التي لا فتنة فيها، **وكان الشر ما** حصل من الفتنة بقتل عثمان وتفرق الناس، حتى صار حالهم شبيها بحال الجاهلية يقتل بعضهم بعضا.

ولهذا قال الزهري (٥) : وقعت الفتنة وأصحاب رسول الله

---

(١) ب: الإنس، وما أثبته هو الذي في نسختي صحيح مسلم وشرح النووي.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥٥٨/١

(٢) صحيح مسلم ١٤٧٦/٣. وفيه وفي شرح النووي ٢٣٨/١٢: لا يهتدون بهداي.

(٣) الحديث مع اختلاف في الألفاظ في سنن أبي داود ١٣٥/٤ - ١٣٧ (كتاب الفتن، باب ذكر الفتن ودلائلها) ؛ المسند (ط. الحلبي) ٣٨٦/٥ - ٣٨٧، ٤٠٣. وفي اللسان: قول النبي - صلى الله عليه وسلم - في فتنة ذكرها: هدنة على دخن وجماعة على أقذاء؛ الأقذاء: جمع قذى، والقذى: جمع قذاة، وهو ما يقع في العين والماء والشراب من تراب، أو تبن أو وسخ أو غير ذلك، أراد أن اجتماعهم على فساد من قلوبهم فشبهه بقذى العين والماء والشراب.

(٤) ن، م: وكان الخير الأول للنبوة.

(٥) ن، م: الأزهري، وهو تحريف، وهو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري، أبو بكر المدني، أحد الأئمة الأعلام، وعالم الحجاز والشام؛ حدث عن ابن عمر وأنس وابن المسيب وغيرهم، توفي سنة ١٢٤ وقيل: سنة ١٢٥. ترجمته في تهذيب التهذيب ٤٤٥/٩ - ٤٥١؛ الخلاصة للخزرجي، ص ٣٠٦ - ٣٠٧.." [(١)]

"[الرد على القسم الثاني من المقدمة]

وأما قوله (١) : " وبعضهم اشتبه الأمر عليه (٢) ورأى (٣) لطالب الدنيا متابعا (٤) ، فقلده [وبايعه] (٥) وقصر في نظره، فخفي عليه الحق، فاستحق (٦) ، المؤاخذة من الله (٧) بإعطاء الحق لغير مستحقه "

قال: " وبعضهم قلد لقصور فطنته، ورأى الجم الغفير فتابعه، وتوهم (٨) أن الكثرة تستلزم الصواب، وغفل عن قوله تعالى: ﴿وقليل ما هم﴾ [سورة ص: ٢٤] ، ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ [سورة سبأ: ١٣] ".

فيقال لهذا المفتري الذي جعل الصحابة الذين بايعوا أبا بكر ثلاثة أصناف: أكثرهم طلبوا الدنيا، وصنف قصروا في النظر، وصنف عجزوا عنه ؛ **لأن الشر إما** أن يكون لفساد القصد، وإما أن يكون للجهل، والجهل إما أن يكون لتفريط في النظر، وإما أن يكون لعجز عنه. وذكر (٩) أنه كان في الصحابة (١٠) وغيرهم من قصر في النظر حين بايع أبا بكر، ولو نظر لعرف الحق، وهذا يؤاخذ على تفريطه بترك النظر الواجب. وفيهم

---

(١) يكرر ابن تيمية هنا نص كلام ابن المطهر الذي ورد من قبل (ص [٠ - ٩]- ١٠) من هذا الجزء.

(٢) ن، م: عليه الأمر.

(٣) ن، م، أ: رأى.

(٤) ب: مبايعا.

(٥) وبايعه: ساقطة من (ن) ، (م) ، (أ) .

(٦) ن، م، أ: فخفى الحق عليه واستحق.

(٧) أ، ب: الله تعالى.

(٨) ن، م: ورأى.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥٥٩/١

(٩) ن، م: فذكر

(١٠) ن (فقط) : للصحابة.." (١)

"من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم، ودب شرهم إلى من لم يكن منهم حتى عم الشر.

وهذه كتب المسلمين التي ذكر فيها زهاد الأمة ليس فيهم رافضي، وهؤلاء المعروفون في الأمة بقول (١) الحق وأنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم ليس فيهم رافضي، كيف والرافضي من جنس المنافقين مذهبه التقية، فهل هذا (٢) حال من لا تأخذه في الله لومة لائم؟ .

إنما هذه حال من نعته الله في كتابه بقوله: ﴿ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ [سورة المائدة: ٥٤] (٣) .

وهذا (٤) حال من قاتل المرتدين وأولهم (٥) الصديق ومن اتبعه إلى يوم القيامة، فهم الذين جاهدوا المرتدين كأصحاب مسيلمة الكذاب ومانعي الزكاة وغيرهما، وهم الذين فتحوا الأمصار وغلبوا فارس و الروم، وكانوا أزهد الناس ؛ كما قال [عبد الله] بن مسعود (٦) لأصحابه: أنتم أكثر صلاة

---

(١) أ: الأمة يقولون ؛ ب: الأمة بأنهم يقولون.

(٢) أ، ب: فهذا، وهو خطأ.

(٣) في (ن) ، (م) كتبت الآية إلى قوله تعالى: لومة لائم. وفي (أ) ، (ب) كتبت نهاية الآية: والله ذو الفضل العظيم ؛ وهو سهو من الناسخ.

(٤) أ، ب: وهذه.

(٥) ن، م: فأولهم.

(٦) ن، م: كما قال ابن مسعود.." (٢)

"وقال معاوية لابن عباس: أنت على ملة علي؟ فقال لا على ملة علي ولا على ملة عثمان أنا على ملة رسول الله - صلى الله عليه وسلم.

وكانت الشيعة أصحاب علي يقدمون عليه أبا بكر وعمر، وإنما كان النزاع في تقدمه على عثمان. ولم يكن حينئذ يسمى أحد لا إماميا ولا رافضيا] (١) ، وإنما سموا رافضة وصاروا رافضة (٢) لما خرج زيد بن علي بن الحسين بالكوفة في خلافة هشام، فسألته الشيعة عن أبي بكر وعمر، فترحم عليهما، فرفضه قوم، فقال: رفضتموني رفضتموني فسموا رافضة، وتولاه قوم فسموا زيدية [لانتسابهم إليه] (٣) . ومن حينئذ انقسمت الشيعة إلى رافضة إمامية وزيدية، وكلما زادوا في

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢/٧٥

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢/٩٣

البدعة زادوا في الشر، فالزيدية خير من الرافضة: أعلم وأصدق وأزهد وأشجع.

ثم بعد أبي بكر عمر [بن الخطاب] ، وهو (٤) الذي لم تكن تأخذه في

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) .

(٢) ن، م: وإنما صاروا رافضة . وسبق الكلام على أصل تسمية الرافضة ١/٣٥.

(٣) عبارة " لانتسابهم إليه " جاءت في (ن) ، (م) بعد أربع كلمات:. . . انقسمت الشيعة لانتسابهم إليه.

(٤) أ، ب: عمر بن الخطاب هو ؛ ن، م: عمر وهو.." [١]

"يجعل الإنسان لا مؤمنا ولا كافرا ولا برا ولا فاجرا، ولا يخلقه هلوعا إذا **مسه الشر جزوعا** وإذا مسه الخير منوعا، فهذه الأمور كلها ممكنة ليس فيها ما هو ممتنع لذاته، وعندهم أن الله لا يقدر على شيء منها (١) .، فظهر تمويههم بقولهم [إن الله] قادر (٢) . على جميع المقدورات.

وأما أهل السنة فعندهم أن الله [تعالى] (٣) . على كل شيء قدير، وكل ممكن فهو مندرج في هذا.

وأما المحال لذاته، مثل كون الشيء الواحد [موجودا] (٤) . معدوما، فهذا لا حقيقة له، ولا يتصور وجوده (٥) .، ولا يسمى شيئا باتفاق العقلاء، ومن هذا الباب: خلق مثل نفسه، وأمثال ذلك.

---

(١) ن، م: عندهم أن لا يقدر منها على شيء. وفي هامش نسخة (ع) كرر المعلق الكلام الذي يبدأ بعبارة: " فمذهب هؤلاء الإمامية وشيوخهم من القدرية. . إلى الموضع. ثم كتب ما يلي: " والعجب أن الماتريدية من الحنفية، مع أنهم يقولون: إنه تعالى على كل شيء قدير، قالوا: إنه يمتنع له تعالى تنعيم الفاسق وتعذيب المطيع وتخليد المؤمن المطيع في النار بمعنى أنه لا يقدر عليه وكذا يمتنع له تعالى السفه والكذب والظلم بمعنى أنه تعالى لا يقدر عليه - والحاصل أنهم يقولون بالحكمة، وأن كل ما هو موافق الحكمة فلا بد وأن يفعله، فيكون ضده سفها، فلا يقدر أن يفعله، حتى قالوا: إن إرسال الرسل لموافقته الحكمة واجب الوقوع، فعدم الإرسال ليس بمقدور له لكونه خلاف الحكمة فيكون سفها، والسفه ليس بمقدور. وقد بنوا على الأصل الفاسد أمورا فاسدة يأبى عنها الأصول الدينية، تجاوز الله عنا وعنهم "

(٢) ب، أ: فظهر تمويههم بقوله قادر، ن: فظهر تمويههم قادر ؛ م: فظهر تمويههم بقولهم قادر

(٣) تعالى: ساقطة من (ن) ، (م)

(٤) موجودا: ساقطة من (ن)

(٥) عبارة " ولا يتصور وجوده " ساقطة من (ع) فقط." [٢]

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢/٩٦

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢/٢٩٣

"كان ذلك الغير هو المتصف بذلك اللون والريح والحركة والقدرة والعلم، فهو المتحرك بتلك الحركة، والمتلون بذلك اللون، والعالم بذلك العلم، والقادر بتلك القدرة، فكذلك (١) . إذا خلق في غيره كلاما أو صلاة أو صياما (٢) . أو طوافا كان (٣) . ذلك الغير هو المتكلم بذلك الكلام، وهو المصلي، وهو الصائم، وهو الطائف. (٤) . [وكذلك إذا خلق في غيره رائحة خبيثة منتنة كان هو الخبيث المنتن، ولم يكن الرب تعالى موصوفا بما خلقه في غيره، وإذا خلق الإنسان هلوعا جزوعا – كما أخبر تعالى بقوله: ﴿إن الإنسان خلق هلوعا إذا **مسه الشر جزوعا** وإذا مسه الخير منوعا﴾ [سورة المعارج: ١٩ – ٢١]– لم يكن هو سبحانه لا هلوعا ولا جزوعا ولا منوعا، كما تزعم القدرية أنه إذا جعل الإنسان ظالما كاذبا كان هو ظالما كاذبا، تعالى عن ذلك!

وهذا يدل على قول جماهير المثبتين للقدر القائلين بأنه خالق أفعال العباد، فإنهم يقولون: إن الله تعالى خالق العبد وجميع ما يقوم به من إرادته وقدرته وحركاته وغير ذلك.

وذهبت طائفة منهم من الكرامية وغيرهم، كالقاضي أبي خازم (٥) . بن القاضي أبي يعلى، إلى أن معنى كونه خالقا لأفعال العباد أنه خالق

(١) ن، م: وكذلك

(٢) في (ع) : صائما، وهو خطأ ظاهر. وفي (ن) : كلاما أو قدرة أو صلاة. . إلخ

(٣) ب، أ: لأن، وهو تحريف

(٤) الكلام التالي ساقط من (ب) ، (أ) ، (ن) ، (م) ، وينتهي في الصفحة التالية

(٥) في الأصل: أبي حازم." [١]

"فالمنتسبون إلى إثبات خلافة الأربعة وتفضيل الشيخين، وإن كان بعضهم يقول أقوالا فاسدة فأقوال الرافضة أفسد منها، وكذلك المناظر للفلاسفة والمعتزلة من المنتسبين إلى السنة كالأشعري وأمثاله وإن كانوا قد يقولون أقوالا باطلة، ففي أقوال المعتزلة والفلاسفة من الباطل ما هو أعظم منها، فالواجب إذا كان الكلام بين طائفتين من هذه الطوائف أن يبين رجحان قول الفريق الذي هو أقرب إلى السنة بالعقل والنقل، ولا ننصر القول الباطل المخالف للشرع والعقل أبدا، فإن هذا محرم ومذموم، يذم به صاحبه، ويتولد عنه **من الشر ما** لا يوصف، كما تولد من الأقوال المبتدعة مثل ذلك، ولبسط هذه الأمور مكان آخر، والله أعلم.

والمقصود هنا التنبيه على وجه المناظرة العادلة التي يتكلم فيها الإنسان بعلم وعدل، لا بجهل وظلم. وأما مناظرات الطوائف التي كل منها يخالف السنة ولو بقليل، فأعظم ما يستفاد منها بيان إبطال بعضهم لمقالة بعض.

وأبو حامد الغزالي وغيره يعتقدون أن هذه الفائدة هي المقصودة بالكلام دون غيرها، لكن يعتقد مع ذلك أن ما ذكره هو العقيدة التي تعبد الشارع الناس باعتقادها، وأن لها باطنا يخالف ظاهرها في بعض الأمور، وما ذكره من الاعتقاد يوافق

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢/٢٩٥

الشرع من وجه دون وجه، وما ثبت عن صاحب الشرع فلا يناقض باطنه ظاهره، والمقصود هنا أن يكون المقصود بالمناظرة بيان رجحان بعض الأقوال على بعض] (١)

---

(١) الكلام بين المعقوفتين ساقط من (ب) ، (أ) ، (ن) ، (م) : وبدأ في ص ٣٤٢.." [١]

"من النساك في شيوخهم أنهم محفوظون، وأضعف من اعتقاد كثير من قدماء (١) الشاميين [أتباع بني أمية] :

(٢) أن الإمام تجب طاعته في كل شيء، وأن الله إذا استخلف إماما تقبل منه الحسنات وتجاوز له عن السيئات، لأن الغلاة في الشيوخ، وإن غلوا في شيخ فلا يقصرون الهدى عليه، ولا يمنعون اتباع غيره، [ولا يكفرون من لم يقل بمشيخته] (٣) ، ولا يقولون فيه من العصمة ما يقوله هؤلاء، اللهم إلا من خرج (٤) عن الدين بالكلية، فذاك في الغلاة في الشيوخ: كالنصيرية والإسماعيلية والرافضة.

فبكل **حال الشر فيهم** أكثر [من غيرهم] (٥) ، والغلو فيهم أعظم، وشر غيرهم جزء من شرهم.

وأما غالية الشاميين [أتباع بني أمية] (٦) ، فكانوا يقولون (٧) : [إن الله إذا استخلف خليفة تقبل منه الحسنات وتجاوز له عن السيئات، وربما قالوا: إنه لا يحاسبه. (٨) .

---

(١) قدماء: ساقطة من (ع) .

(٢) عبارة " أتباع بني أمية ": ساقطة من (ن) ، (م) .

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) .

(٤) ب، ا: من يخرج.

(٥) من غيرهم: في (ع) فقط.

(٦) أتباع بني أمية: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٧) الكلام بعد عبارة " فكانوا يقولون " حتى عبارة " فكانوا يقولون ": ساقط من (ن) ، (م) .

(٨) نقل مستجي زاده كلام ابن تيمية الذي يبدأ بعبارة: " وأما غالية الشاميين " إلى هذا الموضع ثم علق قائلا: " قلت: وقد نبتت منهم فرقة يقال لهم: الناصبة ودينهم ونحلتهم بغض آل الرسول والقدح فيهم ".." [٢]

"[هم] النصارى والغالية من الشيعة (١) ، وقد يوجد بعض الإلحاد والغلو في غيرهم من النساك وغيرهم، لكن الذي فيهم [أكثر و] أقبح (٢) .

وإذا كان الأمر كذلك، كان الذي يطعن على أهل السنة والجماعة بأن فيهم تجسيما [وحلولا] (٣) ويثني على طائفة الإمامية: إما من أجهل الناس بمقالات شيعته، وإما من أعظم الناس ظلما وعدوانا وعدولا (٤) عن العدل والإنصاف في

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٤٣/٢

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤٧٧/٢

المقابلة والموازنة (٥) .

ثم أهل السنة يطلبون من الإمامية المتأخرين (٦) أن يقطعوا سلفهم بالحجج العقلية أو الشرعية، (٧) وهم عاجزون عن ذلك، كما تقدم التنبيه عليه.

وهؤلاء المجسمون [من الشيعة منهم] (٨) من أكابر أهل الكلام

---

(١) ب: وادعاء الإلهية في الشرع النصارى والغالية في الشيعة ؛ أ، ن، م: وادعاء الإلهية **في الشر النصارى** والغالية في الشيعة.

(٢) ن، م: الذي فيهم أقبح.

(٣) وحلولا: في (ع) فقط.

(٤) وعدوانا: ساقطة من (ع) ؛ وعدولا: ساقطة من (ب) ، (أ) .

(٥) علق مستجي زاده في هامش (ع) بقوله: " قلت: وقد كان نصير الدين الطوسي وتلميذه الذي هو مصنف هذا الكتاب – ويقال له ابن مطهر الحلي – كلاهما أجهل الخلق في المنقولات والروايات، سيما في أحاديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وآثار الصحابة والتابعين، لغلوهم التام في أنواع الفلسفة وأبوابها وتعمقهم فيها، فذهلوا عن الوقوف على أحوال قدمائهم الذين بهم يقتدون في الرفض والتشيع، ولهم اتبعوا في قولهم بإمامة الأئمة الاثني عشرية، وأنه لا يمكن معرفة الله تعالى ولا معرفة الشرائع الإسلامية لأحد من آحاد المسلمين غير هؤلاء الأئمة الاثني عشر ".

(٦) ع: المستأخرين.

(٧) ب، ا، ن، م: والشرعية.

(٨) ب، ا: هم. وسقطت من (ن) ، (م) عبارة " من الشيعة منهم ".." [١]

"ففعل الحسنة له آثار محمودة موجودة (١) في النفس وفي الخارج، وكذلك فعل (٢) السيئات. والله تعالى جعل الحسنات سببا لهذا، [والسيئات سببا لهذا، كما جعل أكل السم سببا للمرض والموت. **وأسباب الشر لها** أسباب تدفع بمقتضاها] (٣) ، فالتوبة والأعمال الصالحة تمحى بها السيئات، والمصائب في الدنيا تكفر بها السيئات، كما أن السم تارة يدفع موجبه بالدواء، وتارة يورث مرضا يسيرا، ثم تحصل العافية.

وإذا قيل: خلق الفعل مع حصول العقوبة عليه (٤) ظلم، كان بمنزلة أن يقال: خلق أكل (٥) السم ثم حصول الموت به ظلم. والظلم وضع الشيء في غير موضعه، واستحقاق هذا الفاعل لأثر فعله الذي هو معصية الله، كاستحقاقه لأثره إذا ظلم العباد (٦) .

وهذا الآن ينزع (٧) إلى مسألة التحسين والتقبيح، فإن الناس متفقون على أن كون الفعل يكون سببا لمنفعة العبد وحصول ما يلائمه، وسببا لحصول مضرته، وحصول ما ينافيه، قد يعلم بالعقل، وكذلك كونه قد يكون صفة كمال وصفة نقص،

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢/٥١٤

وإنما تنازعوا في كونه [يكون] (٨) سببا للعقاب والذم على قولين مشهورين.

---

(١) موجودة: ساقطة من (ب) ، (أ) .

(٢) فعل: ساقطة من (ب) ، (أ) .

(٣) ع: تدفع مقتضاها، والكلام بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) .

(٤) م: ثم العقوبة عليه.

(٥) ن: آكل، م: كل، وسقطت الكلمة من (ب) ، (أ) .

(٦) ن، م: العبد.

(٧) ب، أ: وهذا إلا أن ينزع.

(٨) يكون: زيادة في (م) .." [١]

"والآثار المروية في ذم القدرية تتناول هؤلاء أعظم من تناولها المنكرين للقدر تعظيما للأمر وتنزيها عن الظلم، ولهذا يقرنون (١) القدرية بالمرجئة لأن المرجئة تضعف أمر الإيمان والوعيد (٢) ، وكذلك هؤلاء القدرية تضعف أمر الله بالإيمان والتقوى ووعيده، ومن فعل هذا كان ملعونا في كل شريعة كما روي: لعنت القدرية والمرجئة على لسان سبعين نبيا.

والخائضون في القدر بالباطل (٣) ثلاثة أصناف: المكذبون به، والدافعون للأمر والنهي [به] (٤) ، والطاعنون على الرب عز وجل بجمعه بين الأمر والقدر، وهؤلاء شر الطوائف ويحكى (٥) في ذلك مناظرة عن إبليس والدافعون به للأمر (٦) بعدهم في الشر، والمكذبون به بعد هؤلاء.

وأنت إذا رأيت تغليظ السلف على المكذبين بالقدر فإنما ذاك لأن الدافعين للأمر لم يكونوا يتظاهرون بذلك، ولم يكونوا موجودين كثيرين، وإلا فهم شر منهم، كما أن الروافض شر من الخوارج في الاعتقاد، ولكن الخوارج أجرأ على السيف والقتال منهم، فلإظهار القول ومقاتلة المسلمين عليه (٧) جاء فيهم ما لا يجيء فيمن هم (٨) من جنس المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم.

---

(١) أ، ب: يقربون، وهو خطأ.

(٢) أ، ب:. . . . . بالمرجئة بضعف أمر الإيمان والوعيد.

(٣) ع، أ: والخائضون بالقدر في الباطل.

(٤) به: زيادة في (ع) .

(٥) أ، ب: وحكى.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢٨/٣

(٦) أ، ب: والدافعون وللأمر به ؛ ن، م: فالدافعون به للأمر.

(٧) عليه: ساقطة من (أ) ، (ب) .

(٨) أ، ب: فيمن هو، م: في غيرهم.." [١]

"فما ذكره لا يلزم جمهور أهل السنة، وقد قلنا غير مرة: نحن لا ننكر أن يكون في بعض أهل السنة من يقول الخطأ، لكن لا يتفقون على خطأ، كما تتفق الإمامية على خطأ، بل كل مسألة خالفت فيها الإمامية أهل (١) السنة فالصواب فيها مع أهل السنة. وأما ما تنازع فيه أهل السنة وتنازعت فيه الإمامية، فذاك لا اختصاص له بأهل السنة ولا بالإمامية.

وبالجملة فجمهور أهل السنة من السلف والخلف يقولون: إن العبد له قدرة وإرادة وفعل، وهو فاعل حقيقة، والله خالق ذلك كله كما هو خالق كل شيء، كما دل على ذلك الكتاب والسنة.

قال تعالى عن إبراهيم: ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾ [سورة البقرة: ١٢٨] ، وقال [تعالى عن إبراهيم] (٢) : ﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي﴾ [سورة إبراهيم: ٤٠] ، وقال [تعالى] (٣) : ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا﴾ [سورة السجدة: ٢٤] (٤) وقال [تعالى] (٥ (: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾ [سورة الأنبياء: ٧٣] وقال: ﴿إن الإنسان خلق هلوعا – إذا **مسه الشر جزوعا** – وإذا مسه الخير منوعا﴾ [سورة المعارج: ١٩، ٢١] فأخبر أن الله يجعل المسلم مسلما، والمقيم للصلاة مقيم الصلاة، والإمام الهادي إماما هاديا.

---

(١) ع، ن: لأهل.

(٢) تعالى عن إبراهيم: زيادة في (أ) ، (ب) .

(٣) تعالى: زيادة في (أ) ، (ب) .

(٤) سقطت آية ٢٤ من سورة السجدة من (ن) ، (م) .

(٥) تعالى زيادة في (أ) ، (ب) .." [٢]

"الطيبة والخبيثة، ثم إن الطيب يحب ويشتهى، ويمدح ويبتغى، والخبيث يذم ويبغض (١) ويجتنب، والله خالق هذا وهذا، والله خالق الملائكة والأنبياء (٢) ، وخالق [الشياطين و] الحيات والعقارب وغيرها (٣) من الفواسق، فهذا (٤) محمود معظم، وهذا فاسق يقتل في الحل والحرم، وهو سبحانه وتعالى خالق (٥) في هذا طبيعة كريمة تقتضي الخير والإحسان، وفي هذا طبيعة خبيثة **توجب الشر والعدوان**، مع ما بينهما من الفرق في الحب والبغض، والمدح والذم ونحو ذلك (٦) .

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣/٨٢

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣/١١٠

وإذا (٧) كان الشرع والعقل متطابقين على أن ما جعل الله فيه منفعة للناس ومصلحة لهم يحب ويمدح [ويطلب] (٨) ، وإن كان جمادا أو حيوانا بهيميا (٩) ، فكيف لا يكون من جعله محسنا للناس يحصل لهم به منافع ومصالح أحق بأن يحب ويمدح ويثنى عليه، وكذلك في جانب الشر.

والقدري يقول: لا يكون العبد محمودا ومشكورا على إحسانه، ومذموما على إساءته، إلا بشرط أن لا يكون الله جعله محسنا إلينا ولا من به علينا إذا فعل الخير، ولا ابتلانا به إذا فعل الشر، وهذا حقيقة ما قاله هذا الرافضي القدري (١٠) .

---

(١) ن، م: يبغض ويذم.

(٢) ن، م: الأنبياء والملائكة.

(٣) ن، م: وخالق الحيات والعقارب وغيرها.

(٤) ن، م، ع: وهذا.

(٥) ع: وهو سبحانه خلق، ن، م: والله سبحانه خالق.

(٦) ونحو ذلك: ساقطة من (أ) ، (ب) .

(٧) أ، ب: فإذا.

(٨) ويطلب: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٩) ع: وإن كان حيوانا بهيما أ، ب: وإن كان حمارا أو حيوانا بهيما.

(١٠) ن، م: القدري الرافضي.." [١]

"مجمل، فإن المعصية والطاعة عمل وعرض قائم بغيره (١) ، فلا بد له من محل يقوم به، وهي قائمة بالعبد لا محالة، وليست قائمة بالله [تبارك وتعالى] (٢) بلا ريب.

ومعلوم أن كل مخلوق يقال: هو من الله، بمعنى أنه خلقه بائنا عنه لا بمعنى أنه قام به واتصف به، كما في قوله [تعالى] (٣) : ﴿وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه﴾ [سورة الجاثية: ١٣] (٤) ، وقوله تعالى: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ [سورة النحل: ٥٣] .

والله تعالى وإن كان خالقا لكل شيء فإنه خلق الخير والشر لما له في ذلك من الحكمة التي باعتبارها كان فعله حسنا متقنا، كما قال: ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ [سورة السجدة: ٧] وقال: ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾ [سورة النمل: ٨٨] فلهذا لا يضاف **إليه الشر مفردا**، بل إما أن يدخل في العموم، وإما أن يضاف إلى السبب، وإما أن يحذف فاعله.

فالأول: كقول [الله تعالى] (٥) ﴿الله خالق كل شيء﴾ [سورة الزمر: ٦٢] والثاني: كقوله: ﴿قل أعوذ برب الفلق -

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٣١/٣

من شر ما خلق﴾ [سورة الفلق: ١، ٢] والثالث كقوله فيما حكاه عن الجن: ﴿وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا﴾ [سورة الجن: ١٠] و [قد]

---

(١) أ، ب: بغير، وفي (ع) والطاعة عرض. . . إلخ.

(٢) تبارك وتعالى: زيادة في (أ) ، (ب) .

(٣) تعالى: زيادة في (أ) ، (ب) .

(٤) آية سورة الجاثية ليست في (ع) .

(٥) ن، م، ع: كقوله.." (١)

"قال ن، م: قال. في أم القرآن: ﴿اهدنا الصراط المستقيم - صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ [سورة الفاتحة: ٦، ٧] فذكر أنه فاعل النعمة، وحذف فاعل الغضب، وأضاف الضلال إليهم. وقال الخليل [عليه السلام] (١) ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ [سورة الشعراء: ٨٠] ، ولهذا كان لله الأسماء الحسنى، فسمى (٢) نفسه بالأسماء الحسنى المقتضية للخير.

وإنما يذكر الشر في المفعولات، كقوله: ﴿اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم﴾ [سورة المائدة: ٩٨] (٣) ، وقوله في آخر سورة (٤) الأنعام: ﴿إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾ [سورة الأنعام: ١٦٥] (* وقوله في الأعراف: (٥) ﴿إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾ [سورة الأعراف: ١٦٧] . *) (٦) وقوله: ﴿نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم - وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾ [سورة الحجر: ٤٩، ٥٠] وقوله: ﴿حم - تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم - غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو﴾ [سورة غافر: ١٣] .

وهذا لأن ما يخلقه من الأمور التي فيها شر (٧) بالنسبة إلى بعض الناس

---

(١) عليه السلام: زيادة في (ع) .

(٢) ع: فيسمى.

(٣) ع: كقوله: اعلموا أن الله شديد العقاب، وقوله: إن الله غفور رحيم.

(٤) سورة: ساقطة من (أ) ، (ب) ، (ع) .

(٥) ن، م: وفي الأعراف.

(٦) ما بين النجمتين ساقط من (أ) ، (ب) .

(٧) ن، م: الشر.." (٢)

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٤٢/٣

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٤٣/٣

"لربه واستعاذته به سببا لنيل المطلوب ودفع المرهوب، كالأعمال الصالحة التي أمروا بها، فهم إذا استعاذوا بالله (١) من الشيطان، كان نفس استعاذتهم به سببا (٢) لأن يعيذهم من الشيطان. وقد يوجد في بعض (٣) المخلوقين من الظلمة القادرين (٤) من يأمر بضرر (٥) غيره ظلما وعدوانا، فإذا استجار به مستجير وذل له؛ دفع عنه ذلك الظالم الذي أمره هو بظلمه. ولله المثل الأعلى، وهو المنزه عن الظلم، وهو أرحم الراحمين، [وهو أرحم بعباده] (٦) من الوالدة بولدها، فكيف يمتنع أن يستعاذ به من شر **أسباب الشر التي** قضاها بحكمته؟

الوجه الخامس: أن يقال: هذا الاعتراض باطل على طريقة الطائفتين. أما من لا يقول بالحكمة والعلة، فإنه يقول: إن الله خلق إبليس الضار لعباده، وجعل استعاذة العباد (٧) به منه طريقا إلى دفع ضرره، كما جعل إطفاء النار طريقا إلى دفع حريقها، وكما جعل الترياق طريقا إلى دفع ضرر السم. وهو سبحانه خلق النافع والضار (٨) ، وأمر العباد أن يستعملوا ما ينفعهم، ويدفعوا به ما يضرهم. ثم إن أعانهم على فعل ما أمرهم به كان محسنا إليهم، وإلا فله أن يفعل ما يشاء، ويحكم

---

(١) ن، م، ع: به.

(٢) عبارة به سببا، ساقطة من (أ) ، (ب) .

(٣) بعض: ساقطة من (أ) ، (ب) ، (ع) .

(٤) ب فقط: الغادرين.

(٥) ن، م: بضرب.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) .

(٧) أ، ب: العائذ.

(٨) ن: الضار والنافع.." [1]

"المعاقب عليها. والأفعال يتصف (١) بها (* من قامت به لا من خلقها، وإذا كان ما لا يتعلق بالإرادة، كالطعوم والألوان، يوصف بها *) (٢) محالها لا خالقها في محالها، فكيف تكون الأفعال الاختيارية؟

والله تعالى إذا خلق الفواسق: كالحية والعقرب والكلب العقور، وجعل هذه الفواسق فواسق، هل يكون هو سبحانه موصوفا بذلك؟ وإذا خلق الخبائث: كالعذرة والدم والخمر، وجعل الخبيث خبيثا، هل يكون متصفا بذلك؟ وأين (٣) إضافة الصفة إلى الموصوف بها التي قامت به، من إضافة المخلوق إلى خالقه؟ فمن لم يفهم هذا الفرقان (٤) فقد سلب خاصية الإنسان.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣/٢١٤

[الوجه] (٥) السابع: أن الله تعالى قد أمرنا أن نستعيذ من عذاب جهنم، وعذاب (٦) القبر، وغير ذلك من مخلوقاته التي هي مخلوقاته (٧) باتفاق المسلمين، فعلم أنه لا يمتنع أن نستعيذ (٨) مما خلقه **من الشر** (٩) كما قال تعالى: ﴿قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق﴾ [سورة الفلق: ١، ٢] ، ولا فرق [في ذلك] (١٠) بين إبليس وغيره.

---

(١) ن، م: توصف.

(٢) ما بين النجمتين ساقط من (م) .

(٣) ن: ولأن، م: لأن.

(٤) أ، ب: هذين الفرقين.

(٥) الوجه: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٦) ن، م: ومن عذاب.

(٧) عبارة: التي هي مخلوقاته: ساقطة من (أ) ، (ب) ، وفي (ن) ، (م) التي هي مخلوقات.

(٨) أ، ب: المسلمين فلم يمنع ذلك أن نستعيذ.

(٩) أ، ب: من البشر، وهو تحريف.

(١٠) في ذلك: ساقطة من (ن) ، (م) .." [(١)]

"مشاركة لله (١) صريحة [ولهذا شبه هؤلاء بالمجوس الذين يجعلون **فاعل الشر غير** فاعل الخير، فيجعلون لله شريكا آخر] (٢) وما ذكره من التمثيل بالسلطان يقرر المشاركة، فإن [نواب] (٣) السلطان شركاء له [في ملكه] (٤) ، وهو محتاج إليهم، ليس هو خالقهم ولا ربهم، [بل ولا خالق قدرتهم] (٥) بل هم معاونون له على تدبير الملك بأمور خارجة عن قدرته، ولولا ذلك لكان عاجزا عن الملك.

فمن جعل أفعال العباد مع الله بمنزلة أفعال نواب السلطان معه فهذا (٦) صريح الشرك الذي لم يكن يرتضيه عباد الأصنام؛ لأنه (٧) شرك في الربوبية لا في الألوهية، فإن عباد الأصنام كانوا يعترفون بأنها (٨) مملوكة لله، فيقولون: لبيك لا شريك لك، إلا شريكا (٩) هو لك تملكه وما ملك.

وهؤلاء يجعلون ما يملكه (١٠) العبد من أفعاله ملكا لله (١١)

---

(١) لله: ليست في (ع) .

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) .

(٣) نواب: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٤) في ملكه: زيادة في (ع) .

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣/٢١٦

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) .

(٦) أ، ب: مع الله بمنزلة نواب السلطان معه، ن: مع الله بمنزل أو قال: نواب السلطان معه، م: مع الله بمنزلة أفعاله بواسطة السلطان معه.

(٧) ن، م: لكنه.

(٨) أ، ب: يعرفون أنها، م: يعتقدون أنها.

(٩) ن، م: لك لبيك إلا شريكا.

(١٠) أ، ب: ما ملكه، ع: ما يملك.

(١١) أ: ملكا له، ب: ملكا لله تعالى، فعلا لله، م: فعلا منه.." [1]

"الله عليه وسلم - قال: " «من رأى من أميره شيئا يكرهه (١) فليصبر عليه، فإنه (٢) من فارق الجماعة شبرا فمات إلا مات (٣) ميتة جاهلية» ". (٤) وفي لفظ: " «فإنه من خرج (٥) من السلطان شبرا فمات مات ميتة (٦) جاهلية» ". واللفظ للبخاري (٧) وقد تقدم قوله - صلى الله عليه وسلم - (٨) [لما ذكر] (٩) أنهم «لا يهتدون بهديه ولا يستنون بسنته. قال حذيفة: كيف أصنع (١٠) يا رسول الله، إن أدركت ذلك؟ قال: " تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع» ". (١١) فهذا أمر بالطاعة مع ظلم الأمير.

---

(١) أ، ب: ينكره.

(٢) ن، م، و: فإن.

(٣) أ، ب: فمات مات.

(٤) مضى هذا الحديث من قبل ١/١١٣ وعلقت عليه هناك.

(٥) أ، ب: من خرج ؛ ن: فإنه من يخرج ؛ م: فمن خرج.

(٦) ن، م: شبرا مات ميتة ؛ و: شبرا فمات ميتة.

(٧) مضى الحديث بهذه الرواية فيما سبق، ١/١١٣

(٨) صلى الله عليه وسلم: زيادة في (أ) ، (ب) .

(٩) لما ذكر: ساقطة من (ن) ، (م) .

(١٠) و: نصنع.

(١١) الحديث عن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - في: مسلم ٣/١٤٧٦ (كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين) ، ولفظه: قال حذيفة بن اليمان: قلت: يا رسول الله، إنا كنا بشر، فجاء الله بخير، فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال: نعم. قلت: هل وراء **ذلك الشر خير**؟ قال: نعم. قلت: فهل وراء ذلك الخير شر؟ قال:

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣/٢٧٧

نعم. قلت: كيف؟ قال: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس. قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فاسمع وأطع. وجاء حديث آخر عن حذيفة – رضي الله عنه – في: سنن أبي داود ٤/١٣٥ – ١٣٦ (كتاب الفتن، باب ذكر الفتن ودلائلها) ، قريب في معناه من هذا الحديث وإن زاد عليه بعبارات أخرى، وفيه: إن كان لله خليفة في الأرض فضرب ظهرك وأخذ مالك فأطعه، وإلا فمت وأنت عاض بجذل شجرة. . . الحديث.." [١]

"أكمل، ولا سواء. ولكن قال الله تعالى: (آلله خير أم ما يشركون) [سورة النمل: ٥٩] فعند المقابلة يذكر فضل الخير المحض **على الشر المحض**، [وإن **كان الشر المحض**] (١) لا خير فيه.

وإن أرادوا بالإمام الإمام المقيد، فذاك لا يوجب أهل السنة طاعته (٢) ، إن لم يكن ما أمر به موافقا لأمر الإمام المطلق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهم إذا أطاعوه فيما أمر [الله بطاعته فيه] (٣) ، فإنما هم مطيعون لله ورسوله، فلا يضرهم توقفهم في الإمام المقيد: هل هو في الجنة أم لا؟ كما لا يضر أتباع المعصوم عندهم (٤) إذا أطاعوا نوابه، مع أن نوابه قد يكونون من أهل النار، لا سيما ونواب المعصوم عندهم لا يعلم (٥) أنهم يأمرون بما يأمر به المعصوم، لعدم العلم بما يقوله معصومهم. وأما أقوال (٦) الرسول – صلى الله عليه وسلم – فهي معلومة، فمن أمر بها فقد (٧) علم أنه وافقها، ومن أمر بخلافها علم أنه خالفها، وما خفي منها (٨) فاجتهد فيه (٩) نائبه، فهذا خير من طاعة نائب لمن تدعى

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) فقط.

(٢) ن، م، و: فذاك لا يوجبون طاعته.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) .

(٤) عندهم: ساقطة من (أ) ، (ب) .

(٥) أ، ب: لا يعلمون.

(٦) ن: وأما قول.

(٧) فقد: زيادة في (أ) ، (ب) .

(٨) أ، ب: وما اختلف فيه منها، ن: وما خفي فيها.

(٩) ن، م: فيها.." [٢]

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣/٣٩٣

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣/٥٠٤

"إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم ... أو قيل من خير أهل الأرض (١) قيل هم

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله ... بجده أنبياء الله قد ختموا

يغضي حياء ويغضى من مهابته ... فما يكلم إلا حين يبتسم

ينشق نور الهدى عن صبح غرته ... كالشمس ينجاب عن إشراقها الظلم

مشتقة من رسول الله نبعته ... طابت عناصره والخيم والشيم

الله شرفه قدما وفضله ... جرى بذاك له في لوحه القلم (٢)

من معشر حبهم دين وبغضهم

كفر وقربهم ملجا ومعتصم ... لا يستطيع جواد بعد غايتهم

ولا يدانيهم قوم وإن كرموا ... هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت

والأسد أسد الشرى والرأي (٣) محتدم ... لا ينقص (٤) العسر بسطا من أكفهم

سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا ... ما قال لا قط إلا في تشهده

لولا التشهد كانت لاؤه نعم ... يستدفع السوء (٥) والبلوى بحبهم

ويسترق به الإحسان والنعم ... مقدم بعد ذكر الله ذكرهم

في كل بر (٦) ومختوم به الكلم ... من يعرف الله يعرف أولوية ذا (٧)

فالدين من بيت هذا ناله الأمم (٨)

---

(١) ك: أو قيل من خير خلق الله. .

(٢) ص: في اللوح والقلم:

(٣) ب (فقط) : والبأس.

(٤) ب (فقط) : لا يقبض، ك: لا ينقبض.

(٥) ن، م: الشر، ك: الضر.

(٦) ب (فقط) : بدء.

(٧) ن، م، أ، ر، هـ: أوليته، و، ص: ديوان الفرزدق (ص ٨٤٩) : أولية ذا. والمثبت من (ب) ، (ك) .

(٨) في (ك) بعد هذا البيت: وليس قولك من هذا بضائره فالعرب تعرف من أنكرت والعجم هذا البيت الأخير كتب في هامش (ك) . وفي الأغاني ١٥/٣٢٧: فليس قولك. . وهذه الأبيات لم يذكر منها في ديوان الفرزدق (ط. القاهرة،

١٣٥٤ ١٩٣٦) . إلا ستة أبيات، وفي نسبة سائر الأبيات خلاف كبير. انظر الأغاني ٣٢٦/١٥ - ٣٢٩ (ط. دار الكتب) .." (١)

"لا في دين ولا في دنيا (١) ، ولا علم أحدا شيئا (٢) ، ولا يعرف (٣) له صفة من صفات الخير ولا الشر، فلم يحصل به شيء من مقاصد الإمامة ولا مصالحها (٤) لا الخاصة ولا العامة، بل إن قدر وجوده فهو ضرر على أهل الأرض بلا نفع أصلا، فإن المؤمنين به لم ينتفعوا به (٥) ، ولا حصل لهم به لطف ولا مصلحة، والمكذبون به يعذبون [عندهم] (٦) على تكذيبهم به، فهو شر محض ولا خير فيه، وخلق مثل هذا ليس من فعل الحكيم العادل.

وإذا قالوا: إن الناس بسبب ظلمهم احتجب عنهم.

قيل: أولا: كان الظلم موجودا في زمن (٧) آبائه ولم يحتجبوا.

وقيل: [ثانيا] : (٨) فالمؤمنون به طبقوا الأرض فهلا اجتمع بهم في بعض الأوقات، أو أرسل إليهم رسولا يعلمهم شيئا من العلم والدين؟ ! .

وقيل: ثالثا: قد كان يمكنه أن يأوي إلى كثير من المواضع التي فيها شيعته، كجبال الشام التي كان فيها الرافضة عاصية، وغير ذلك (٩) من المواضع العاصية.

وقيل: رابعا: فإذا هو لا يمكنه أن يذكر شيئا من العلم والدين

---

(١) أ، ب: لا في الدين ولا في الدنيا، هـ، ر، ص، و: لا في دين ولا دنيا.

(٢) ن، و: ولا علم أحد شيئا.

(٣) ب: ولا عرف.

(٤) أ: من مقاصد الإمام ومصالحا، ب: من مقاصد الإمامة ومصالحها.

(٥) أ، ب: لم ينتفعوا به أصلا.

(٦) عندهم: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٧) أ، ب: الظلم كان في زمن. . .

(٨) ثانيا: ساقطة من (ن) .

(٩) ن، م: وغيرها.." (٢)

"والرافضة [شر] (١) من هؤلاء وهؤلاء، يبغضون أبا بكر وعمر وعثمان ويسبونهم، بل قد يكفرونهم، فكان في ذكر هؤلاء وفضائلهم رد على الرافضة، ولما قاموا في دولة خدابندة الذي صنف له هذا الرافضي هذا الكتاب (٢) ، فأرادوا إظهار مذهب الرافضة وإطفاء مذهب أهل السنة، وعقدوا ألوية الفتنة، وأطلقوا عنان البدعة، وأظهروا **من الشر**

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٩/٤

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٩٠/٤

والفساد ما لا يعلمه إلا رب العباد، كان مما احتالوا به أن استفتوا بعض المنتسبين إلى السنة في ذكر الخلفاء في الخطبة: هل يجب؟ فأفتى من أفتى بأنه لا يجب: إما جهلا بمقصودهم، وإما خوفا منهم وتقية لهم (٣) .

وهؤلاء إنما كان مقصودهم منع ذكر الخلفاء، ثم عوضوا عن ذلك بذكر علي والإحدى عشر الذين يزعمون أنهم المعصومون (٤) ، فالمفتي إذا علم أن مقصود المستفتى له (٥) أن يترك ذكر الخلفاء وأن يذكر (٦) الاثنى عشر، وينادي بحي (٧) على خير العمل ليبطل الأذان المنقول بالتواتر من عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - ويمنع قراءة (٨) الأحاديث الثابتة الصحيحة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويعوض عنها بالأحاديث التي افتراها

---

(١) شر: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٢) انظر كلامي عن خدابندة في المقدمة ص ٩٦ (م) .

(٣) أ، ب: وهيبة لهم.

(٤) أ، ب: أنهم معصومون.

(٥) له: ساقطة من (أ) ، (ب) .

(٦) أ، ب: ويذكر.

(٧) ب: حي. وسقطت الكلمة من (أ) .

(٨) ن: ومنع قوله؛ م: ويمنع قوله.." [١]

"يجز الاحتجاج به، بطلت حجتهم بالإجماع على قتله. لا سيما ومن المعلوم أنه لم يباشر قتله إلا طائفة قليلة.

ثم إنهم ينكرون الإجماع على بيعته، ويقولون: إنما بايع أهل الحق منهم خوفا وكرها (١)

. ومعلوم أنهم لو اتفقوا كلهم على قتله (٢)

، وقال قائل: كان أهل الحق كارهين [لقتله (٣)

لكن سكتوا خوفا وتقية (٤) على أنفسهم، لكان (٥)

هذا أقرب إلى الحق،] (٦)

لأن العادة قد جرت بأن من يريد قتل الأئمة يخيف من ينازعه، بخلاف من يريد مبايعة الأئمة (٧)

، فإنه لا يخيف المخالف، كما يخيف (٨)

من يريد قتله، فإن المريدين (٩)

للقتل أسرع **إلى الشر وسفك** الدماء وإخافة الناس من المريدين للمبايعة.

فهذا لو قدر أن جميع الناس ظهر منهم الأمر بقتله، فكيف وجمهورهم أنكروا (١٠)

قتله، ودافع عنه من دافع في بيته، كالحسن بن علي وعبد الله بن الزبير وغيرهما؟ .

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤/١٦٥

وأيضا فإجماع الناس على بيعة أبي بكر أعظم من إجماعهم على بيعة

---

(١) أ، ب: أهل الحق خوفا منهم وكرها.

(٢) عبارة " على قتله ": ساقطة من (أ) ، (ب) .

(٣) ر، هـ: قتله.

(٤) هـ: أو تقية.

(٥) هـ: كان.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) ، (و) .

(٧) ن، م: الإمام.

(٨) ر، هـ، و: يخيفه.

(٩) ن، م، ص: المريد.

(١٠) أ، ب: أنكر.." (١)

"صفين. وإن كان معاوية معذورا في كونه لم يقتل قتلة عثمان إما (١) .

لعجزه عن ذلك، أو لما يفضي إليه ذلك من الفتنة وتفريق (٢) .

الكلمة وضعف سلطانه، فعلي أولى أن يكون معذورا [أكثر] (٣) .

من معاوية، إذ كانت الفتنة وتفريق (٤)

الكلمة وضعف سلطانه بقتل القتلة لو سعى في ذلك أشد. ومن قال: إن قتل الخلق الكثير الذين قتلوا بينه وبين علي كان صوابا منه لأجل قتل قتلة عثمان، فقتل ما هو دون ذلك لأجل قتل قتلة عثمان أولى أن يكون صوابا، وهو لم يفعل ذلك لما تولى (٥) .

، ولم يقتل قتلة عثمان.

وذلك أن الفتن إنما يعرف ما فيها **من الشر إذا** أدبرت. فأما إذا أقبلت فإنها تزين، ويظن أن فيها خيرا، فإذا ذاق الناس ما فيها **من الشر والمرارة** والبلاء، صار ذلك مبينا لهم مضرتها، وواعظا لهم أن يعودوا في مثلها. كما أنشد [بعضهم] (٦) .: -

الحرب أول ما تكون فتية ... تسعى بزينتها لكل جهول

حتى إذا اشتعلت وشب ضرامها ... ولت (٧) . عجوزا غير ذات حليل (٨) .

---

(١) إما: ساقطة من (أ) ، (ب)

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤/٣٢٤

(٢) ر، ص، هـ، ب: وتفرق

(٣) أكثر: في (أ) ، (ب) فقط

(٤) ر، ص، هـ: إذا كانت الفتنة وتفرق. . . ؛ ن، م، و: إذا كانت الفتنة وتفرق الكلمة.

(٥) ر، هـ: لما تولى ذلك

(٦) بعضهم: ساقطة من (ن) ، (م) ، (و) . وفي (أ) : كما أنشدوا

(٧) ب (فقط) : عادت

(٨) ن، و: خليل." [١]

"شمطاء ينكر (١) .

لونها وتغيرت (٢) .

مكروهة للشم والتقبيل (٣) ..

والذين دخلوا في الفتنة من الطائفتين لم يعرفوا ما في القتال من الشر، ولا عرفوا مرارة الفتنة حتى وقعت، وصارت (٤) .

عبرة لهم ولغيرهم.

ومن استقرأ أحوال الفتن التي تجري بين المسلمين، تبين له أنه ما دخل فيها أحد فحمد عاقبة دخوله، لما يحصل له من الضرر في دينه، ودنياه (٥) .

. ولهذا كانت من باب المنهي عنه، والإمساك عنها من المأمور به، الذي قال الله فيه: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ .

وأما قول القائل: " إن عليا بدأهم بالقتال ".

قيل له (٦) .

: وهم أولا امتنعوا (٧) .

من طاعته ومبايعته، وجعلوه ظالما مشاركا (٨) .

في دم (٩) .

عثمان، وقبلوا عليه شهادة الزور، ونسبوه إلى ما هو بريء منه.

وإذا قيل (١٠) .

: هذا وحده لم يبح له (١١) .

قتالهم.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤/٤٠٩

(١) ب (فقط) : تنكر

(٢) ن: ينكر لونها وحديثها وتغيرت ؛ م، ر، هـ: ينكر لونها وحديثها

(٣) هذه الأبيات لعمرو بن معد يكرب الزبيدي، وجاءت في ديوانه ص ١٥٦ ١٥٧، صنعه هاشم الطعان، (ط. بغداد) ١٣٩٠/١٩٧٠ مع اختلاف في بعض ألفاظ الأبيات

(٤) ر، ص، هـ، و: فصارت

(٥) ر، ص، هـ، و: أو دنياه

(٦) ن، م، هـ، أ: قيل لهم ؛ ب: فقد قيل له

(٧) ن، م، و: امتنعوا أولا

(٨) ص: مشركا

(٩) ن، م، و، هـ، ص: في قتل

(١٠) ن، م: وإن قالوا

(١١) ب (فقط) : لا يبيح له." [1]

"من الشر أعظم (١) مما حصل بالاقتتال ؛ فإنه بالاقتتال لم تزل هذه الفرقة ولم يجتمعوا على إمام، بل سفكت الدماء، وقويت العداوة والبغضاء، وضعفت الطائفة التي كانت أقرب إلى الحق، وهي طائفة علي، وصاروا يطلبون من الطائفة الأخرى من المسالمة ما [كانت] (٢) تلك تطلبه ابتداء.

ومعلوم أن الفعل الذي تكون مصلحته راجحة على مفسدته، يحصل به من الخير أعظم مما يحصل بعدمه (٣) . وهنا لم يحصل بالاقتتال مصلحة، بل كان الأمر مع عدم القتال (٤) خيرا وأصلح منه بعد القتال، و [كان] علي وعسكره [أكثر] وأقوى (٥) ، ومعاوية وأصحابه أقرب إلى موافقته ومسالمته (٦) ومصالحته، فإذا كان مثل هذا الاجتهاد مغفورا لصاحبه، فاجتهاد عثمان أن يكون مغفورا أولى وأحرى.

وأما معاوية وأعوانه فيقولون: إنما قاتلنا عليا قتال دفع عن أنفسنا وبلادنا ؛ فإنه بدأنا (٧) بالقتال فدفعناه بالقتال ولم نبتدئه بذلك ولا اعتدينا عليه. فإذا قيل لهم: هو الإمام الذي كانت تجب طاعته عليكم ومبايعته وأن لا تشقوا عصا المسلمين. قالوا: ما نعلم أنه إمام تجب طاعته؛ لأن ذلك عند الشيعة إنما يعلم بالنص، ولم يبلغنا عن النبي – صلى الله عليه

(١) أ، ب: أكثر.

(٢) كانت: ساقطة من (ن) ، (م) .

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤/٤١٠

(٣) مما يحصل بعدمه: كذا في (ب) وهو الصواب. وفي سائر النسخ: مما لا يحصل بعدمه.

(٤) ن، م، ص،: الاقتتال.

(٥) ن: وعلي كان وعسكره أقوى ؛ ص: وكان علي وعسكره أقوى وأكثر.

(٦) ن، م، و: مسالمته وموافقته.

(٧) ن، م، و: بدأ.." (١)

"حملوا قبل ذلك، فقاتل كل من هؤلاء وهؤلاء [دفعا عن نفسه] ، ولم يكن لعلي (١) ولا لطلحة والزبير غرض في القتال أصلا، وإنما **كان الشر** (٢) من قتلة عثمان.

[وإذا كان لا ينصفنا إما تأويلا منه وإما عجزا منه عن نصرتنا، فليس علينا أن نبايع من نظلم بولايته لا لتأوليه ولا لعجزه] (٣) . قالوا: والذين جوزوا قتالنا قالوا: إنا بغاة، والبغي ظلم، فإن كان مجرد الظلم مبيحا للقتال، فلأن يكون مبيحا لترك المبايعة أولى وأحرى، فإن القتال أعظم فسادا من ترك المبايعة بلا قتال.

وإن قيل: علي – رضي الله عنه – لم يكن متعمدا لظلمهم، بل كان مجتهدا في العدل لهم وعليهم.

قالوا: وكذلك نحن لم نكن متعمدين للبغي، بل مجتهدين في العدل له وعليه. وإذا كنا بغاة كنا بغاة للتأويل. والله تعالى لم يأمر بقتال الباغي ابتداء، وليس مجرد البغي مبيحا للقتال، بل قال تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾ سورة الحجرات فأمر بالإصلاح عند الاقتتال، ثم قال: ﴿فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾ وهذا بغي بعد الاقتتال، فإنه بغي إحدى الطائفتين المقتتلتين لا بغي بدون الاقتتال، فالبغي المجرد

---

(١) ن، م، و: قبل ذلك وحمل هؤلاء على هؤلاء ولم يكن. .

(٢) ن: أصلا أبدا، **بل الشر ؛** م: أصلا **بل الشر ؛** و: أصلا بل. . .

(٣) ما بين المعقوفتين عبارات سقطت من (ن) ، (م) ، (و) وسبق أن جاءت فيها في غير موضعها.." (٢)

"ما تولد على فعله **من الشر أعظم** مما تولد من الخير. كالذين خرجوا على يزيد بالمدينة، وكابن الأشعث الذي خرج على عبد الملك بالعراق، وكابن المهلب الذي خرج على ابنه (١) بخراسان، وكأبي مسلم صاحب الدعوة الذي خرج عليهم بخراسان [أيضا] (٢) ، وكالذين (٣) خرجوا على المنصور بالمدينة والبصرة، وأمثال هؤلاء.

وغاية هؤلاء إما أن يغلبوا وإما أن يغلبوا، ثم يزول ملكهم فلا يكون لهم عاقبة ؛ فإن عبد الله بن علي وأبا مسلم هما اللذان (٤) قتلا خلقا كثيرا، وكلاهما قتله أبو جعفر المنصور. وأما أهل الحرة وابن الأشعث وابن المهلب وغيرهم (٥) فهزموا وهزم أصحابهم، فلا أقاموا دينا ولا أبقوا دنيا. والله تعالى لا يأمر بأمر لا يحصل به صلاح الدين ولا صلاح الدنيا،

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤/٤٦٣

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤/٤٦٦

وإن كان فاعل ذلك من أولياء الله (٦) المتقين ومن أهل الجنة، فليسوا أفضل من علي وعائشة وطلحة والزبير وغيرهم، ومع هذا لم يحمدوا ما فعلوه (٧) من القتال، وهم أعظم قدرا عند الله وأحسن نية من غيرهم.

وكذلك أهل الحرة كان فيهم من أهل العلم والدين خلق. وكذلك

---

(١) أ، ب، و، هـ، ص: أبيه.

(٢) أيضا: زيادة في (أ) ، (ب) .

(٣) ن، م: والذين.

(٤) ن: هم الذين ؛ م هما الذين، وما أثبته من (و) ، وسقطت هذه العبارة من سائر النسخ.

(٥) وغيرهم: زيادة في (ن) ، (م) ، (و) .

(٦) أ، ب: عباد الله.

(٧) أ، و: لم يحمدوا على ما فعلوه.." [1]

"الأئمة وترك قتالهم، وإن كان قد قاتل في الفتنة خلق كثير من أهل العلم والدين.

وباب قتال أهل البغي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشتبه بالقتال في الفتنة، وليس هذا موضع بسطه. ومن تأمل الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في هذا الباب واعتبر أيضا اعتبار أولي الأبصار، علم أن الذي جاءت به النصوص النبوية خير الأمور. ولهذا لما أراد الحسين - رضي الله عنه - أن يخرج إلى أهل العراق لما كاتبوه كتبا كثيرة أشار عليه أفاضل أهل العلم والدين، كابن عمر وابن عباس وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن لا يخرج، وغلب على ظنهم أنه يقتل، حتى إن بعضهم قال: أستودعك الله من قتيل. وقال بعضهم: لولا الشفاعة لأمسكتك ومنعتك من الخروج. وهم في ذلك قاصدون نصيحته طالبون لمصلحته ومصلحة المسلمين. والله ورسوله إنما يأمر بالصلاح لا بالفساد، لكن الرأي يصيب تارة ويخطئ أخرى.

فتبين أن الأمر على ما قاله أولئك، ولم يكن في الخروج لا مصلحة دين ولا مصلحة دنيا (١) ، بل تمكن أولئك الظلمة الطغاة من سبط رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى قتلوه مظلوما شهيدا، وكان في خروجه وقتله من الفساد ما لم يكن حصل (٢) لو قعد في بلده، فإن ما قصده من تحصيل الخير **ودفع الشر لم** يحصل منه شيء، بل **زاد الشر بخروجه** وقتله، ونقص

---

(١) أ، ب: إذا لم يكن في الخروج مصلحة لا في دين ولا في دنيا.

(٢) أ، ب، و: يحصل.." [2]

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤/٥٢٨

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤/٥٣٠

"الحق أو قصده أو القدرة عليه، فيكون فيها من الشبهات ما يلبس الحق بالباطل، حتى لا يتميز لكثير من الناس أو أكثرهم، ويكون فيها من الأهواء والشهوات ما يمنع قصد الحق وإرادته، ويكون فيها من ظهور **قوة الشر ما** يضعف القدرة على الخير (١) .

ولهذا ينكر الإنسان قلبه عند الفتنة، فيرد على القلوب ما يمنعها من معرفة الحق وقصده. ولهذا يقال: فتنة عمياء صماء. ويقال: فتن كقطع الليل المظلم، ونحو ذلك من الألفاظ التي يتبين ظهور الجهل فيها، وخفاء العلم.

فلهذا كان أهلها بمنزلة أهل (٢) الجاهلية (*، ولهذا لا تضمن فيها النفوس والأموال، لأن الضمان يكون لمن يعرف أنه (٣) أتلف نفس غيره أو ماله بغير حق، فأما من لم يعرف ذلك، كأهل الجاهلية *) (٤) من الكفار والمرتدين والبغاة المتأولين، [فلا يعرفون ذلك] (٥) ، فلا ضمان عليهم، كما لا يضمن من علم أنه أتلفه بحق، وإن كان هذا مثابا مصيبا. وذلك من أهل الجاهلية إما أن يتوبوا من تلك الجهالة (٦) ، فيغفر لهم بالتوبة جاهليتهم وما كان فيها، وإما أن يكونوا ممن يستحق العذاب على

---

(١) ن، م: القدرة عليه.

(٢) أهل: ساقطة من (ص) ، (ب) .

(٣) ن، و: بأنه.

(٤) (**) : ما بين المعقوفتين ساقط من (م) .

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) .

(٦) الجهالة: كذا في (أ) ، (ب) . وفي سائر النسخ: الجاهلية.." [١]

"عن النقائص المنافية لصفات الكمال، فينزه عن الموت والسنة والنوم، والعجز والجهل والحاجة، كما نزه نفسه في كتابه، فيجمع له بين إثبات صفات الكمال، ونفي النقائص المنافية للكمال، وينزه عن مماثلة شيء من المخلوقات له في شيء من صفاته، وينزه عن النقائص مطلقا، وينزه في صفات الكمال أن يكون له فيها مثل من الأمثال.

وأما الأنبياء فإنكم سلبتموهم ما أعطاهم الله من الكمال وعلو الدرجات، بحقيقة التوبة والاستغفار، والانتقال من كمال إلى ما هو أكمل منه (١) ، وكذبتم ما أخبر الله به من ذلك، وحرفتم الكلم عن مواضعه، وظننتم أن انتقال الآدمي من الجهل إلى العلم، ومن الضلال إلى الهدى، ومن الغي إلى الرشاد، تنقصا (٢) ، ولم تعلموا أن هذا من أعظم نعم الله وأعظم قدرته، حيث ينقل العباد من النقص إلى الكمال، وأنه قد يكون الذي **يذوق الشر والخير** ويعرفهما، يكون (٣) حبه للخير وبغضه للشر أعظم ممن ل ا يعرف إلا الخير. كما قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: " إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية ".

وأما تنزيه الأئمة فمن الفضائح التي يستحيا (٤) من ذكرها، لا سيما الإمام المعدوم الذي لا ينتفع به لا في دين ولا

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥٤٨/٤

دنيا.

وأما تنزيه الشرع عن المسائل الردية، فقد تقدم أن أهل السنة لم يتفقوا

---

(١) ن، م، و: والانتقال من نقص إلى كمال، وكلمة (منه) ساقطة من نسخة (ح) ، (ي) .

(٢) تنقصا: كذا في (ص) ، (ب) . وفي سائر النسخ: نقص.

(٣) ويعرفهما قد يكون. .

(٤) (ح) : يستحق، وهو تحريف.." [(١)]

"وهذا مما يبين أن الذين زعموا أنهم والوه دون أبي بكر وعمر وعثمان يوجد فيهم **من الشر والكفر** باتفاق علي وجميع الصحابة ما لا يوجد في الذين عادوه وكفروه، ويبين أن جنس المبغضين (١) لأبي بكر وعمر شر عند علي وجميع الصحابة من جنس المبغضين (٢) لعلي.

[الكلام على حديث الكساء]

فصل

وأما حديث الكساء فهو صحيح رواه أحمد والترمذي من حديث أم سلمة (٣) ، ورواه مسلم في صحيحه (٤) من حديث عائشة. قالت: «خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - ذات غداة وعليه مرط مرحل (٥) من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله (٦) ، ثم جاء الحسين فأدخله معه (٧) ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ » [سورة الأحزاب: ٣٣] .

وهذا الحديث قد شركه فيه فاطمة وحسن وحسين رضي الله عنهم،

---

(١) ن، م، و: المتعصبين.

(٢) ن، م، و: المتعصبين.

(٣) سبق الحديث ٢٢/٤

(٤) ١٨٨٣/٤ كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم.

(٥) و، ر، ي: مرجل، وقال شارح صحيح مسلم: مرط مرحل: المرط كساء جمعه مروط. المرحل هو الموشى المنقوش عليه صور رحال الإبل.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥٩٠/٤

(٦) ب فقط: فأدخله معه في المرط، وليست في مسلم.

(٧) فأدخله معه: كذا في (و) ، (ب) ، وفي سائر النسخ: فأدخل معهم. وفي مسلم: فدخل معه.." [1]

"قال الله تعالى: ﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [سورة البقرة: ١١٢] .

وقال تعالى: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾ [سورة النساء ٦٩] .

وقال تعالى: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين - الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين - والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾ أولئك ﴿جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين﴾ [سورة آل عمران ١٣٣ - ١٣٦] (١) فهؤلاء في الجنة، ولم يشترط عليهم ما ذكروه من حب علي.

وكذلك قوله تعالى: ﴿إن الإنسان خلق هلوعا - إذا **مسه الشر جزوعا** - وإذا مسه الخير منوعا - إلا المصلين﴾ [سورة المعارج ١٩ - ٢٢] (٢) إلى قوله: ﴿أولئك في جنات مكرمون﴾ [سورة المعارج ٣٥] وأمثال ذلك ولم يشترط حب علي.

وقد قدم على النبي - صلى الله عليه وسلم - عدة وفود، وآمنوا به، وآمن

---

(١) ن، م: (أعدت للمتقين) إلى قوله: (فنعم أجر العاملين) .

(٢) جاءت هذه الآيات كاملة في (أ) ، (ب) ، فقط، وفي سائر النسخ: (هلوعا) إلى قوله: (إلا المصلين) .." [2]

"لأصحابه: تعلمون والله بلاءكم من صاحب هذا القبر، يقول: مروا أبا بكر فليصل بالناس، لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر» .

وهذا كما أنه ليس لأحد *) (١) أن يقول بسبب نزول القرآن بلسان العرب (٢) اختلفت الأمة في التأويل واقتتلوا، إلى أمثال هذه الأمور التي **يجعل الشر الواقع** فيها بسبب ما جاء به الرسول ؛ فإن هذا كله باطل، وهو من كلام الكفار.

قال تعالى عن الكفار الذين قالوا (٣) لرسلهم: ﴿قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم - قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون﴾ [سورة يس ١٨ - ١٩] .

وقال عن قوم فرعون: ﴿فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله﴾ [سورة الأعراف ١٣١] .

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٣/٥

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٧٧/٥

وقال لما ذكر الأمر بالجهاد وأن من الناس من يبطئ عنه ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا - ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ [سورة النساء ٧٨ - ٧٩] .

---

(١) ما بين النجمتين ساقط من (و) .

(٢) ن، م، ر، ي: بسبب نزول القرآن ونزوله بلسان العرب، ح: بسبب نزول القرآن ونزوله بلسان الأعراب.

(٣) و: أنهم قالوا.." [1]

"عليه وسلم - في الشمس والقمر: " «إنهما آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده» " (١) .

وقد قال تعالى: ﴿وما نرسل بالآيات إلا تخويفا﴾ [سورة الإسراء: ٥٩] والآيات التي خوف الله بها عباده (٢) تكون سببا في شر ينزل بالناس، فمن اتقى الله بفعل ما أمر به وقي ذلك الشر. ولو كان مما لا حقيقة له أصلا لم يخف أحد إذا علم أنه لا شر في الباطن، وإنما يبقى التخويف للجاهل الفدم (٣) كما يفزع الصبيان بالخيال.

وقد قال - تعالى -: ﴿ذلك يخوف الله به عباده ياعباد فاتقون﴾ [سورة الزمر: ١٦] فخوف العباد مطلقا، وأمرهم بتقواه، لئلا ينزل المخوف، وأرسل الرسل مبشرين ومنذرين، والإنذار هو الإعلام بما يخاف منه، وقد وجدت المخوفات في الدنيا، وعاقب الله على الذنوب أمما كثيرة، كما قصه في كتابه، وكما شوهد من الآيات، وأخبر عن دخول أهل النار النار في غير موضع من القرآن.

وقال - تعالى -: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [سورة فاطر: ٢٨] ولو كان الأمر كما يتوهمه الجاهل لكان إنما يخشاه من عباده الجهال الذين

---

(١) الحديث بلفظ مقارب عن أبي بكرة، وأبي مسعود الأنصاري - رضي الله عنهما - في: البخاري ٣٦/٢ كتاب الكسوف باب يخوف الله عباده بالكسوف، مسلم ٦٢٨/٢ كتاب الكسوف، باب ذكر النداء بصلاة الكسوف، وجاء الحديث بمعناه عن عدد من الصحابة وبألفاظ مختلفة في الكسوف في كل من البخاري ومسلم، وفي مواضع أخرى في البخاري، وفي سنن أبي داود والنسائي وابن ماجه والدارمي والمسند والموطأ.

(٢) عباده: زيادة في (ح) ، (ب) .

(٣) في اللسان: الفدم من الناس: العيي عن الحجة والكلام مع ثقل ورخاوة وقلة فهم.." [2]

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٣٨/٥

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢٩٩/٥

"لحياته، ولكنهما آيتان من آيات الله - عز وجل - يخوف [الله] بهما (١) عباده، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة» " (٢) .

وقد ثبت عنه في الصحاح أنه صلى صلاة الكسوف بركوع زائد في كل ركعة، وأنه طولها تطويلا لم يطوله في شيء من صلوات الجماعات، وأمر عند الكسوف بالصلاة والذكر والدعاء، والعتاقة والصدقة، والاستغفار (٣) .

وقوله: " «يخوف الله بهما عباده» " كقوله تعالى: ﴿وما نرسل بالآيات إلا تخويفا﴾ [سورة الإسراء: ٥٩] ، ولهذا كانت الصلوات مشروعة عند الآيات عموما، مثل تناثر الكواكب والزلزلة وغير ذلك، والتخويف إنما يكون بما هو سبب للشر المخوف، كالزلزلة والريح العاصف. وإلا فما وجوده كعدمه لا يحصل به تخويف.

فعلم أن الكسوف سبب للشر، ثم قد يكون (٤) عنه شر، ثم القول فيه كالقول في سائر الأسباب: هل هو سبب؟ كما عليه جمهور الأمة، أو هو مجرد اقتران عادة كما يقوله الجهمية؟

وهو - صلى الله عليه وسلم - أخبر عند (٥) أسباب الشر بما يدفعها من

---

(١) ن، ح، ر: يخوف بهما.

(٢) سبق هذا الحديث في هذا الجزء ص ٢٩٩

(٣) انظر إرواء الغليل ٣/١٢٦ - ١٣٢ وانظر الأحاديث الواردة في ذلك وتعليق الألباني عليها.

(٤) ب: ثم قد لا يكون، و: ثم هل هو قد يكون.

(٥) ب فقط: عن.." [1]

"العبادات، التي تقوي ما انعقد (١) سببه من الخير، وتدفع أو تضعف ما انعقد سببه من الشر. كما قال: " «إن الدعاء والبلاء ليلتقيان فيعتلجان بين السماء والأرض» " (٢) .

والفلاسفة تعترف (٣) بهذا، لكن هل ذلك بناء (٤) على أن الله يدفع ذلك بقدرته وحكمته، أو بناء على أن القوى النفسانية تؤثر؟ هذا مبني على أصولهم في هذا الباب.

ويحكى عن بطليموس (٥) أنه قال: " ضجيج الأصوات، في هياكل العبادات، بفنون اللغات، تحلل (٦) ما عقدته الأفلاك الدائرات "، وعن

---

(١) ن: ما اعتقد.

(٢) لم أجد الحديث بهذا اللفظ ولكن روى المنذري في " الترغيب والترهيب " ٣/١٤٢ (ط. مصطفى محمد عمارة ١٣٥٢ ١٩٣٣) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يغني حذر عن قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة "، قال المنذري: " رواه

---

[1] منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥/٤٤٥

البزار والطبراني والحاكم، وقال: صحيح الإسناد، يعتلجان: أي يتصارعان ويتدافعان ".

(٣) و: تعرف

(٤) ن، م: لكن هو بناء.

(٥) بطليموس القلوذي العالم المشهور صاحب كتاب المجسطي في الفلك، إمام في الرياضة، كان في أيام أندرياسيوس وفي أيام أنطميوس من ملوك الروم وبعد أيرقس بمائتين وثمانين سنة، فأما كتاب المجسطي فهو ثلاث عشرة مقالة، وأول من عني بتفسيره وإخراجه إلى العربية يحيى بن خالد بن برمك. انظر عنه: تاريخ الحكماء ص ٩٥ - ٩٨ طبقات الأطباء ص ٣٥ - ٣٨ الفهرست لابن النديم ص [٠ - ٩] ٦٧ - ٢٦٨ خطط المقريزي ١/١٥٤

(٦) ح، ر: تحل.." [1]

"الله: [أن] (١) لا ترغبوا عن آبائكم، فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم (٢) ، ألا إن (٣) رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " «لا تطروني كما أطرت النصاري عيسى (٤) ابن مريم، وقولوا: عبد الله ورسوله» " ثم إنه بلغني أن قائلا منكم (٥) يقول: والله، لو مات عمر لبايعت (٦) فلانا، فلا يغترن امرؤ أن يقول: إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة (٧) فتمت (٨) ، ألا وإنها قد كانت كذلك، ولكن الله وقى شرها، وليس فيكم (٩) من تقطع الأعناق إليه مثل

---

(١) أن في (ب) والبخاري فقط.

(٢) البخاري: عن آبائكم أو إن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم.

(٣) ب: ألا وإن، البخاري ألا ثم إن.

(٤) البخاري كما أطري عيسى، م: لا تطروني إطراء النصارى عيسى.

(٥) أن قائلا منك: كذا في (ب) والبخاري وفي (ح) ، (ر) ، (ي) : أن قائلا فيكم، وفي (ن) ، (م) : أن فلانا فيكم وفي هامش (ي) كتب ما يلي: " وقال بعض العلماء: إن آية الرجم التي نسخت: قوله تعالى: والشيخ والشيخة إذا زنيا فراجموهم ألبتة. وقد أبقى الله في كتابه نظيرها وهو قوله تعالى: ويدرؤ عنها العذاب [سورة النور: ٨] .

(٦) البخاري: بايعت.

(٧) قال ابن حجر في شرحه للحديث فتح الباري ١٢/١٤٧: " أي: فجأة وزنه ومعناه "، ثم قال (فتح الباري ١٢/١٤٩) : " الفلتة الليلة التي يشك فيها: هل هي من رجب أو شعبان، وهل من المحرم أو صفر؟ كان العرب لا يشهرون السلاح في الأشهر الحرم، فكان من له ثأر تربص، فإذا جاءت تلك الليلة انتهز الفرصة من قبل أن يتحقق انسلاخ الشهر فيتمكن ممن يريد **إيقاع الشر به** وهو آمن فيترتب على **ذلك الشر الكثير**، فشبه عمر الحياة النبوية بالشهر الحرام، والفلتة بما وقع من أهل الردة، ووقى الله شر ذلك ببيعة أبي بكر لما وقع منه من النهوض في قتالهم وإخماد شوكتهم، كذا قال (ابن الأعرابي) والأولى أن يقال: الجامع بينهم ا انتهاز الفرصة، لكن كان ينشأ عن أخذ **الثأر الشر الكثير** فوقى الله المسلمين

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٥/٤٤٦

شر ذلك ".

(٨) البخاري: وتمت.

(٩) البخاري: منكم (وفى قراءة فيه: فيكم) .." [١]

"المسلمين، ولم يحصل بقتلهم مصلحة للمسلمين، لا في دينهم ولا في دنياهم، بل نقص الخير عما كان، **وزاد الشر على** ما كان.

فإذا كان مثل هذا الرأي لا يعاب (١) به، فرأي عمر وغيره في مسائل الفرائض والطلاق أولى أن لا يعاب (٢) . مع أن عليا شركهم في هذا الرأي، وامتاز برأيه في الدماء.

وقد كان ابنه الحسن وأكثر السابقين الأولين لا يرون القتال مصلحة، وكان هذا الرأي أصلح (٣) من رأي القتال بالدلائل الكثيرة.

ومن المعلوم أن قول علي في الجد وغيره من المسائل كان بالرأي، وقد قال: اجتمع رأيي ورأي عمر على المنع من بيع أمهات الأولاد، والآن فقد رأيت أن يبعن، فقال له قاضيه عبيدة السلماني: رأيك مع رأي عمر في الجماعة أحب إلينا من رأيك وحدك في الفرقة.

وفي صحيح البخاري عن أيوب، عن ابن سيرين، عن عبيدة، عن علي قال: " اقضوا كما كنتم تقضون، فإني أكره الاختلاف، حتى يكون للناس جماعة، أو أموت كما مات أصحابي "، قال: وكان ابن سيرين يرى أن عامة ما يروى عن علي كذب (٤) .

وقد جمع الشافعي ومحمد بن نصر المروزي المسائل التي تركت من قول علي وابن مسعود، فبلغت شيئا كثيرا، وكثير منها قد جاءت السنة بخلافه، كالمتوفى عنها الحامل، فإن مذهب علي - رضي الله عنه - أنها

---

(١) ن، م: أريقت،

(٢) ح: يعاقب.

(٣) ح: أصح.

(٤) الحديث بهذا اللفظ في البخاري ١٩/٥ كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب مناقب علي.." [٢]

"وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ندم على أمور فعلها من القتال وغيره، وكان يقول:

لقد عجزت عجزة لا أعتذر ... سوف أكيس بعدها وأستمر

وأجمع الرأي الشتيت المنتشر

وكان يقول ليالي صفين: " لله در مقام قامه عبد الله بن عمر وسعد بن مالك؛ إن كان برا إن أجره لعظيم، وإن كان إثما

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤٧٣/٥

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١١٣/٦

إن خطره ليسير " وكان يقول: " يا حسن يا حسن ما ظن أبوك أن الأمر يبلغ إلى هذا، ود أبوك لو مات قبل هذا بعشرين سنة ".

ولما رجع من صفين تغير كلامه، وكان يقول: " لا تكرهوا إمارة (١) معاوية، فلو قد فقدتموه لرأيتم الرءوس تتطاير عن كواهلها ". وقد روي هذا عن علي - رضي الله عنه - من وجهين أو ثلاثة. وتواترت الآثار بكراهته (٢) الأحوال في آخر الأمر، ورؤيته اختلاف الناس وتفرقهم، **وكثرة الشر الذي** أوجب أنه لو استقبل من أمره ما استدبر ما فعل ما فعل.

وبالجملة ليس علينا أن نعرف كل واحد تاب، ولكن نحن نعلم أن التوبة مشروعة لكل عبد: للأنبياء ولمن دونهم، وأن الله - سبحانه - يرفع عبده بالتوبة، وإذا ابتلاه بما يتوب منه، فالمقصود كمال النهاية لا نقص البداية، فإنه تعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين، وهو يبدل بالتوبة السيئات حسنات.

---

(١) ن: ولاية.

(٢) ن: بكراهية، م: لكراهته.." [1]

"عثمان، وزاده عثمان في الولاية. وكانت سيرة معاوية مع رعيته من خيار سير (١) الولاة، وكانت رعيته يحبونه (٢).

و [قد ثبت] في الصحيح (٣) عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم» " (٤) .

وإنما ظهر الإحداث من معاوية في الفتنة لما قتل عثمان، ولما قتل عثمان كانت الفتنة شاملة لأكثر الناس، لم يختص بها معاوية، بل كان معاوية أطلب للسلامة من كثير منهم، وأبعد عن (**٥) الشر من** كثير منهم.

ومعاوية كان خيرا من الأشتر النخعي، ومن محمد بن أبي بكر، ومن عبيد الله (٦) بن عمر بن الخطاب، ومن أبي الأعور السلمي، [ومن هاشم بن هاشم بن هاشم المرقال] (٧) ، ومن الأشعث بن قيس الكندي، ومن بسر (٨) بن أبي أرطاة، وغير هؤلاء من الذين كانوا معه ومع علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما -.

---

(١) ن: سيرة.

(٢) انظر: المنتقى من منهاج الاعتدال، ص ٢٣١، ٢٣٤، ص ٢٥٩، ٢٦٢، ٣٨٧ - ٣٨٩.

(٣) ن، م: وفي الصحيح، ح، ب: وقد ثبت في الصحيحين.

(٤) سبق هذا الحديث فيما مضى ١/١١٦، ١/٥٦٥

(٥) ح، ب: من.

(٦) ن: عبد الله، وهو خطأ.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٦/٢٠٩

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) .

(٨) ن، م: بشر، وهو تحريف، وقد اختلف في صحبته، وكان من قواد معاوية، ولد بمكة قبل الهجرة وتوفي سنة ٨٦، انظر ترجمته في: الإصابة ١٥٢/١، الأعلام ٢٣/٢ – ٢٤.." (١)

"وإنما يعظم القول في مثل هذه الأمور أهل الجهل والهوى، الذين لهم غرض في فتح **باب الشر على** الصحابة بالكذب والبهتان.

وقد تولى علي بعد ذلك، وصار فدك وغيرها تحت حكمه، ولم يعطها لأولاد فاطمة، ولا [أخذ] (١) من زوجات النبي – صلى الله عليه وسلم –، ولا ولد العباس شيئا من ميراثه.

فلو كان ذلك ظلما وقدر على إزالته، لكان هذا أهون عليه من قتال معاوية وجيوشه. أفتراه يقاتل معاوية، مع ما جرى في ذلك **من الشر العظيم**، ولا يعطي هؤلاء قليلا من المال وأمره أهون بكثير؟ .

[قال الرافضي الخلاف السادس في قتال مانعي الزكاة]

[وأما قوله] (٢) : " الخلاف (٣) السادس: في قتال مانعي الزكاة، قاتلهم (٤) أبو بكر واجتهد عمر في أيام خلافته، فرد السبايا والأموال إليهم، وأطلق المحبوسين ".

فهذا من الكذب الذي لا يخفى على من عرف أحوال المسلمين ؛ فإن مانعي الزكاة اتفق أبو بكر وعمر على قتالهم، بعد أن راجعه عمر في ذلك.

كما في الصحيحين عن أبي هريرة أن عمر قال لأبي بكر يا خليفة رسول الله كيف تقاتل الناس وقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم –:

---

(١) أخذ: ساقطة من جميع النسخ، وإثباتها يقتضيه سياق الكلام.

(٢) وأما قوله: ساقطة من (ن) ، وفي (م) : وقوله. والمقصود ابن المطهر الرافضي في (ك) (ص ١٤٣) (م) .

(٣) الخلاف: ليست في (ك) .

(٤) ك: فقاتلهم.." (٢)

"ونحن لا ننكر أن عثمان – رضي الله عنه – كان يحب بني أمية، وكان يواليهم ويعطيهم أموالا كثيرة. وما فعله من مسائل الاجتهاد التي تكلم فيها العلماء، الذين ليس لهم غرض كما أننا (١) لا ننكر أن عليا ولى أقاربه، وقاتل وقتل خلقا كثيرا (٢) من المسلمين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ويصومون ويصلون (٣) . لكن من هؤلاء من قاتله بالنص والإجماع، ومنهم من كان قتاله من مسائل الاجتهاد التي تكلم فيها العلماء الذين لا غرض لهم.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢٤٧/٦

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٤٧/٦

وأمر الدماء أخطر من أمر الأموال، والشر الذي حصل في الدماء بين الأمة **أضعاف الشر الذي** حصل بإعطاء الأموال.

فإذا كنا نتولى عليا ونحبه ونذكر ما دل عليه الكتاب والسنة من فضائله (٤) ، مع أن الذي جرى في خلافته أقرب إلى الملام مما جرى في خلافة عثمان، وجرى في خلافة عثمان من الخير ما لم يجر مثله في خلافته فلأن (٥) نتولى عثمان ونحبه، ونذكر ما دل عليه الكتاب و ا لسنة (٦) بطريق الأولى.

وقد ذكرنا أن ما فعله عثمان في المال فله ثلاثة مآخذ: أحدها: أنه عامل عليه والعامل يستحق مع الغنى.

---

(١) ن، م: كما أنا.

(٢) كثيرا: ساقطة من (م) .

(٣) ن، م: وصلوا.

(٤) ن، م: على فضائله.

(٥) ب: أفلا.

(٦) ن: ونذكر من دل عليه الكتاب والسنة، م: ونذكر ما دل عليه من الكتاب والسنة على فضائله.." [١]

"خلافته، وأنه كان ينفق هذين الكنزين في سبيل الله، الذي هو طاعته وطاعة رسوله، وما يقرب إلى الله، لم ينفق الأموال في أهواء النفوس المباحة، فضلا عن المحرمة، فهل ينتصر لأبي لؤلؤة مع هذا إلا من هو أعظم الناس كفرا بالله ورسوله، وبغضا في الإسلام، ومفرط (١) في الجهل لا يعرف حال أبي لؤلؤة؟ .

ودع ما يسمع وينقل عمن خلا، فلينظر كل عاقل فيما يحدث في زمانه، وما يقرب من زمانه من الفتن والشرور والفساد في الإسلام، فإنه يجد معظم ذلك من قبل الرافضة، وتجدهم من أعظم الناس فتنا وشرا، وأنهم لا يقعدون عما يمكنهم من الفتن والشر وإيقاع الفساد بين الأمة.

ونحن نعرف بالعيان والتواتر العام وما كان (٢) في زماننا، من حين خرج (٣) جنكزخان (٤) ملك الترك الكفار، وما جرى في الإسلام من الشر.

فلا يشك عاقل أن استيلاء الكفار المشركين، الذين لا يقرون بالشهادتين ولا بغيرها من المباني الخمس، ولا يصومون شهر (٥) رمضان، ولا يحجون البيت العتيق، ولا يؤمنون بالله، ولا بملائكته، ولا بكتبه ورسله واليوم الآخر.

---

(١) ن: ومفرطا، م: أو مفرطا.

(٢) ن، م: وما كان.

(٣) ن: يخرج.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٦/٣٥٦

(٤) ن: حنكشجان، م: جنكسيخان.

(٥) شهر: ساقطة من (ب) .." [١]

"عسكر المسلمين سنة غازان، سنة تسع وتسعين وخمسمائة، وخلت الشام من جيش [المسلمين] (١) ، عاثوا في البلاد، وسعوا في أنواع من الفساد، من القتل وأخذ الأموال، وحمل راية الصليب، وتفضيل النصارى على المسلمين، وحمل السبي والأموال والسلاح من المسلمين إلى النصارى، أهل الحرب بقبرس وغيرها.

فهذا - وأمثاله - قد عاينه الناس، وتواتر عند من لم يعاينه. ولو ذكرت أنا ما سمعته ورأيته من آثار ذلك لطال الكتاب، وعند غيري من أخبار ذلك وتفاصيله ما لا أعلمه.

فهذا أمر مشهود من معاونتهم للكفار على المسلمين، ومن اختيارهم لظهور الكفر وأهله على الإسلام وأهله، ولو قدر أن المسلمين ظلمة فسقة، ومظهرون لأنواع من البدع التي هي أعظم من سب علي وعثمان، لكان العاقل ينظر في خير الخيرين وشر الشرين.

ألا ترى أن أهل السنة وإن كانوا يقولون في الخوارج والروافض وغيرهما من أهل البدع ما يقولون، لكن لا يعاونون الكفار على دينهم، ولا يختارون ظهور الكفر وأهله على ظهور بدعة دون ذلك؟ .

والرافضة إذا تمكنوا لا يتقون. وانظر ما حصل لهم في دولة السلطان خدابندا (٢) ، الذي صنف له هذا الكتاب، كيف ظهر فيهم من الشر، الذي لو دام وقوي أبطلوا به عامة شرائع الإسلام! لكن يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

---

(١) المسلمين: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٢) م: حذابندا، ب: خدابند.." [٢]

"وأما الخلفاء والصحابة فكل خير فيه المسلمون إلى - يوم القيامة من الإيمان [والإسلام] (١) ، والقرآن والعلم، والمعارف والعبادات، ودخول الجنة، والنجاة من النار، وانتصارهم على الكفار، وعلو كلمة الله - فإنما هو ببركة ما فعله الصحابة، الذين بلغوا الدين، وجاهدوا في سبيل الله.

وكل مؤمن آمن بالله فللصحابة - رضي الله عنهم - عليه فضل إلى يوم القيامة، وكل خير فيه الشيعة وغيرهم فهو ببركة (٢) الصحابة. وخير الصحابة تبع لخير الخلفاء الراشدين، فهم كانوا أقوم بكل خير في الدين والدنيا من سائر الصحابة، فكيف يكون هؤلاء منبع الشر، ويكون أولئك الرافضة منبع الخير؟ ! .

ومعلوم أن الرافضي يوالي أولئك الرافضة ويعادي الصحابة، فهل هذا إلا من شر من أعمى الله بصيرته؟ فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٧٢/٦

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٧٥/٦

وإذا قال القائل: الجمهور الذين يتولون الثلاثة فيهم **من الشر والفتن** م ا لم ينقل مثله عن علي، فلا يقابل بين الرافضة والصحابة والجمهور.

فنقول: الجواب من وجهين الأول (٣) : أنا لم نذكر هذا للمقابلة، بل ردا على من زعم أن الفتنة لم تخرج إلا عن الخلفاء الراشدين. ونحن قد علمنا بالمعاينة والتواتر أن الفتن والشرور العظيمة التي لا تشابهها فتن،

---

(١) والإسلام: ساقطة من (ن) ، (م) .

(٢) ن، م: من بركة.

(٣) ن، م: من وجهين الجواب.." (١)

"فإن مسيلمة الكذاب من أكابر الأئمة الذين كفروا. وكذلك أمثاله من الملاحدة العبيديين، وأمثالهم الذين كانوا يدعون الإلهية والنبوة، أو يدعي أن الفيلسوف أعظم من الأنبياء، ونحو ذلك من مقالات الذين كفروا، فإن المبتدعة من الجهمية والرافضة وغيرهم الذين أوتوا نصيبا من الكتاب، يقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا، فيحق عليهم ما وعد الله به حيث قال: ﴿أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا﴾ [سورة النساء: ٥٢] .

ومن هؤلاء من يعظم الشرك والسحر والأحوال الشيطانية، مما هو من الإيمان بالجبت والطاغوت ؛ فإن الجبت: هو السحر والطاغوت: الشيطان والأوثان.

الوجه الثاني: أنا لو فرضنا المقابلة بين الجمهور والرافضة، فما بين خير الطائفتين وشرهما نسبة، فإنا لا ننكر أن في الجمهور شرا كثيرا، لكن إذا جاءت المقابلة، فلا بد من المعادلة كما أنا إذا قابلنا بين المسلمين والنصارى واليهود، لم نستكثر ما في المسلمين من الشر، لكن يجب العدل، فإن الله أمر بالقسط والعدل، [وهو] (١) مما اتفقت العقول والشرائع على وجوبه وحسنه.

فتقول: ما من شر يوجد في الجمهور إلا وفي الرافضة من جنسه ما هو

---

(١) وهو: ساقطة من (ن) ، (م) .." (٢)

"وهذا يتبين: بالوجه الرابع: وهو أنه لو لم يخلق هذا المعصوم، لم يكن يجري في الدنيا **من الشر أكثر** مما جرى، إذ كان (١) وجوده لم يدفع شيئا من الشر، حتى يقال: وجوده دفع كذا. بل وجوده أوجب أن كذب به الجمهور، وعادوا شيعته، وظلموه وظلموا أصحابه، وحصل من الشرور التي لا يعلمها إلا الله، بتقدير أن يكون معصوما.

فإنه بتقدير أن لا يكون علي - رضي الله عنه - معصوما، ولا بقية الاثني عشر ونحوهم، لا يكون ما وقع من تولية الثلاثة، وبني أمية، وبني العباس، فيه من الظلم والشر ما فيه بتقدير كونهم أئمة (٢) معصومين (* وبتقدير كونهم (٣)

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٧٦/٦

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٣٧٨/٦

معصومين فما أزالوا **من الشر إلا** ما يزيله من ليس بمعصوم، فصار كونهم معصومين *) (٤) إنما حصل **به الشر لا** الخير.

فكيف يجوز على الحكيم أن يخلق شيئا ليحصل به الخير، وهو لم يحصل به **إلا الشر لا** الخير؟

وإذا قيل: **هذا الشر حصل** من ظلم الناس له.

قيل: فالحكيم الذي خلقه إذا كان خلقه لدفع ظلمهم، وهو يعلم أنه إذا خلقه زاد ظلمهم، لم يكن خلقه حكمة بل سفها، وصار هذا كتسليم إنسان ولده إلى من يأمره بإصلاحه، وهو يعلم أنه لا يطيعه بل يفسده، فهل يفعل هذا حكيم؟

ومثل أن يبني إنسان خانا في الطريق لتأوي إليه القوافل، ويعتصموا

---

(١) م، ب: إذا كان.

(٢) أئمة: ساقطة من (ب) .

(٣) م: أنهم.

(٤) ما بين النجمتين ساقط من (ب) فقط.." [1]

"فيقولون يجب عليه كذا، فلابد أن يكون قد فعل الواجب، وليس هذا إلا هكذا.

والعلم بالواقع له طرق كثيرة قطعية يقينية تبين انتفاء هذا الذي ذكروا أنه واقع. فإذا علمنا انتقاء الفائدة المطلوبة قطعا، لم يمكن إثبات لازمها، وهو الوسيلة، فإنا نستدل على إثبات اللازم بإثبات الملزوم، فإذا كان الملزوم قد علمنا انتفاءه قطعا، لم يمكن إثبات لازمه.

ثم بعد ذلك آن أن نقدح في الإيجاب جملة وتفصيلا، أو نقول (١) : الواجب من الجملة (٢) لا يتوقف على ما ادعوه من المعصوم ما لم يكن مثله في نواب (٣) معاوية.

وقول الرافضة (٤) من جنس قول النصارى: إن الإله تجسد ونزل، وإنه أنزل ابنه ليصلب، ويكون الصلب مغفرة لذنب آدم، ليدفع الشيطان بذلك لهم.

فقيل لهم: إذا كان قتله وصلبه وتكذيبه من **أعظم الشر والمعصية**، فيكون قد أراد أن يزيل ذنبا صغيرا بذنب هو أكبر منه، وهو مع ذلك لم يغير الشر، بل زاد على ما كان، فكيف يفعل شيئا لمقصود، والحاصل إنما هو ضد المقصود؟ !

.

الوجه الخامس: إذا كان الإنسان مدنيا بالطبع، وإنما وجب نصب

---

(١) ن، م: أن يقدح في الإيجاب جملة أو تفصيلا أو يقول.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٦/٣٩٥

(٢) م: الحكمة.

(٣) نواب: كذا في (ب) ، وفي (ن) : ثواب، والكلمة غير منقوطة في (م) .

(٤) ب: الرافضي.." (١)

"المعصوم ليزيل الظلم والشر عن أهل المدينة، فهل تقولون (١) ، إنه لم يزل في كل مدينة خلقها الله تعالى معصوم يدفع ظلم الناس أم لا؟ .

فإن قلتم بالأول، كان هذا مكابرة ظاهرة. فهل في بلاد الكفار من المشركين وأهل الكتاب معصوم؟ وهل كان في الشام عند معاوية معصوم؟ .

وإن قلتم: بل نقول: هو في كل مدينة واحد وله نواب في سائر المدائن.

قيل: فكل معصوم له نواب في جميع مدائن الأرض أم في بعضها؟

فإن قلتم: في الجميع كان هذا مكابرة، وإن قلتم: في البعض دون البعض. قيل: فما الفرق إذا كان ما ذكرتموه واجبا على الله، وجميع المدائن حاجتهم إلى المعصوم واحدة؟ .

الوجه السادس: أن يقال: هذا المعصوم يكون وحده معصوما؟ أو كل من نوابه معصوما (٢) ؟ وهم لا يقولون بالثاني، والقول به مكابرة. فإن نواب النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يكونوا معصومين، ولا نواب علي، بل كان في بعضهم من الشر والمعصية ما لم يكن مثله في نواب معاوية لأميرهم، فأين العصمة؟

وإن قلت: يشترط فيه وحده.

قيل: فالبلاد الغائبة عن الإمام، لا سيما إذا لم يكن المعصوم قادرا على قهر نوابه بل هو عاجز، ماذا ينتفعون بعصمة الإمام، وهم يصلون

---

(١) ن: يقولون، م: يقول (غير منقوطة) .

(٢) ن، م: معصوم.." (٢)

"[إليه] ما أمكنه (١) ، وهما متفقان لا يتناقضان إلا لفساد أحدهما. وهذا القول أقرب من غيره.

وأما الجزئيات فهذه لا يمكن النص على أعيانها، بل لا بد فيها من الاجتهاد المسمى بتحقيق المناط، كما أن الشارع لا يمكن أن ينص لكل مصل على جهة القبلة في حقه، ولكل حاكم على عدالة كل شاهد، وأمثال ذلك.

وإذا كان كذلك، فإن ادعوا عصمة الإمام في الجزئيات، فهذه مكابرة، ولا يدعيها أحد، فإن عليا - رضي الله عنه - كان يولي من تبين له خيانته وعجزه وغير ذلك، وقد قطع رجلا بشهادة شاهدين، ثم قالا: أخطأنا. فقال: لو أعلم أنكما

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٦/٣٩٩

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٦/٤٠٠

تعمدتما لقطعت أيديكما.

وكذلك كان النبي - صلى الله عليه وسلم -، ففي الصحيحين عنه أنه قال: «إنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وإنما أقضي بنحو ما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار» (٢) .

وقد ادعى قوم من أهل الخير على ناس من أهل الشر، يقال لهم:

---

(١) ن: يسلك السالك أينما أمكنه ؛ م: سلك السالك أيهما أمكنه.

(٢) الحديث عن أم سلمة رضي الله عنها في: البخاري ١٨٠/٣ كتاب الشهادات، باب من أقام البينة بعد اليمين. ٢٥/٩ كتاب ترك الحيل، باب حدثنا محمد بن كثير، ٦٩/٩ كتاب الأحكام، باب موعظة الإمام للخصوم، مسلم ١٣٣٧/٣ - ١٣٣٨ كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، سنن أبي داود ٤١٠/٣ كتاب الأقضية، باب في قضاء القاضي إذا أخطأ، المسند ط. الحلبي ٣٢٠/٣ والحديث في سنن الترمذي والنسائي وابن ماجه والموطأ ومواضع أخرى في المسند.." [١]

"وإذا كان كذلك امتنع أن يكون التطهير المدعو به (١) للأربعة متضمنا للعصمة التي يختص بها النبي - صلى الله عليه وسلم - والإمام عندهم (٢) ، فلا يكون من دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - له (٣) بهذه (٤) العصمة: لا لعلي (٥) ولا لغيره، فإنه دعا بالطهارة لأربعة مشتركين لم يختص (٦) بعضهم بدعوة. وأيضا فالدعاء بالعصمة من الذنوب ممتنع على أصل القدرية، بل وبالتطهير أيضا ؛ فإن الأفعال الاختيارية - التي هي فعل الواجبات (٧) وترك المحرمات - عندهم غير مقدورة للرب، ولا يمكنه (٨) أن يجعل العبد مطيعا ولا عاصيا، ولا متطهرا من الذنوب ولا غير متطهر، فامتنع على أصلهم أن يدعو لأحد بأن يجعله فاعلا للواجبات تاركا للمحرمات، وإنما المقدور عندهم قدرة تصلح للخير والشر، كالسيف الذي يصلح لقتل المسلم والكافر، والمال الذي يمكن إنفاقه في الطاعة والمعصية، ثم العبد يفعل باختياره: إما الخير **وإما الشر بتلك** القدرة. وهذا الأصل يبطل حجتهم. والحديث حجة عليهم في إبطال هذا الأصل، حيث دعا النبي - صلى الله عليه وسلم - لهم (٩) بالتطهير. فإن قالوا: المراد بذلك أنه يغفر لهم ولا يؤاخذهم.

---

(١) م: المطهر المدعو له.

(٢) ن، م، س: وعندهم.

(٣) له: ساقطة من (م) .

(٤) ب: بهذا.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤١٢/٦

(٥) م: إلا لعلي، وهو تحريف.

(٦) ن، م: مشركين لم يخص.

(٧) م: الموجبات.

(٨) ن، م، س: ولا يمكن.

(٩) لهم: ساقطة من (س) ، (ب) .." (١)

"والنصارى يكثر فيهم المفترون للكذب على الله، واليهود يكثر فيهم المكذبون بالحق. وهو سبحانه ذكر المكذب بالصدق نوعا ثانيا ؛ لأنه أولا لم يذكر جميع أنواع الكذب، بل ذكر من كذب على الله. وأنت إذا تدبرت هذا، وعلمت أن كل واحد من الكذب على الله والتكذيب بالصدق مذموم، وأن (١) المدح لا يستحقه إلا من كان آتيا بالصدق مصدقا للصدق، علمت أن هذا مما هدى الله به عباده إلى صراطه المستقيم.

إذا تأملت هذا تبين لك أن كثيرا **من الشر** – أو أكثره – يقع من أحد هذين (٢) ، فتجد إحدى الطائفتين، أو الرجلين (٣) من الناس، لا يكذب فيما يخبر به من العلم، لكن لا يقبل ما تأتي به الطائفة الأخرى، فربما (٤) جمع بين الكذب على الله والتكذيب بالصدق.

وهذا وإن كان يوجد في عامة الطوائف شيء منه فليس في الطوائف أدخل في ذلك من الرافضة ؛ فإنما أعظم الطوائف كذبا على الله، وعلى رسوله، وعلى الصحابة (٥) وعلى ذوي القربى. وكذلك هم من أعظم الطوائف تكذيبا بالصدق، فيكذبون بالصدق الثابت المعلوم من المنقول الصحيح والمعقول الصريح.

فهذه الآية – ولله الحمد – ما فيها من مدح فهو يشتمل على الصحابة الذين افترت عليهم الرافضة وظلمتهم، فإنهم جاءوا بالصدق وصدقوا به،

---

(١) م: فإن.

(٢) م: من أحد من هذين.

(٣) س، ب: والرجلين.

(٤) م: وربما.

(٥) م: وعلى أصحابه.." (٢)

"وقد يجعلون قوى النفس التي تقتضي فعل الخير هي الملائكة، وقواها التي **تقتضي الشر هي** الشياطين، وأن الملائكة التي تنزل على الرسل، والكلام الذي سمعه موسى بن عمران إنما هو في نفوس الأنبياء، ليس في الخارج، بمنزلة ما يراه النائم، وما يحصل لكثير من الممرورين (١) وأصحاب الرياضة ؛ حيث يتخيل في نفسه أشكالا نورانية، ويسمع

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٨٤/٧

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٩٣/٧

في نفسه أصواتا، فتلك هي عندهم ملائكة الله، وذلك هو كلام الله، ليس له كلام منفصل.
ولهذا يدعي أحدهم أن الله كلمه كما كلم موسى بن عمران، أو أعظم مما كلم موسى ؛ لأن موسى كلم عندهم بحروف وأصوات في نفسه، وهم يكلمون بالمعاني المجردة العقلية.
وصاحب " مشكاة الأنوار " و " الكتب المضنون بها على غير أهلها " (٢) وقع في كلامه قطعة من هذا النمط، وقد كفرهم بذلك في مواضع أخر، ورجع عن ذلك، واستقر أمره على مطالعة البخاري ومسلم وغيرهما.
ومن هنا سلك صاحب " خلع النعلين " ابن قسي (٣) وأمثاله، وكذلك

---

(١) ن، س، ب: الممروزين، وهو تحريف. وفي " لسان العرب ": " والمرارة: التي فيها المرة. والمرة: إحدى الطبائع الأربع. ابن سيده: والمرة مزاج من أمزجة البدن. . . والممرور الذي غلبت عليه المرة " ويقول ابن سينا في " الإشارات والتنبيهات " ٣، ٤/٨٧١ - ٨٧٢: " وقد يشاهد قوم من المرضى والممرورين صورا محسوسة ظاهرة حاضرة، ولا نسبة لها إلى محسوس خارج، فيكون انتقاشها إذن من سبب باطن أو سبب مؤثر في سبب باطن ".
(٢) وهو الغزالي.
(٣) هو أبو القاسم أحمد بن الحسن بن قسي، رومي الأصل، من بادية شلب، استعرب وتأدب وقال الشعر، ثم عكف على الوعظ وكثر مريدوه، فادعى أنه المهدي وتسمى بالإمام. ثار على دولة الملثمين واشترك في الأحداث السياسية إلى أن قتل سنة ٥٤٦ هـ. انظر ترجمته في: الحلة السيراء، ص. ١٩٩ - ٢٠٣، الأعلام ١١٣/١ - ١١٤. وكتابه " خلع النعلين " طبع ببيروت.." (١)

"أحق بالولاية منه، أو أنه ممن (١) يحصل به معونة لغيره ممن فيه ظلم، **لكان الشر المدفوع** بولايته أعظم **من الشر الحاصل** بولايته.
وأين أخذ المال، وارتفاع بعض الرجال، من قتل الرجال الذين قتلوا بصفين، ولم يكن في ذلك عز ولا ظفر؟ !
فدل هذا وغيره على أن الذين أشاروا على أمير المؤمنين كانوا حازمين. وعلي إمام مجتهد، لم يفعل إلا ما رآه مصلحة.
لكن المقصود أنه لو كان يعلم الكوائن كان قد علم أن إقراره على الولاية أصلح له من حرب صفين، التي لم يحصل بها إلا **زيادة الشر وتضاعفه**، لم يحصل بها من المصلحة شيء، وكانت ولايته أكثر خيرا وأقل شرا من محاربته، وكل ما يظن في ولايته من الشر، فقد كان في محاربته أعظم منه.
وهذا وأمثاله كثير مما يبين جهل من يقول: إنه كان يعلم الأمور المستقبلة، بل الرافضة تدعي الأمور المتناقضة: يدعون عليه علم الغيب، مع هذه الأمور المنافية لذلك، ويدعون له من الشجاعة ما يزعمون معه أنه كان هو الذي ينصر النبي - صلى الله عليه وسلم - في مغازيه، وهو الذي قام (٢) . الإسلام بسيفه في أول الأمر مع ضعف الإسلام.

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٢١/٨

ثم يذكرون من عجزه عن مقاومة أبي بكر - رضي الله عنه - مع ضعفه عندهم بعد موت النبي - صلى الله عليه وسلم - ما يناقض ذلك ؛ فإن

---

(١) م: فإنه ممن. .

(٢) ب: أقام." (١)

"الطريق (١) ، وأدركه الليل، بقرب (٢) واد وعر، فهبط جبريل وأخبره أن (٣) طائفة من كفار الجن قد استبطنوا الوادي يريدون كيده **وإيقاع الشر بأصحابه**، فدعا بعلي وعوذه، وأمره (٤) بنزول الوادي، فقتلهم» ".

والجواب: أن يقال أولا: علي أجل قدرا من هذا، وإهلاك الجن موجود لمن هو دون علي، لكن هذا الحديث من الأحاديث المكذوبة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعلى علي عند أهل المعرفة بالحديث، ولم يجر في غزوة بني المصطلق شيء من هذا.

وقوله: " إن هذا رواه الجمهور " إن أريد بذلك أنه مروي بإسناد ثابت، أو في كتاب يعتمد على مجرد نقله، أو صححه من يرجع إلى تصحيحه - فليس كذلك.

وإن أراد [أن] (٥) جمهور العلماء رووه فهذا كذب. وإن أراد أنه رواه من لا يقوم بروايته حجة، فهذا لا يفيد.

ومن هذا الجنس ما يروى أنه قاتل الجن في بئر ذات العلم، وهو حديث موضوع عند أهل المعرفة.

---

(١) ك: جنب عن الطريق.

(٢) ك:. . الليل فنزل بقرب.

(٣) ك: جبرئيل - عليه السلام - آخر الليل وأخبر النبي - صلى الله عليه وآله - أن. .

(٤) ن، س: وأمرهم، م فأمرهم، ك: وأمر.

(٥) أن: ساقطة من (ن) ، (م) ، (س) .." (٢)

"وشيعة عثمان متفقة على تقديم أبي بكر وتفضيلهما على عثمان، وشيعة علي المتأخرون أكثرهم يذمونهما ويسبونهما، وأما الرافضة فمتفقة على بغضهما وذمهما، وكثير منهم يكفرونهما، وأما الزيدية فكثير منهم أيضا يذمهما ويسبهما، بل ويلعنهما، وخيار الزيدية الذين يفضلونه (١) عليهما، ويذمون عثمان أو يقعون به.

وقد كان أيضا في شيعة عثمان من يؤخر الصلاة عن وقتها: يؤخر الظهر أو العصر ؛ ولهذا لما تولى بنو العباس كانوا أحسن مراعاة للوقت من بني أمية، لكن شيعة علي المختصون به الذين لا يقرون بإمامة أحد من الأئمة الثلاثة وغيرهم، أعظم تعطيلا للصلاة، بل ولغيرها من الشرائع، وأنهم لا يصلون جمعة ولا جماعة، فيعطلون المساجد، ولهم في تقديم

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٤٣/٨

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ١٦١/٨

العصر والعشاء، وتأخير المغرب ما هم أشد انحرافا فيه من أولئك (٢) ، وهم مع هذا يعظمون المشاهد مع تعطيل المساجد ؛ مضاهاة للمشركين وأهل الكتاب، الذين كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا، فأين هذا من هذا؟ !

فالشر والفساد الذي في شيعة علي أضعاف **أضعاف الشر والفساد** الذي في شيعة عثمان، والخير والصلاح الذي في شيعة عثمان، (* أضعاف أضعاف الخير الذي في شيعة علي. وبنو أمية كانوا شيعة

---

(١) ن، م، س: الذين يفضلون

(٢) ن، س: أشد انحرافا فيه من الشيعة من أولئك، م: أشد انحرافا فيه عن الشيعة من أولئك والصواب ما أثبته من (ب).." (١)

"وظلما. وهذا ادعى أنه من ولد الحسن دون الحسين ؛ فإنه لم يكن رافضيا، وكان له من الخبرة بالحديث ما ادعى به دعوى تطابق الحديث.

وقد علم بالاضطرار أنه ليس هو الذي ذكره النبي - صلى الله عليه وسلم.

ومثل عدة آخرين ادعوا ذلك: منهم من قتل (١) ، ومنهم من ادعى ذلك فيه أصحابه، وهؤلاء كثيرون لا يحصي عددهم إلا الله، وربما حصل بأحدهم نفع لقوم، وإن حصل به ضرر لآخرين، كما حصل بمهدي المغرب: انتفع به طوائف، وتضرر به طوائف (٢) ، وكان فيه ما يحمد وإن كان (٣) فيه ما يذم.

وبكل حال فهو وأمثاله خير من مهدي الرافضة، الذي ليس له عين ولا أثر، ولا يعرف له حس ولا خبر، لم ينتفع به أحد لا في الدنيا ولا في الدين، بل حصل باعتقاد وجوده **من الشر والفساد**، مالا يحصيه إلا رب العباد.

وأعرف في زماننا غير واحد من المشايخ، الذين فيهم زهد وعبادة، يظن كل منهم أنه المهدي، وربما يخاطب أحدهم بذلك مرات متعددة، ويكون المخاطب له بذلك الشيطان، وهو يظن أنه خطاب من قبل الله.

ويكون أحدهم اسمه أحمد بن إبراهيم، فيقال له: محمد وأحمد سواء،

---

(١) ن، س، ب: منهم من قبل. والكلمة غير منقوطة في (م) ورجحت أن يكون الصواب ما أثبته.

(٢) س: وانتصر به طوائف، ب: وانضر به طوائف. والمثبت من (ن) وسقطت العبارة من (م) .

(٣) ب: وكان.." (٢)

"﴿فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما﴾ [سورة الأعراف: ٢٠] .

فإذا كان عرض (١) الشيطان لا يقدح في نبوة الأنبياء - عليهم السلام - فكيف يقدح في إمامة الخلفاء؟ !

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٨/٢٣٧

(٢) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٨/٢٥٩

وإن ادعى مدع أن هذه النصوص مئولة.

قيل له: فيجوز لغيرك أن يتأول قول الصديق، لما ثبت بالدلائل الكثيرة من إيمانه وعلمه، وتقواه وورعه. فإذا ورد لفظ مجمل يعارض ما علم (٢) . وجب تأويله.

وأما قوله: " فإن استقمت فأعينوني، وإن زغت فقوموني "، فهذا من كمال عدله وتقواه، وواجب على كل إمام أن يقتدي به في ذلك، وواجب على الرعية أن تعامل الأئمة بذلك، فإن استقام الإمام (٣) أعانوه على طاعة الله تعالى، وإن زاغ وأخطأ بينوا له الصواب ودلوه عليه، وإن تعمد ظلما منعوه منه بحسب الإمكان، فإذا كان منقادا للحق، كأبي بكر، فلا عذر لهم في ترك ذلك (٤) ، وإن كان لا يمكن دفع الظلم إلا بما هو أعظم فسادا منه، لم يدفعوا الشر القليل بالشر الكثير.

---

(١) ن، س: غرض.

(٢) ن، س، ب: ما ورد.

(٣) الإمام: ساقطة من (س) ، (ب) .

(٤) م: فلا عذر لهم في ذلك.." [١]

"أمره؛ وهذا يأمره ليمحو اسمه فلا يمحوه، وهذا يقول: لو أستطيع أن أرد أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لرددته، وهو يأمر الناس بالحلق والنحر فيتوقفون.

ولا ريب أن الذي حملهم على ذلك حب الله ورسوله، وبغض الكفار ومحبتهم أن يظهر الإيمان على الكفر، وأن لا يكون قد دخل على أهل الإيمان غضاضة وضيم من أهل الكفر. ورأوا أن قتالهم لئلا يضاموا هذا الضيم أحب إليهم من هذه المصالحة التي فيها من الضيم ما فيها.

لكن معلوم وجوب تقديم النص على الرأي، والشرع على الهوى؛ فالأصل الذي افترق فيه المؤمنون بالرسل والمخالفون لهم: تقديم نصوصهم على الآراء وشرعهم على الأهواء، وأصل الشر من تقديم الرأي على النص والهوى * على الشرع؛ فمن نور الله قلبه فرأى ما في النص والشرع (١) من الصلاح والخير، وإلا فعليه * (٢) الانقياد لنص رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وشرعه (٣) وليس له معارضته برأيه وهواه.

كما قال – صلى الله عليه وسلم -: " إني رسول الله (٤) ولست أعصيه، وهو ناصري " (٥) فبين أنه رسول الله، يفعل ما أمره به مرسله، لا يفعل من تلقاء

---

(١) ن، س: وشرع، وهو تحريف.

(٢) ما بين النجمتين ساقط من (م) .

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٨/٢٧٢

(٣) وشرعه: ساقط من (س) ، (ب)

(٤) م: لرسول الله

(٥) جاءت هذه العبارة ضمن الحديث الذي سبق ذكر نصه قبل صفحات (٥١٩ - ٥٢٠)." [١]

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٨/٤١١